

المجلة

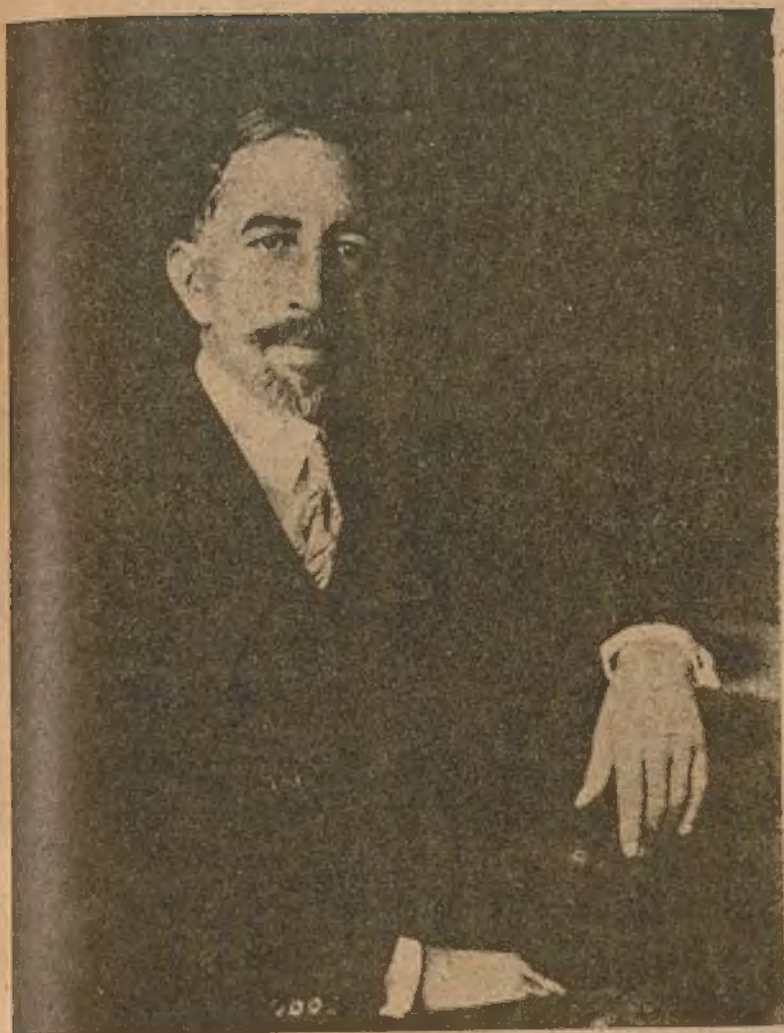
سبتمبر
وأكتوبر
١٩٣٣

الجزءان
٦٩٥

س

موضوعات هذيمه الجزيمه

- فبصل ... : بقلم المحرر
آ في يرافف ... :
تعريف أدياه مصر : للأستاذ محمد الهراوى
محمد صلى الله عليه وسلم ... : للأستاذ عبدالمزى البشرى
حنين (قصيدة) ... : للأستاذ على الجارم
مراائف لغوية ... : للأستاذ قزاد حنين على
ثقافة مصر: هريية أم فرعونية؟ : للأستاذ الاسلامولى
أوروبا كما رأيتها ... : للأستاذ عبد الباقي بدران
اللغة والشعر والنثر ... : للأستاذ قزاد بك حمزه
تاريخ المقيدة الاسلامية : للأستاذ على حسن عبدالقادر
مدام ماريا منتسورى ... : للأستاذة زينب الحكيم
ابن سيناء وفلسفته ... : للأستاذ محمد ثابت الفندى
كيف بدأ ديوان التفقيس؟ : للدكتور على مظهر
وغير ذلك من الموضوعات



المفقور له

الملك فيصل الاول



الدكتور طه حسين



الأستاذ إبراهيم المازني



الدكتور هيسكل بك

راجع مقال

تعريف أدباء مصر إلى الإفطار العربية
المذكور في هذا الجزء



السيدة « آني ميزانت »

(اقرأ مقالاً عنها في هذا الجزء)



الأستاذ عباس محمود العقاد



الأستاذ محمد المراوى

(اقرأ حديث تعريف أدباء مصر إلى الأقطار العربية)

الجزءان : ٦٥٥
السنة الثالثة

المعرفة

سبتمبر وأكتوبر ١٩٣٣
عدد الأول والثانية ١٣٥٢

مجلة — شهرية — جامعة
[مقررة في وزارة المعارف العمومية]
لصاحبها ونشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسماعيلي

الخامس

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد

خراطير المحرر

فصل الأول

أحقاً مات فيصل؟ وصدقاً قضى عاهل العراق؟ إذن فقد تجاوزت الفجيعة مسالك العراق،
وأخذت تمضي كالاربعمة العاصفة إلى مسالك الشرق كله. وأولئك الذين كانوا يستظلون بالروح
السامية النياضة التي انطوت عليها شخصية الملك الفقيد العظيم «فيصل»، وأولئك الذين استروحوا
في ظله أجزل نسائم الحرية، وأوفر ما ينطلق معها من غير، وأولئك الذين شهدوا فيه المنزل
الأعلى لحياتهم الضاربة إلى سدة الجدد، الداعية إلى استعادة السؤدد العربي الدابر، أولئك
جميعاً قد سحوا سخوا سخين الدمع، وسكبوا قلوبهم حمرات حين فاجأهم الناعى بقوله إن «فيصل»
قد ذهب إلى طريق الخلود، وإن اسمه قد هيأت له الأقدار صفحته من كتاب التاريخ العربي
الضخم المنعم بأروع الجلائل، وأجل الذكريات.
وما والله يمز الدمع على واحد شبيه «فيصل»، أو يكون صورة من هذه الخصائص التي
حركت الدنيا في نشاط ودأب، ليعلم العالم أجمع أن العراق قد آلى على نفسه أن يستبق
خطوات الأمم في سبيل الحياة المكفولة السعادة. وما والله يهون الدمع على أحد إلا أن
يكون واحداً من أولئك الذين لا ينطقون الحياة على هامة شعب مثقف موفور الدراية.

ومحمد الله أن الشرق كله قد افتقد أولئك الملوك انقياس الغلاظ الشداد ، وأن الأفئدة قد
أناحت له القادة الذين يبسطون على سماءه ظلاً من الرحمة ، وظلام من العدالة ، وظلاً من الحياة المشرقة .
ومن هؤلاء كان « فيصل » ، الذي تألفت في سماء العراق أضواؤه ، فكانت تهدي شعباً
الساعات العصية العصية إلى مواقف الحكمة والسداد ، وكانت تأخذ به راضية مقتبضة إلى طريق الهدى .
وما نشك في أن تاريخ الملك الراحل سيكون مئار المؤرخين جيلاً بعد جيل ، فيه شب
ذات شعب ، وأغصان ذات أفنان ، ولكننا نريد أن نذكر بالخير هذه الميزة الباقية التي لم
يدركها النجاح المنشود ، والتي ألبأتها خيمتنا الداوية إلى مصير لا ندرى من أمره شيئاً .

ونعني بهذه الميزة دعوته - رحمه الله - إلى « الوحدة العربية » في كثير من المحامس ، وفي كثير من
الأمم ، حتى لقد كانت تشغله عن نفسه ، ولأنه كانت با كورة أعماله بعد أن تجاوز بسيفه
العراق أنوار البحر المملكت وبلغ بها شاطئ النجاة ، ولقد ذهب من الدعوة إليها مذاهب
أخلص المصلحين في الدعوة لالصق مبادئه بوجدانه ونفسه ، وكانت صراحته الغالبة على كل
طبيعة فيه تضع أمامه كثيراً من العقبات ، ولكنه مع ذلك لم يبخل على هذه العقبات
بالجرأة الكافية لإزهاقها وإحالتها إلى أشقات شتية لا روح فيها ولا حياة .

إن هذه الدعوة الواسعة للوحدة العربية قد أناحت للفقيد العظيم أن يكون الشخصية
البارزة في أرجاء الجزيرة ، وقد مكنت له أن يكون رجل الساعة حين تعصف الأمور بالعراق ،
وحين تضيق منهم الصدور . ويشهد الله أنه لم يكن الرجل الساع إلى غير الخير ، ولم
يكن الرجل الداع إلى تنابذ أو خصام ، وإنما كانت نفسه جياشة بأعمق معاني الخير ، لا
لشعبه وخلده ، وإنما للشعوب العربية جميعاً .

وإن مصر التي كانت آخر بلد إسلامي ، شهده الفقيد العظيم في آخر أيامه حين سفره الأخير إلى
أوروبا ، لتحشد في قلوب بنيها أفواج من الحزن والألم والحسرة والقطوب ، هي في تفصيلها
وفي مجملها مشاركة فياضة لمواطن العراق الشقيق الحزون .

وإن العروبة التي غمرها الفقيد العظيم بحليل عطفه لتبكي فيه الرجل الذي سعى إلى تزويدها
بالحياة والهدى . وإن مصر العربية ، وإن العروبة التي تكون القومية الواسعة لمن ينطق الصاد ،
لتبكيان الفقيد العظيم ، وتقمان في الوقت نفسه موقف الأمل في خليفته « غازي » ، وما يملأن
أنه غرس هذه اليد التي جلت صنائعها على أذهان العادين والحاسنين .

هما ترجوان له عزاء عن خيمته ، وتوفية في قيادته ، وسداداً في خطواته ، وهناءة في
حياته ، وعهداً طويل الأمد . باقي الأثر ، حافلاً بأشياء من أعمال والده العظيم . . .

مات فيصل الأول . فليحي غازي الأول .

تعريف أدباء مصر

إلى الأقطار العربية

للأستاذ محمد الهراوي

كانت رحلة صديقنا الفاضل الأستاذ الهراوي إلى الأقطار الشقيقة : سوريا ولبنان وفلسطين ، بمثابة سفارة أدبية رائعة ، كما كانت وصلاً للعلاقات التي تأثرت أخيراً بموت شاعري مصر العظيم : شوقي وحافظ ؛ فجاءت هذه الرحلة موفقة ، موثقة ، روابط الإخاء الأدبي ، وفرصة لرفع صوت الأدب في صخب السياسة ، وزعازع الجو المادي ، الذي عصفت أعاصيره بكل شيء ، وطفى سبيله على ما عداه من شؤون الحياة .

على أن الرحلة لم تقتصر على تبادل التحايا الأدبية بين الشاعر وأدباء تلك الأقطار ، بل تعدتها إلى تناول فنون شتى من النواحي الاجتماعية ، وضروب متمددة من ألوان الأحاديث العامة في الشؤون الأدبية ؛ ومن أهم تلك الأحاديث : توجيه صنوف من اللوم ، ورشاش من العتاب إلى مصر ، لتجاهلها شعراء الأقطار الشقيقة وأدبائها ، بقدر اهتمام جيراننا بأدبائنا وشعرائنا .

وقد عقد الأستاذ صاحب مجلة « العاصفة » - التي تصدر في بيروت - حديثاً جامعاً مع الأستاذ الهراوي ، بدد فيه الثاني أثر اللوم والعتاب ، وقام بتعريف أدبائنا جميعاً إلى جيراننا . ونشرت « العاصفة » ذلك التعريف في مقالين متتابعين ، الأول بتاريخ ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٣ ، والثاني بتاريخ ٢ أغسطس سنة ١٩٣٣ .

ولما كانت « المعرفة » يسرها أن تحتفل بهذا النقد الزيه ، شاكرة لأدباء الأقطار الشقيقة عنايتهم بهذا الموضوع ، فقد رأت أن تنشر عذير المقالين ، على أن تقوم بنصيبها في ذلك ، من تعريف أدباء الأقطار الشقيقة إلى مصر .

قالت مجلة « العاصفة » الفراء :

« مصر تجهلنا ونحن نعرفها بأسماء أعلامها فرداً فرداً ، وبأسماء مدنها وقراها مدينة مدينة وقرية قرية ، وبأسماء شوارعها شارعاً شارعاً ، فلا ينبغ فيها ذو موهبة وعلم ألا نكون قد تناقلنا اسمه ونعدنا عن أدبه وحكمنا حكمنا عليه . وأحكامنا على نوابغ مصر طائف بالاعجاب بإخواننا المصريين ، حتى كأننا قطعة من ذلك البلد المالك منا القلوب والشاخصة إليه الأبصار .

والغريب أن هذه العواطف المتقدمة في أفئدتنا نحو مصر لا تتقد في قلوب المصريين نحوها. وإذا هي اتقدت فإن نارها تكاد تكون ضئيلة جداً؛ فالمصريون في شغل بأنفسهم عنا. وربما كان أدباؤنا بأجمعهم محبولين في مصر؛ فالمصري يعرف أن هناك برأ يقال له بالشام، وأن في بر الشام جبال لبنان وقلعة بعلبك ومدينة حلب ومدينة دمشق، ولكنه لا يكاد يذكر أحداً من شعرائه ولا من كتابه، وإذا ذكر قال: هناك جريدة تدعى بهذا الاسم وجريدة بهذا الاسم الآخر، ووقف فيما يتذكره عند هذا الحد.

ولا ندرى الباعث على هذا الإهمال في أفئدة المصريين، فكأنه لا رابطة بيننا وبينهم، وكأن لا صلة تجمع بين أدبائنا وأدبائهم، مع أن اللغة العربية هي الجامعة الكبرى، ومع أن مصر على مسافة قريبة من لبنان وسوريا، فما هي إلا بضعة عشرة ساعة حتى يتصل اللبناني والسوري بمصر، ويتصل المصري بسوريا ولبنان. وعندنا أن التعارف بين أدباء القطرين لا بد منه، ونرى أن تتولى إحدى الصحف المعروفة في وادي النيل هذا التعارف، فتنتشر الأحاديث عن أدباء سوريا ولبنان، كما تنتشر الأحاديث عن أدباء القطر المصري. فمن الواجب ألا يكون أدباء الأقطار العربية غرباء بعضهم عن بعض، بل من الواجب ألا يكون أدباء اللغة العربية غرباء بعضهم عن بعض؛ فالأدب هو أعظم صلة تربط شعباً بشعب وقطراً بقطر.

تقول هذا في صدد حديثنا عن الشاعر المصري الفحل الأستاذ محمد الهراوي.

فالأستاذ الهراوي - وهو من شعراء البلاد العربية اللامعين، وممن أوتوا قوة وموهبة في السبك والنظم - يرى من الضرورة أن تكون هناك جريدة أشبه بهزمة الوصل بين مصر وسائر الأقطار الناطقة بالضاد، فينتقل إلى المصريين آثار الأدباء في الأقطار العربية الأخرى، وتعرفهم إلى أدباء مصر؛ ونحن نرى أن على كل جريدة مصرية أن تخصص بعض حقولها بأثار أدباء اللغة العربية غير المصريين.

وقد ود الأستاذ الهراوي أن تكون هناك سفارة أدبية في كل قطر من الأقطار يلجأ إليها الأديب فترشده إلى إخوانه ورفاقه وزملائه؛ ونحن نشاطره هذا الرأي مع كل ما يترأى في تخفيفه من المشقة والعناء.

رأى الهراوي في الأدب:

ولا عجب ونحن نجلس إلى الأستاذ الهراوي إذا حدثناه عن الأدب، لا عجب إذا سألناه عن حالة الأدب في وادي النيل، وعن رأيه في الأدب العربي الجديد. والأستاذ الهراوي - وهو من المتعصبين لهذا الأدب العربي، ومن الراغبين في رفع مستواها فأفاض في الحديث وأقاد. وقد لاح لنا منه أنه راض كل الرضا عن حالة الأدب في الزمن الحاضر، وأنه كثير التفاؤل بالمستقبل؛ وعنده أن نهضة اليوم قاعدة وطيدة لنهضة آتية سيرفع لواءها الجيل الجديد.

قال يبدى رأيه في نهضة اليوم : « الأدب المصرى الحديث بخير ، ودائماً بخير ، وما هو غير حلقة في تلك السلسلة التى يتألف منها الأدب العربى فى الأقطار العربية جمعا . وعندى أن الأدب المصرى اليوم أشبه بالأدب المباسى يوم ازدهار الآداب فى بغداد ، وهذه العناصر الجديدة التى تفحه بها العرب تساعده على النمو : إذا عرف كيف يحافظ على أسلوبه العربى المتيقن .

« لقد تقول لى : لماذا أقول الأدب المصرى ؟ وقد تسألنى : أيسكون هناك أدب لبنانى وأدب سورى وأدب حجازى وأدب عراقى ؟ وجوابى : أن الأدب العربى واحد فى كل قطر من الأقطار العربية ، وكل ما هناك من فرق فيه ، ذلك الطابع المحلى ؛ فإن ابن لبنان يتغنى بلبنان وابن العراق بالعراق وابن مصر بمصر .

« والشعر - وهو موضع العناية عندى - يرتفع اليوم إلى مستوى يبعث على الرضا ، ولا يخفى على أحد أن الشعر كان بالأمس أشبه بالأنشودة تنتقل من فم إلى فم ، ومن لسان إلى لسان ، من الملك إلى سائق الأظمان ، فجميع كانوا يحفظونه ، أما اليوم فلا يعنى به غير أصحاب الموهبة فيه ، وعندى أن هؤلاء ذوو فضل على الشعر ، فلولا هم لضاع هذا الفن الجميل .

« ومن سوء الحظ أنك لا تكاد تجد أديباً ولا شاعراً منقطعاً إلى خدمة الأدب وحده ، فالأدب لا يطعم - لسوء الحظ - خبزاً ، لذلك يضطر من يعيل إليه إلى البحث عن عمل آخر يرتزق منه !... »

متى ينظم ؟

والأستاذ الهرأوى رئيس حسابات دار الكتب المصرية . فهو شاعر ويشغل بالحسابات ؛ ولقد نمجنا منه - وهو من عشاق القريض - كيف يجيد الحساب ويجمع بين الضدين : فالشاعر وإن يكن يصرف ما لا ينصرف ، لا يحسن شيئاً مما يقال له علم الحساب .

ولكن الأستاذ الهرأوى مضطر إلى العمل ، فالأدب لا يغنيه عن السعى إلى كسب الرزق ، وهذا العمل لا يمنعه من الانصراف إلى النظم فى أى ساعة أراد .

قلنا : كيف تنظم ؟ فقال : أنظم كلما بدا لى فراغ ، وكما شعرت بعيل إلى النظم ، وأنا لا أقعد للنظم ، ولا أقعد له جلسة خاصة ، ولكنها خواطر تتوارد على فأثبتها !

آثاره الأدبية :

قلنا : هل من ديوان شعر لك ؟

قال : لدى من الشعر ما يكفي ديوانين ، على أنى لم أجمعه ؛ وكل ما جمعت كتب صغيرة للأطفال

تقرأ في المعاهد؛ وهي تنطوي على أناشيد في الأخلاق تقال في البيت والشارع والمدرسة،
وتصف الأسرة والمخترعات الحديثة وأدب الطفولة، وهي مسبوكة في قالب عربي صميم.
رأيه في التفاصيل:

ومن رأى الأستاذ الهراوي ألا يكون هناك تفاضل في الأدب؛ فالشعر هو الشعر، ولكل
فيه رأيه، والشعراء في اعتقاده يختلف بعضهم عن بعض في اللون، فقد يكون هذا لونه أبيض،
وذلك لونه أسود، والآخر لونه أحمر، وعلى الناس أن يختاروا اللون الذي يتفق وأذواقهم.
ومع كل مافي هذا الرأي من مجال وسيع للأخذ والرد، فإننا نثبتته للأستاذ الهراوي كما
أعلنه وصرح به؛ على أننا - وهو صاحب هذا الرأي - وجدنا مشقة عظيمة في استدراجه إلى
الكلام على المنشئين المصريين أمثال: طه حسين وهيكल والمقاد والمازني.
رأيه في طه حسين:

قال يحدثنا عن طه حسين: «طه حسين رجل عظيم له أنصار ومحبون، ولكن له آراء ربما
لا أتفق وإياه فيها؛ وهذا لا يمنعني من تقدير فضله على الأدب. وأسلوبه واضح جلي، ولكنه
مطول لا يسمع القارئ المستعجل. والرجل مفكر لا يبالي أن يكون رأيه مخالفاً لآحيان كثيرة
للآراء الأخرى».

رأيه في الدكتور هيكل:

وقال عن الدكتور هيكل: «إنه لا يختلف عن الدكتور طه، فهو مفكر وكاتب لبق، وله أسلوب
خاص وآراء قيمة؛ على أن هذه الآراء لا تتفق أيضاً وآراء الكثيرين. وهذا مما لا يمنع
احترامه، وقد يتفق والدكتور طه في موضوعات كثيرة، وقد يختلفان في موضوعات كثيرة،
وهما الآن على خلاف».

والعقاد؟

قلنا: والأستاذ عباس محمود العقاد؟ قال: «هو مفكر قدير، ومعتد برأيه، وديوانه الأخير
«وحى الأربعين» محترم من حيث التفكير، جيد من حيث النظم، وإذا كان هناك من لا يعجبه
نظم العقاد، فإن هذا مرجعه إلى الذوق. وشعر العقاد كشعر لا يعاب».

والمازني؟

قلنا: والمازني؟ قال: «إنه لكاتب لبق وشاعر مبدع، إذا قعد للشعر، ولكنه يريد في الشعر
سمواً ربما لم يخلقه الله، وربما كان شعره لا يعجبه».

وسألنا الأستاذ الهراوى عن رأيه فى شعراء هذه البلاد، فوقف لا يبدى رأياً، قائلاً إنه يحبهم جميعاً، ولكن ذاكرته لا تحفظ الأسماء.

وعن مع كل ما نشعر به من حيبة حين نسمع هذا الرأى، نرى أن يقيم أدباء البلاد حفلة تكريمية للشاعر الفحل، كما يتذكر - على الأقل - الدين يقولون كلتهم فيه. وإن يكن لصيبتنا من نبيه معر الإهمال. فلنبدل كل ما فى وسعنا كي تثبت لهم وجودنا بما خلقه من آثار أدبية. وبما أظهره لهم من صداقة ومودة.

ويزيد منهم أن يذكروا أن الأدباء إخوان، وأن الأدباء المصريين ليس من مصلحتهم أن ينصرو عيونهم عن أدباء الأقطار الأخرى بالأدب أسرة واحدة يجب أن يتعارف أفرادها سواء كانوا على ضفاف النيل أو على ضفاف القرات أو على ضفاف بردى أو فى أعلى حنين. نعود فنقول: من الواجب أن تقام الحفلة التكريمية للأستاذ الهراوى. وعلى نقابة الصحف وجماعة الأدباء الاهتمام بإقامة هذه الحفلة. ليدرك إخواننا المصريون أننا نقوم بواجبنا نحو الأدب والأدباء أكثر مما يقومون به هم.

من هذا بكل أسف. وبودنا لو نكون فيه مخطفين [نسبة فى العدد المقبل وفيها أسماء كثير من مصر شعراء و أدباء وصور هو بيضة عن كل منهم]

مجلة نور الاسلام

والأستاذ محمد فريد وجدى

م. ر. المسمين عامة، ورجال الدين بصفة خاصة. أن نرف إليهم بشرى ذلك النبأ الجليل بنأ تعيين العلامة اعحق الأستاذ محمد فريد وجدى. مديراً لإدارة مجلة «نور الإسلام». ومكتب ترجمتها، ورئيساً لتحريرها.

وه شك فى أن هذا النبأ السار سيقاب بالفرح العميق. والدعوة إلى توفيق الأستاذ وجدى فى عمله الجديد، الذى اكتسب به ورجل الأهر خاصة. قوة عظيمة. وعصراً بديعاً. الدمع عن الدين. والدعوة إلى طريقه لحق. من طريق العقل والمنطق. والعلم والهدى. وتدعيمه مستحدثات العلوم والمعارف. ومتنوع الثقافات العالمية.

فهنا للأهر بهذا المدره العظيم. وهى مجلة «نور الإسلام» هذا الذى سيبعثها بعد مولها. ورجاؤنا أن يضيف الأستاذ إلى جهوده العلمية فى مجلة جهوده الأخرى فى سبيل تعليم وإدارة ماليتها إدارة حارمة. ومراقبتها بدقة تقضى على كل ما يشاع ويداع. وحوالا يحرم قراء «المعرفة» من بحوثه القيمة. التى حصها بها منذ إنشائها.

آنى بيرانت ANNIE BESANT

ومذهب الثيوصوفية الحديثة

توفيت السيدة « آنى بيرانت » فى أواخر الشهر الماضى . ولما كانت تعتبر من رعب الثيوصوفية الحديثة، وباعثة الفلسفة المشرقية فى أوربا، فقد أردنا أن تقدم بين يدي القراء ما لا غلب لهم فيه بتاريخ حياتها، وتطورات مذهبها، راحمين إلى أوثق المصادر عنها . ومن مذكرات خاصة بها . يعد القارى منها كثيراً من أسرار هذه السيدة وحقايا مذهبها . حصص عليه من مكاتبات خاصة بيننا وبين أحد أتباعها فى لندن منذ ست سنوات . راجين أن يعد قارى أنا لا نوافق أصحاب هذا المذهب على مذهبهم . لانهجاً ولا تصريحاً . لأن الثيوصوفية - فى نظرنا - مذهب خاطئ . لا يقوم على أسس علمية صحيحة . ولا عقائد دينية سليمة . وقد أدخلنا هذا المذهب ضمن المذاهب الحديثة الخاطئة . فقلنا فى أول جز - من أجزاء « المعرفة » مايو سنة ١٩٣١ ص ٤ مانصه : « وستكون « المعرفة » معولاً هداماً للبشر . مذهب المادية الإلحادية . ومبضعاً دقيقاً لآثر القاسد من مذهبى الثيوصوفية واستحصال الوالح وغيرهما من المذاهب المنتشرة فى أوربا وأمريكا » .

وبالمذكر بصدد هذا أن الأستاذ الفيلسوف « R. C. Marsh » وضع كتاباً بالمرسوس « Le Theosophisme » قد فيه دعاوى هذا المذهب تقنيدياً لا يدع لاستريب شكاً . فليقر « آنى بيرانت » ولما كانت مهمتها فى هذا المقال - خاصة - التاريخ الجعبد عن هوى والتعصب . فقد كتب بسرد تاريخ حياتها الآن . على أن نناقش مذهبها فى بحث آخر .

فى اليوم الأول من أكتوبر لسنة ١٨٤٧ ميلادية . ولدت الفتلة « آنى » صاحب ترجمه . فاستقبلها أهل لندن بغير كثير اهتمام . أو شديد عناية . كما استقبلها « بوها » « ولیم بن زود » William page Wood ، ولا نقول أمها . شأنها فى ذلك شأن كل المحبوقات التى لا يلاحظ غير الله من أمر مستقبلها شيئاً .

وبإنا لتخيل حال هذه الصبية - بعد إذ حبت ومنت ودرجت حتى قطعت مرحلة طفولتها - فى شبه غيبوبة ويقظة معاً . واستسلام وشتم معاً . وبتار وحيرة فى آرواحه . بتاريخه وبتنفس . وحيرة من شأن هذا العالم الذى هبطت إليه . خصوصاً بعد محبتها الأولى بفقد وبتنفس . أسلمها إلى أمها - وهى فى سن الخامسة من عمرها - عندما أسلم روحه فى عام ١٨٥٢ .

ونبحث في مثل هذه الشؤون لا يستطيع أن يترك هذا الدور دون أن يستقرأه ويستوحيه الكثير من أمر هذه الصبية التي خلقها والدها بقيمة إلا من أمها الأيرلندية الأصل، والتي تمت إلى أسرة من أعرق الأسر حسبا ونسبا، وقدمها تاريخا ودكرا، وبعدها نباهة صيت، وواسع شهرة.

نشأت الصبية في حضن أمها - وهي على ما قدمنا من حسب ونسب - فتولتها بالتربية وتهذيب. وعنت بأمر عقلها وحسبها أعباء عناية، ثم قامت لها مقام المعلم. فأخذتها بدراسة اللغات الحديثة الحية. وأخصها الإنجليزية لغتها الأصلية، فالفرنسية ثم الألمانية، وأصغرت عينيها في الوقت نفسه. وتدريبها على العزف على الآلات الموسيقية، وركوب خيل. والرياضة البدنية، غير ناسية تعليمها دروسا في الأدب القديم والحديث، وفنوننا شتى من ألوانها كالشعر والنثر والحكم والأمثال، وما يدخل في هذه الضروب من قصص وسير وخلق واجتماع.

وبسوا لنا من قراءة سيرة أمها، أنها كانت شديدة التقوى، كثيرة الزهد في الحياة وألوانها لغزلة مبددة عن التأثر بزحرفها الباطل وأما فيها الكاذبة، فأثرت هذه الروح في ابنتها ذلك الأثر الذي ساءه عالقاً بحياتها في جميع أدوارها، رغم ما تقلبت عليه في تلك الأدوار من إيمان وإلحاد، ودين وشك، واستسلام وجحود، وتصديق وإنكار.

نفس نشك مطلقاً في أن المترجم لها ورثت عقيدتها هذه عن أمها وراثته لا أثر للتكليف أو تمسك فيها، وإلا فبماذا تفسر عكوف أمها على تدريسها اللغات الحديثة، والفنون الجميلة من أدب وموسيقى، وعموم حركية كالرياضة وركوب الخيل، دون أن تلقنها شيئاً من دينها وأمرارها، أو تبنيها فكرة من أفكارها المذهبية؟

قد يكون ذلك حدث فعلا، بل لا بد أن يحدث، لكننا نكر أن تكون الأم وجهت عناية خاصة برشاد ابنتها إلى دينها. أو تلقينها شيئاً من سرار مذهبها؛ فلم يبق لدينا إلا أن المترجم قد ورث دينها عن أبيها وراثته، فنشأت على ما نشأ عليه دون ما تفكير أو إعمال فكر وشعر. بل - فيلسوف المعرة في التدليل على صحة هذا الرأي القائل بالوراثة الدينية:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دانت الفتى بجهنم ولكن يعلّمه الدين أقربوه
وطفل القارمي له ولالة بأفعال التمجس دريوه

يد كان في ظن إنسان شيء يدفعه إلى استنكار ذلك الرأي أو الاسترابة فيه، فليذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يولد المرء على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

ندع هذا لنعود إلى سيرة المترجم لها، فمضى أن «آى» لما شرفت على ربيع العقد الثالث من حياتها، أو اختتمت عقدها الثاني بمعنى أدق، أى فى عام ١٨٦٧ م، تقدم إلى حبيب القصر «فرانك بيزانت Frank Besant»^(١)، ولما كانت روحها ملتصقة، ولما كانت المسكينة تعفد أن روحها متلائمة، بل إلى الحياة الدينية، بل إلى حياة الرهبنة ميلاً شديداً، أخذ عليها مسارب الحس، فقد أملت من هذا الزوج خيراً كثيراً، وراحت تتحلى سعادته المنفعة فى الرزحة المستقبلية، وتحمى بأطراف المنى والآمال، منى الروح وآمال النفس، ولكن:

يقفون والفلك اعرك دائر
ويقدرور فتصيح الأفقار

أجل، فقد شاء القدر العاتى — ولا شأنى لحكمة إلا العافون — أن يبدل نعيمها شقاء، و«حلام» آلام، وحظها نعاسة، ويغلبها كبراً، ويقينها شكاً، واستسلامها تدمراً، فررو، فعلا وظلة، كانا معاً، أو كانت الثانية فى الغالب مبعث ذلك كله.

فقد مرضت الطفلة مرضاً شديداً أذهل عقل الأم، واستنفدت كل ما وهبتها الطبيعة من قوة البنية، وسلامة الجسم، وشدة الشكيمة، وقوة المارضة، ففقدت أولئك جميعاً بسبب رعاية بنتها وقيامها بالسهر عليها طيلة مرضها كله.

بل فقدت أكثر من هذا كله، فقدت إيمانها الراسخ، وعقيدتها الثابتة، فراح نكر الخير والحق والجمال، وتجدد الدين والكتب المنزلة، وترغم أن لا خير ولا شر، ولا رحمة ولا شفقة، وأن الله هو أصل الخير والشر، فكما يفعل الخير يفعل الشر، ولا دخل للشر فى هذا مطلقاً، ثم ذهبت إلى أبعد من هذا فى الجحود والإنكار والإرجاء والتعطيل، حدة من مذاهب الشك الفلسفى بجانب، ومذاهب المعطلة المسلمين بجانب.

وقد كانت فى محنتها هذه تسأل نفسها كثيراً: فقول: ما ذنب هذه الطفلة الصغرى، وهى لما تبلغ سن الرشد؟ وماذا فعلت حتى تستحق هذا العذاب كله؟ وما معنى الخير، الشر إذن؟ وأين هى رحمتك وعجبتك يا إلهى؟

ويأتى الشيطان إلا أن يضللها، ويفتح لها مسالك الشر والوسواس، فتظل على تلك الحال فترة طويلة، حتى يقودها أخيراً إلى إنكار الأديان جميعاً، وجحد الكتب السماوية دون ما تخصيص أو استثناء.

إلا أن الله — جلت قدرته — وهو الذى يبلو خلقه ليعلم أيهم أحسن عملاً، من عليه شفاعة من مرضها، لكن ذلك لم يمنهما من السؤال قبل السؤال، والبحث والتنقيب فى أصول مسائلها وموازنتها ببعضها بعض.

وقد قالت في تلك المحنة عبارة هامة يجب أن يفهمها كل والد ووالدة. وزيّنظرا إليها بيقظة وشدة. تلك العبارة هي : « لو أن أمي علمتني أن الله هو الذي يأتي بنا بالخير ، وأن الشيطان يأتي بنا بالشر . لما زلت قدمي في بحر الإلحاد . ولا كوت في كبوة الشر » ، ومن هذا يعلم قاري أن أمها لم تمن بتربية ابنتها تربية دينية بقدر ما عنيت بتربيتها اجتماعياً ، ثم فيه ما يؤيد استنتاجنا السابق .

ومررت في أمر هذه السيدة . أنها على إنكارها أصول الديانات . وأسس العقائد في تلك فترة . قائماً لم تنكر وجود الإله !! ! حتى كان ذلك مثار دهشة جميع من ناقشتهم من رجال الأديان ، والتجملت بهم من علماء الفلسفة واللاهوت .

مررت الآن هذه المرأة المسكينة برهة . لنعود إلى زوجها الذي كان يشفق عليها ويرث لحاظها ، ويحس ما بعض الإخلاص . ولا تقول كله . وحثاً على هذا الرأي ما رأيته من نكوصه عن عقيدته . ووقوفه مكتوف اليدين أمام قرار الحكومة الذي أصدرته في سنة ١٨٧٣ . مما يشق عليه إياها . وطردها من مرله . فلم يدث قليلاً حتى طردها من مرله شر طردة حامية . ولم يبق له غير أنها تستعظمها وتسأها الرحمة والحنان .

ويظهر أن الفاقة كانت قد أخذت سبيلها إلى الأم . فاضطرت « ييزانت » تحت تأثير من : نعمت على كسب قوتها بيدها بفسخ الكتب والخدمة في المستشفيات والقيام على تعهد الأطفال بالمنايا والتربية والتربص .

وكان الله أراد أن يرح تلك الأم المسكينة - أم ييزانت - فتوفيها بعد حوار جدلي عنيف معها . بنيتها ، كانت خاتمة التسليم لطقوس الكنيسة . والاصباح لأوامر رجال الدين . وذكر من هذا الحوار العلمي الفلسفي الطريف نبذاً منه ليكون القاريء فكرة عن المحيط الديني لأوروبا في ذلك القرن .

فالت الأم وقد جاءها رسول الموت . وأصبحت منه قاب قوسين أو أدنى :

آني د رجل من رجال الدس ليروني قبل أن أسلم الروح ويلقنني الأسرار القدسية . وتأثير ربانية ، ولا تنس نصيبك معي في تلقي تلك الأسرار . عليها تهديك إلى صراط مستقيم . فقالت ييزانت : إني يأأماه براء مما تقولين ، وكنت أود أن أطيعك فيما تريه ، ولم أكن وقتئذ من سلاطه ، فضلاً عن أني لا أعتقد بتلك الأسرار . فإني لا أصدق أن واحداً من رجال ديني يرضى حصوله . وسماعي تلك الأسرار ، بله إشراك معك في تلقيها . سم هل تريه بقاءه حديثاً بالنفاق من أجل إصرارك على اشتراك في تلقي هذه الأسرار ؟ إني لا أرى غير ما أعتقد . ولا أعتقد غير ما أرى ، وما كنت يوماً لأرتضى النفاق الديني أو ير تضيئي له . فدعى هذا يأأماه !

على أن الأم المريضة لم يؤثر فيها ذلك الحوار العنيف ، فأصرت على طلب القسيس ، ثم سرت على شرائها بئنها معها في تلقي الأسرار . وتحت تأثير الشفقة . ثم تحت عامل الحب . وتأثير السوء رسيت « ييزانت » تحقيق رغبة الوالدة . ومن ثم ذهبت إلى أحد كبار رجال الدين لتدعيه . فذهبت إليه من أجله فرفض ، ثم ذهبت إلى ثان فرفض ، وأخيراً راحت إلى ثالث

فرفض : وهنا تنور ييرانت ثورتها العنيفة على الدين من جديد ، بعد أن كانت قد هدرت قليلاً في فترة مرض أمها الأخير .

وحذر بنسأ أن تنبه هنا إلى أن ذلك الأمر السيء الذي يتركه رجال الدين الجامدون واذهان الشعب ، في مثل تلك الحال ، يضر العقيدة ذاتها قبل أن يضرهم . ويسى إليهم قبل أن يسيء إليهم غيرهم : ثم هو آخر الأمر قص على سلطانهم . هادم تعصبهم . ذاك بنيانهم . ومعال على الدين - يا كان نوعه - أن يدعو إلى التعصب والجمود المردولين . بن هو على العكس أوسع من باب الرحمة . وأطلق من ساحه الغفران . ليسع أبناءه أجمعين . ثم هو يأخذ باللين ما لا يؤخذ بالشدة .

وها هي ذي « ييرانت » التي نراها نائرة جاحدة منكرة ، تعود إلى الإيمان وبسير وفترة قصيرة . بل أقل في من فترة ، هي برهة مسرفة في الصغر .

ولا دهشة أو عجب من ذلك . فإن « ييرانت » بعد أن يشتت بمن قابلتهم . خطر لها . تذهب إلى كبيرهم ، وكان رجلاً واسع الحيلة ، وقاد الذهن ، موفور العقل . فأخذها بالحناء واللين . وسارها بالعقل والمنطق ، والحكمة والموعظة . حتى استل ما في نفسها من سحائم عن الدين . وزرع ما في صدرها من حقد وغل على رجاله . وإنه لمن الخير أن تلخص لك تلك المحادثة التي دارت بين الاثنين لعل فيها عبرة وعظة .

بعد أن أفقت « ييرانت » إلى الرجل بحيلة الأمر ، وأطلعت على ما يساورها من شدة وجيرة . وما قابها به سابقوه من مرهوسيه ، قال لها :

إن كل ما ذكرته ليس بالأمر الذي يززع إيمانك ، أو ينقص من عقيدتك : فما دم عسير في بحث الحق ، وتطمين المعرفة في إخلاص ، فلاحوف ولا ضير . خفف من سورة نفسك . بيتي . واعلم أنك في النهاية مؤمنة . إن الذي يبحث عن الله يجد . ويهش له . ويطمئن إليه . وحبك هذا عقيدة وديناً . وما كان الدين يوماً ليقف حائلاً دون أن ينظر الإنسان ويبحث . ولكن لما كانت طرقه عملية تحتة . فقد ألزمتنا القيام بالواجب نحو الله والناس أجمعين . هـد لا ترى مانعاً من إثراء كك معنا في الأسرار ، لأنك حديرة بها . كما هي حديرة بك . ولأن حكمة منها إيماناً هي الوحدة والاتحاد . لا التفرقة والتشتيت .

وما انتهى الرجل من حديثه . حتى قامت « ييرانت » شاكرة له هذه الروح السموية . مقدرة عما سلف منها . مصطبحة به إلى دار أمها ، حيث قام بتلقين الأسرار ، ومن ثم انتقلت . إلى العالم الذي لا شر فيه ولا ألم ، ولا حزن ولا كدر .

والآن فلنضرب صفحاً عن قص تاريخها بعد هذه الفترة . لكثرة ما فيها من تشعبات لا يضر إغفالها الموضوع شيئاً . ونعود إلى عام ١٨٧٥م ، وهو العام الذي أخذ نجم « ييرانت » في التآلق في كبد سماء الفلسفة .

وموعداً بذلك العدد المقبل إن شاء الله .

محمد — د

صلى الله عليه وسلم

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشري

استدراك

أرجو أن تقرراً آخر كلمة في مقال العدد الماضي هكذا . « أما الأنبياء عليهم السلام ، فقد طهرهم الله تعالى ، وكف كل رجس عنهم ، من يوم سواهم إلى يوم قبض من قبض منهم » .

هذا إلى أن كل رسول منهم إنما جاء بشريعة أو دعا إلى شريعة تدخل فيها عبادة الله وإقامة حدوده فيما يدور بين الناس من المعاملات ، وما ينبغي لهم من جلائل الأخلاق وكرائم آداب . ولم يسمع قط أن نبياً أحل نفسه من شيء من هذا ، أو ترخص فيه سواء فيما بينه وبين نفسه ، أو فيما بينه وبين الناس . بل لقد أخذوا أنفسهم بغاياتها ، وبالغوا في هذا إلى الحد الذي يعتبر سرافاً بالإضافة إلى غيرهم . بل لقد اختصهم الله بألوان من التكليف أقل من سائر خلقه . لما فيها من المشقة وشدة العسر عليهم . وسيرد عليك شيء من هذا في معرض تأليب النبي وخاله صلى الله عليه وسلم . وهذا يمتاز الأنبياء بما لا يتسق في العادة - لغيرهم من مضوعة الفعل للاعتقاد ، ومطابقة العلم للعمل . وذلك في أقصى الحدود وأوفي الغايات .

ولقد تعلم أن كثيراً من الدعاة من يكتفون عن الجهرة بعض ما يعرفون أن فيه الحق وخير والمفع . حشية تأليب الدهماء عليهم ، وإرسال التهم إليهم . وقد يقع هذا في دعوة تنس بالأخلاق ، أو بالسياسة ، أو بالأدب ، أو بالاقتصاد . أو بأي شأن آخر من شئون اجتماع .

فما أرسل عليهم السلام . فأنت خير بأنهم مبعوثون يهدم أديان أممهم ، وإزعاجهم عن معتقداتهم ، وتزييف أفهامهم ، وتسفيه أحلامهم ، ودعوتهم إلى تغيير مارسخ من أخلاقهم ، وما استمكن من طباعهم ، فما قصرُوا في شيء من هذا . ولا فترُوا من أول يوم دونه . إذ هم ندان لأحول لهم ، ولا سلطان يمصهم ، ولا مال يستدرج إليهم ويستألف النادين عنهم . وهم

إنما يبعثون في أقوام شداد غلاظ ، لقد تحجرت قلوبهم بطول ما تبادوا في البغي ، واسترسروا في الضلالة والنفي . لهذا كان من شرائط الرسالة التبليغ والأمانة . على هذا يتم لرسول الله مطابقة العمل ، ومظاهرة الدعوة لها جميعاً ، وذلك إلى غاية الغاية ، وإلى أقصى حدود المهابة .

بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

تعلم أن بعثة كل من سلف من الرسل إنما كانت مقصورة على قوم بأعيانهم ، فهي محدودة الزمان . محصورة المكان . وهي إذا تظاهرت كلها على عبادة الله وحده والإيمان برسوله . فلقد اختلفت كيفياتها فيما يلي ذلك . فمنها ما جاء بشريعة تبين للناس طرق عباداتهم وصدر مما يتعلق بطرق معاملاتهم وسائر أسبابهم . ومنها ما جاء للدعوة إلى شرع من خلا من ارس وزجر الناس عما تحلقوا به من أخلاق قبيحة ، وما ألغوا من عادات كريهة .

أما بعثة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم . وبجل وعظم ، فلا يحدها زمان ، ولا يحصرها مكان ، ولا يجوزها سبب ، ولا يند عنها غاية . فلقد أرسل للناس كافة في جميع قفار الأرض ، يخاطبهم برسائله جيلاً بعد جيل ، ويدعوهم إلى شريعته قبيلاً إثر قبيل . قال تعالى : « قل يأياها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » . وقال جل مجده : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « بعثت إلى الأحمر والأسود » . وذلك بأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء . قال تعالى : « وخاتم النبيين » . قال صلى الله عليه وسلم : « لا نبي بعدي » . ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون رسالته جامعة ، وأن تكون شريعته موفية على الغاية من السكال ، سواء في أحكام العبادات والمعاملات . أو في الأخلاق والآداب ، وغير ذلك مما يتصل بالأسباب الدائرة بين الناس ، وعلى هذا استوت شريعته . صلى الله عليه وسلم . في أصول أربعة : الكتاب . قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . والمعنى : من أهم أصول الدين . والسنة ، وهي قول النبي وفعله . والإجماع إجماع صحابته ، وهم ذوي الخلق إليه وأعلمهم بحراميه وأحبرهم بمداخل شريعته . ثم القياس ، وهو إطلاق حكم ما ورد فيه نص على ما لم يرد فيه لا اشتراكهما في علة ظاهرة .

وإذا علمت أن الرسول ينبغي ، بالبداهة ، أن يكون مثلاً أعلى لكل ما يبعث به إلى الناس فنبلاً عن أن فعله حتى إشارته تعتبر أصلاً من أصول الدين ، قدرت مبلغ ما تحلى به النبي صلى الله عليه وسلم من جليل الأخلاق . وما تحلى فيه من كريم السجايا وشريف الخلال ، ولا بد من عنك في هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وناهيك عن بركة ربه في هذا الباب بقوله تعالى : « وإنا لك لمعي خلق عظيم » : وناهيك بمن يكون مريبه ومؤدبه هو الله سبحانه وتعالى . قال صلى الله عليه وسلم : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

وبعد فنحن إنما عقدنا هذا الباب للكلام في صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا كنا قد ملنا في التمهيد بين يدي هذا الغرض . فإن تلك المقدمات لا تخو من أثر بعيد أو قريب فيما نحن بمبيله .

هذا ، وينبغي أن تعلم أن هذا المقام لا يتسع . بالضرورة ، لمرض كل شمائله ، وتحليله جميع فضائله ، واستقصاء جملة الشواهد عليها . والآثار المثبتة لها . على أن هذا جميعه مبسوط في كتب السير . فليطلبه فيها من يريد تفصيله . وإنما نجترى هنا بإيراد صدر من أمهات الفصائل وعرض شواهد منها . مستمدين من كتاب الله تعالى . ومما أثر عن وثوق الرواة وأصدقهم من أمه كرام ، وصحبه العظام . وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

شمائل النبي صلى الله عليه وسلم

في أصول الفضائل ، خلقية كانت أو مكتسبة ، تدور في : (١) وفور العقل وذكاء الجنان .
(٢) فصاحة اللسان وبراعة المنطق - (٣) الشجاعة والنجدة - (٤) الجود والكرم - (٥) العدل
ورمائه والعفة - (٦) الحلم والصبر والعفو - (٧) الحياء والإغصاء - (٨) الأدب والتواضع
وحسن المعاشرة - (٩) الشفقة والرحمة - (١٠) الوفاء وصدق العهد وصلة الرحم - (١١) الوفاء -
(١٢) الزهد .

وفور العقل وذكاء الجنان :

عقله . صلى الله عليه وسلم ، وذكاء لبه ، وصدق رأيه ، وعظيم حكمته ؛ فلقد كان من ذلك كله في موضع لا يلحقه غيره ، ولا يتعلق به سواه . قال تعالى : « وأنزلنا عليك الكتاب وحكمة » . وحسبه ، بعد هذا ، ما تظاهرات عليه الكافة من وفور عقله ، وذكاء جنانه ، وقوة حوسه . وصدق رأيه . وصحة تدبيره ، وحسن قيامه على سياسة الأنام ، وتقرير الشرائع ، وتبيين أصول الأخلاق ، وتعبيد قواعد الآداب ، إلى ما في كلامه . صلى الله عليه وسلم ، من تعالى برعة ، والحكم لرائعة ، حتى لتتخذ كتبه في أي سبب من الأسباب أصلاً بين العلماء عوامهم عليه . ويردون قضاياها إليه ، وإلى عمه بسير الأولين . وفقهه في شرائع الرسل الخالين ، وحسنه بأمور الدنيا . وإصابته بعلوم الحياة ، كل ذلك دون سابق تعليم ولا مدارس ولا تدريب ولا شيء مما يفتق العقل ويفسح في الملكة . ويفرس العلم ، ويقوم الفهم : بل لقد كان صلى الله عليه وسلم أمياً لا يكتب ولا يقرأ ، ولا يعرف أنه جلس إلى معلم ، أو شق له كتاب ، فزادت أن تتقرى سبب هذا وتعرف علته ، فاطبه في قول الله تعالى : « وعلمت ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » .

فصاحة اللسان وبراعة المنطق :

أما فصاحة لفظه وبراعة منطقته ، فلقد تعلم أن العرب كانوا أصحاب فصاحة . وهرطقة وذراية ، وقوة بديهة ، وبراعة ارتجال . يتبارون في هذا ويتكاثرون به ، ويعقدون لأسون الجامعة له طلباً للسبق ورغبة في التبرير ، حتى إن المعجزة الجلى التي أمد الله بها محمد صلى الله عليه وسلم وأيد بهادعوته على وجه الزمان إنما جاءت من هذه الناحية وتوجهت على هذا الوجه . وهي القرآن الكريم الذي عاجز القوم في أساليب فصاحتهم . وتحداهم في منازع بلاغاتهم « فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » . « فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين » . فشكروا واخذوا . وعى بذلك خطباؤه ، وخرست السنة مقاويلهم . حتى لقد آثروا أن يعارضوا السيف دون معارضته ، وحتى لم يبالوا في هذا إعلان المعجز والكشف عن السوأة « وقالوا لا تسموا لهذا القرآن والفوا فيه لعلكم تغلبون » .

ولا يذهب عن فطنتك أن رسولا يبعث وحجته الكبرى على صدق دعوته ومعجزته العظمى لتأييد رسالته هي الفصاحة ، لا ينبغي أن يلاحقه الحصر . أو تحتبس لسانه للكفة . فضلا عن أن هذا إذا كان دلالة نقص معيب عند جميع الأمم فهو عند العرب عيب ، وهو عذر أزرى وأقبح . وعلى هذا تعلم أن الرسول العربي ينبغي أن يكون من فصاحه الاسار وبراعة المنطق بالمكان الرفيع : بل ينبغي أن يكون أفصح الناس جميعا . ولقد كان كذلك صلى الله عليه وسلم . وهنا يجب علينا أن ننبه إلى أن كون النبي صلى الله عليه وسلم من فصاحه اللسان وبلاغه المنطق بهذا الموضع لا يقدح ولا يمكن أن يقدح في تنزيل القرآن الكريم . فإن بلاغته مها علت على بلاغة قومه فهي منها ، وهي موصولة بها ، وهي جارية على أسلوبها . وكل ما يبدو للناقد البصير من الفروق في هذا الباب مثل ما يبدو له بين شاعر وشاعر . أو بين كاتب وكاتب . أما بلاغة القرآن فشيء آخر . وحسبك أن تعرف أنه من كلام الله لا من كلام البشر . كانه يشمر أبلغ البلغاء أنه ما يفوق طاقة الإنسان وتمحز عن محاكاته الطبيعة البشرية : فهد له يجرءوا على هذا ولم يتكلفوه ، على شدة عنادهم وفرط إلحاحهم ، ومن تكلف ذلك منهم فقد أسف وسقط ، وأتى بالفت البارد المضحك من الكلام .

ونعود بعد هذا إلى فصاحته صلى الله عليه وسلم . ولقد قال له أصحابه : ما رأينا لدى من أفصح منك ! فقال : « وما يعنني ؟ وإنما أنزل القرآن بلساني : لسان عربي مبين » . وفي مرة أخرى : « بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد » . قال بعض العلماء في توجيه ذلك : لقد جمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ، ونضاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها .

وفات أم معبد في وصفها له: حلو المنطق ، فصل لا تزر ولا هذر ، كأن منطق خرزات نظمن .
ومن جوامع كلمه ، ومأثور حكمه : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده . المسلمون
تكاثر دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم . وهم يد على من سواهم . الناس كأسنان المشط ،
والمرء مع من أحب ، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مآرى له . الناس معادن . ما هلك أمرؤ
عرف قدره . والمستشار موفى . وهو بالخيار ما لم يتكلم . ورحم الله تبدأ قال خير أفغنى
نوسكت فسلم . وإن أحببكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون
كفاء ، الذين يألفون ويؤلفون . اتق الله حيث كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالف
الناس خلق حسن . خير الأمور أوساها . أحب حبيبك هوناً ما . عسى أن يكون بغيضك يوماً ما .
ظلم طغات يوم القيامة . حي الوطيس . مات حتف أمته . لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين . السعيد
من وعظ بغيره .

الشجاعة والنجدة :

كان صلى الله عليه وسلم من الشجاعة والنجدة بالمكان الذي لا يلحق ، حتى لقد قالوا : إنه
من شجاع إلا وقد أحصيت له قرة ، وحفظت عنه جولة ، سواء صلى الله عليه وسلم . سأل
رجل الرأى بن عارب رضى الله عنه : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر . ثم قال : لقد رأيت على بقلته البيضاء وأبو
سعين حذ بلحامها ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .
فيل : فما روى يؤمئذ . أحد كان أشد منه . وروى مسلم عن العباس رضى الله عنه ، قال : فلما
شئى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفض
عنه نحو الكفار . وعن علي رضى الله عنه : إنا كنا إذا جئ البأس وأجرت الحدق اتقينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإيكون أحد أقرب إلى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر
وحر بود بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً .
وشر نس بن مالك رضى الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وسلم ، أحسن الناس ، وأجود الناس ،
وأشجع الناس : لقد فرغ أهل المدينة ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتنقاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم إلى الصوت . واستمر الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف
في عنقه . وهو يقول : لن ترأوا . وعن عمران بن حصين رضى الله عنه : ما لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب . ولما رآه أبي بن حلف يوم أحد وهو
يقول : يا محمد ؟ لا نجوت إن نجا . وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم — حين اقتدى يوم

بدر —: عندى فرس أعلفها كل يوم فرقامس ذرة أفتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أنا أفتلك إن شاء الله. فلما رآه يوم أحد شد أبى على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هكذا! أى حوا طريقه، وتناول الحربه من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر، عن ظهر البعير إذا انتفض. ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه فى عنقه طعنة نذراً منها عن فرسه مراراً، وقيل بل كسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع إلى قريش يقول: قتلتى محمد، وهم يقولون لا بأس بك. فقال: لو كان مابى بجميع الناس لقتلهم! أليس قد قال لنا أفتلك، والله لو بصق على لقتلنى. ومات بسرف فى ققول القوم إلى مكة.

الجود والكرم:

لقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، من هذا ما لم يبلغ. ونال منه ما لا ينال. عن ابن عباس رضى الله عنهما: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وأجود ما كان فى شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة. وعن جابر رضى الله عنه: ماسئله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء فقال لا. وعن أنس رضى الله عنه: أن رجلاً سألته فأعطاه غنماً بين جبلين. فرجع إلى بلده وقال: أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى الله. وأعطى غير واحد مائة من الإبل. وأعطى صفوان مائة. ثم مائة، ثم مائة. ولقد ردنى هوأذن سباياها، وكانوا ستة آلاف. وحمل إليه تسعون ألف درهم، فوضعت على حصير. ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها. وجاءه رجل فسأله، فقال: ماعدى شىء. ولكن ابتع على فاذا جاءنا شىء قضيناه. وعن معمر بن عفره رضى الله عنه: أثبت التى صلى الله عليه وسلم بقتاع من رطب (يريد طبقاً) وأجر من زعب (يريد قنأ) فأعطانى ملء كفه حلياً وذهباً. وعن أنس رضى الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لعدو. وأخبار بره وجوده وكرمه مما لا يتسع لاستقصائها مثل هذا المقام. ومهما يكن من شىء فإن مما يزيد فى علو هذه الشيم، ويضاعف من قدر هذا البر والكرم. أن يقع ممن يعيش عبس أقل الناس مالاً، وأرق المساكين حالاً. وناهيك بمن لم يشيع يومين متتاليين حتى من حر الشعير. وسيجى هذا فى الكلام على قناعته وزهده صلى الله عليه وسلم.

غير العزيز البشرى

حذرين

للاستاذ على الجارم

طائر يشدو على فنن
قام والأكوان صامته
هاج في نفسي وقد هدأت
هزه الشوق إلى سكن
ويك لا تمزع لئابة
قد يراك الصبح في حلب
أنت في خضراء ضاحكة
أنت في دوح مهدلة
جاثب بالزهر مقتبط
في يديك الريح ترسلها
ياسليان الزمان ! أفق
وابعث الألحان مطربة
غن بالدنيا وزينتها
وبقيعان هبطت بها
وبأزهار الصباح وقد
وبقلب شفه وله
كل شيء في الدنيا حسن
خالق الأكوان كالؤها

كان لي إلف فأبعده
أنا مدد الدهر أذكره
قد بينا العش من مهج
من لدنه الود أخلصه
كانت الأطياف تحسده
فدر عني وأبعدني
وهو مد الدهر يذكرني
غسلت من حوبة الدرن
والوفا والطهر من لدني
جنة المأوي وتحسدي

وظننا أن نعيش به
فرمت كف الزمان به
طار من حولي وخلقتني
ونأى عني وما فتئت
ومضى والوجد يسبقه
إن تزر ياطم دوحته
ورأيت «النهر» مضطرباً
عبثت ربح الشمال به
فأنشد الأطيبار واحدا
وترث في المقال له
صف له يلطير مالتيت
صف له عيناً مقرحة
صف له روحاً معذبة
ياخيلي، والهوى إحن،
إن رأيت العين ناعسة
أو رأيت القصد في ميس
قد نعمنا بالهوى زمناً

عيشة المستعصم الآمن
فكان العيش لم يكن
للجوى والبث والحزن
نارعات الشوق تطرقني
ودموع العين تسبقني
بين زهر ناضر وجني
وائباً كالصافن الآرن
فطفي غيظاً على السفن
في الخلى والحسن والجدن
قد يكون الموت في اللسن
مهجتي في الحب من غبن
لآني الدمع لم تفسن
ضاق عن آلامها بدني
لا رماك الله بالإحن
فترقب يقظة ألفتن
فاتخذ ماشئت من جنن
وشقينا آخر الزمن

على الجارم

مخاطرات السباب

أو الأميرة الهندية

رواية مصرية غرامية أخلاقية اجتماعية

حافلة بالمواقف النبيلة والمفاجآت العنيفة

تجمع إلى الحب المعذري تحليلاً دقيقاً لأهم خواص النفس العلوية الشريفة.

بقلم الأديب: حسن رشاد - عهد التريية

منقحة ومصدرة ببحث في أدب القصة وتطورها بقلم صاحب «المعرفة»

صفحاتها ٢٠٨ وغناها ٥ قروش مصرية تطلب من المؤلف أو من إدارة «المعرفة»

طرائف لغوية

للأستاذ فؤاد حسنين على

ليسانسيه في الأدب العربي واللغات السامية

وعضو بة الجامعة المصرية بالذينا

أبلة

كلمة شائعة في اللغة العربية المصرية وهي سامية الأصل ، وإن كنت لا أعرفها في اللغة
مسيحية . فهذه اللفظة أكديّة : بلتي belti ، ومعناها سيدتي (الهمة في اللهجة الحديثة
رثية . ومثال ذلك كثير ، فنلاحظ عوضاً عن يدي يقال ايدي ، والاستعمالين : براهم
وراهيم . . .) ، وبلتي beliti . بمعنى سيدتنا في اللغة الدينية ، ثم انتقل هذا اللفظ إلى
آرامية : بلتي : أو : بلتيني ، ثم إلى اليونانية : بلتيس belis ، ومنها إلى بعض اللغات
أوربية الحديثة للتعبير عن (سيدتنا) مريم ، ففي الإيطالية نجد ذلك المعنى ترجم بكلمة
... ٨٨ وفي الفرنسية Notre dame وهلم جرأ .

ابليس

كلمة أجنبية دحيلة في اللغة العربية ، وهي يونانية الأصل : ديابولوس Diablos : ثم انتقلت إلى
لغة الآرامية ، ثم ظن فيها بعد أن المقطع : دي di هو ضمير الإضافة في الآرامية فحذف ،
ونقي لفظ إبليس .

ابن آدم

تعبير سامي قديم جداً في اللغات السامية . ويرجع إلى الأكديّة . إذ ورد فيها : مار آمل ،
mar am . ومعنى هذه العبارة : ابن الإنسان ، وخاصة الإنسان الحر الشريف . ومنها
انتقل هذا التعبير عن ترجيح معظم العلماء إلى العبرية ، إذ جاء فيها : بن آدم ban adam .
ومنها إلى الآرامية برناشو bar--(c)nashu ثم إلى الحبشية : أولاد آدم ، وإلى العربية ابن آدم .

آسي

لفظ اشتركت فيه الشومارية (لغة سكان بابل وأشور قبل تزوح الأخيرين إليها) ، والمصرية

القديعة . فهو في الأولى : أزو aza وفي الثانية : سيه . ومعناه في اللغتين : المخبر عن الماء .
ونلاحظ في الصعيد . وخاصة في أسبوط حتى اليوم . أن السقاء عند ما ينادى على الماء يقول
سيه seh ، وقد تمّ كان المبشر بالماء كالمبشر بالحياة . ومن إحدى هاتين اللغتين (٩) استمد
الأكديون هذا اللفظ : أسو asu بمعنى طيب ، وعندهم أخذته الآراميون . فلفظ آسيا
معناه طيب . ومن الصيغة الاسمية اشتق الفعل : آسى assi : ومعناه يشفى ، وآسيوتا assuta
بمعنى شفاء ، ومنها انتقل اللفظ إلى العبرية : آسى بمعنى ضييب . وإلى الحبشية : آسو asu
بمعنى يشفى و : أسوت asot شفاء .

بربر

قامت حول هذه الكلمة خصومات لغوية عنيفة ، تارة بين رجال فقه اللغة اليونانية واللاتينية .
وأخرى بين هؤلاء . جميعاً ورجال فقه اللغات الشرقية . ذلك لأن هذه الكلمة مقسمة بين
الشرق والغرب . وحقيقة الأمر أنها شومارية الأصل . فلفظ : بر bar معناه : أجنبي وري
وقد جاء هذا اللفظ ضمن اسم حيوان مفترس . أور - بار - رو ur-bar-ru بمعنى الكلب
الأجنبي (البري) ويقصد على ما يظن الدئب .

ثم عن الشوماريين أخذوا الأكديون للدلالة على المعنى المنتشر الآن ، فلفظ بربر
barbaru بتكرار الكلمة للتأكيد . وهذا شائع منتشر في اللغات السامية يلاحظ في العربية
لملم : ورشرش . ومنها انتقل اللفظ إلى اليونانية ، برباروس barbaros واللاتينية أيضاً برباروس
barbarus . وإلى سائر اللغات الحديثة تقريباً الشرقية (السامية بنوع خاص) والغربية
بربر barbar .

بريد

كلمة سامية الأصل بخلاف ما ذهب إليه بعض العلماء . من أنها دخيلة أخذت عن اللاتينية
فريدوس veredus ، والعكس هو الصحيح . فقد وردت في الأكديّة : بريدو ، أو : بريدو
piridu ، puridu ومعناها . السريع في مشيته ، أو : ساق (ماشي) ثم بمعنى . الرسول السريع .
ونلاحظ في الآرامية مادة : فرد (برد) berad بمعنى طار أو هرب .

ونلاحظ في العبرية أيضاً . برد qared . بنفس المعنى وبمعنى يقل أو أي دابة من دواب الخيل
ومن هذه الكلمة نلاحظ في السريانية أيضاً : بردون bardimā ، وانتقلت إلى العربية :
برذون ، وليس من الصواب مطلقاً زعم بعض اللغويين أن هذا اللفظ مأخوذ عن اللاتينية .
بردو ، أو ، بردس ، burdo ، burdo أو من اليونانية : بوردون Bourdon .

ومن المادة السامية الكلمة العربية الفارسية بريد ، ومعناها الرسول السريع ، أو الحصان سريع ، ومن الأخيرة أخذ اللفظ اللاتيني فريدوس veredus ، وفي اليوناني المتأخر بريدوس Bereidos .

بللور برليانت

كلمة سامية أخذها الغرب عن الشرق فهي في الأكديّة بورللو . burullu وهي نوع من حجارة . ومنها انتقلت إلى اليونانية برلوس Berullos ، ومنها إلى اللغات الأوروبية الحديثة . مثلاً في ألمانية Bervel وفي الإنجليزية beryl وانتقلت إلى الألمانية : برللا Lulle أي نظارة ، وكلها من سامية الأكديّة التي انتقلت منها إلى السريانية ، بللورا cellura وبلولو Berulla ثم بالعربية بللور ، وإلى الحبشية بللور ، وبرلي Bellur; Berelli . وفي الحبشية الحديثة : برللا Br بمعنى إبريق زجاجي .

ثم من هذا اللفظ أيضاً ظهر في بعض اللغات الأوروبية فعل : برييه Briller بمعنى يسنع أو يلمع ، ومنها برليانت Brillant .

تلميذ

في الأكديّة مادة : لمدو lamādu بمعنى يعلم ، وخاصة تعلم حرفة فنية أو علوم ، وانتقل هذا اللفظ بمعناه إلى العبرية ، ومنها كلمة تلمود ، ثم إلى الآرامية : تلميذا talmidā . ثم إلى العربية المتأخرة : تلميذ talindu ، وإلى العربية (تلميذ أولاً بمعنى مساعد الحداد) .

تهامة

في الأكديّة ، تيامتو : أو : نامتو tiāmtu, tāmtu ، ومعناها بحر ، أو : تيامّة tiāmat ومعناها تقريباً : هول البحر ، ويرجح أن منها الكلمة العبرية ، تهوم tehom ، وجمعها تهومات . ثم بمعنى الماء القديم الخلقة : أو تقريباً : الطوفان ، ثم إلى العربية تهامة . تطلق على الأرض المنبسطة على الشاطئ الجنوبي الغربي لبلاد العرب .
وبلاحظ في العربية أيضاً : تيه . وتاه . وفي السريانية . توه toh .

ثلج

في الأكديّة . اشلكو ashilaku ، ومعناها تقريباً . يبيض ، أو ، غاسل الملابس البيضاء ،

وانتقلت إلى العبرية واليهودية الآرامية، اشلاج āshlag، أو اشلجāshlēga، أو اشلكashlan بمعنى رغوة الصابون مستعملة عند الفيل، ثم انتقلت اللفظة بعد ذلك إلى لسان العامة بمعنى حجر وهو الثلج، فأصبحت في العبرية المتأخرة شلج sho'eg، ومنها إلى العربية ثلج.

خروب

في الأكديّة. خروبو kharubu، ثم انتقلت إلى الآرامية، حروباً. أو حرور، (khārūbā, kharrūba) ومنها إلى العربية. خروب، أو. خرنوب. ومن اللغات السامية انتقلت اللفظة إلى اليونانية المتأخرة خرُوباً، karrouha وإلى اللاتينية المتأخرة كروبيوم carrubum، ومنها إلى الإيطالية كروبا carruba، والفرنساوية. كروب caroube، والانجليزية. كروب caroub، والألمانية. كروب Karube أو Karobe، والاسبانية. جروبو garrobo.

دين — مدينة

في الأكديّة. دينو denu, dinn، ومعناها قضاء أو حق. والفعل. دينو den بمعنى يقضى و. ديان dajjenu بمعنى قاض، ثم انتقلت إلى العبرية والآرامية. دين : دين dān, dāna، حكم أو قضاء؛ والفعل منها دانَ dan أى يحكم أو يقضى، واسم الفاعل : ديان : دى : دين : dajjan, dajjina، ومنها مدينة ومعناها : مكان القضاء، وانتقل ذلك إلى العربية. دين. والحبيشة، دَين، والعربية. مدينة.

واستعمل كلمة دين في العربية بمعناها الدينى، إما يرجع إلى اللفظة الفارسية. دين بمعنى عقيدة أو ديانة، أو اللفظة الأكديّة. دينو de(ī)nu.

سومن

مصرية قديمة، ششن sshu، وفي القبطية شوشَن sa, shen. ومن المصرية القديمة إلى الأكديّة. ششانو sheshanu، ومنها إلى العبرية. شوشن shōshōn ثم إلى الآرامية. سوسا shuzantō والعربية. سوسن. ومن اللغات السامية انتقلت إلى اليهودية. سوسون sōson.

شيبنة

في الأكديّة، سوسبينو، أو شوسبينو shu-sipinu, shu-sipinu بمعنى دليل. ثم انتقلت إلى الآرامية. شوشينا shaushebinō أو shoshebita، بمعنى دليل العروس.

شُقَّة (غطاء النساء في الصعيد)

لفظة غربية سامية الأصل لها معنيان، أخذت اللغات الهندية الأوروبية معنى، واحتفظت اللغات السامية بالمعنى الآخر.

فى الآكدية . شاقو shaggu بمعنى (جوال) لحفظ الخنطة أو الدقيق أو بمعنى ثوب يس للتكفير عن الخطايا أو النقشف . ثم انتقلت إلى العبرية . ساق sag . ثم إلى الآرامية تدعى في حالة الجمع . شقون shegon ثم بعد ذلك سقاقا saggala . ثم إلى الحبشية : شق shag . ومن السامية انتقلت إلى اليونانية ، ساكوس sakkos . واللاتينية : ساكوس saecus ، والألمانية . ساك Sack ، والانجليزية أيضاً . ساك sach وهلم جرا .

شيت

في الآكدية . شتو shatu بمعنى نسج . ومنها إلى العبرية . شاتا shata ، ثم . شتي sheti ، بمعنى سيج (و قماش) . ثم إلى الآرامية . شتا shetō أو اشتي ashti بمعنى نسج ، والاسم . شتيا shitya نمر (قميص) . وربما كان للفظه العربية . سدى ، أو . ستي ، صلة بهذا .

عدن

أخذها الآكديون عن سكان البلاد الأولين، أعني الشوماريين، فاللفظ . ادينو معناه البرارى أو الصحارى . ومنها انتقل إلى العبريين عدن Eden للدلالة على المنطقة التي فيها الجنة، فعدن ابن بادى الأمر ليست الجنة، بل الجنة في إقليم عدن . نذكر في القرآن الكريم : جنات عدن، ثم بعد ذلك انتقل هذا اللفظ إلى الشعب وتحور معناه قليلا وأصبح بمعنى . نعيم أو بهجة وسرور .

فتيلة

يرجع لها المصرية قديمة بتر ptr . ومنها إلى الآكدية . بتيلتو puttu بمعنى حبل ، وعما أخذتها العبرية . بتيلتا petilta بمعنى فتيلة (شريط) المصباح ، ثم انتقل إلى العربية - نلاحظ مادة قتل - وكذلك الحبشية .

ومن اللغات السامية استعار اليونان هذه الكلمة : فتيلين Fetilm أو . فتيلون Fatlion ، بمعنى فتيلة (شريط) المصباح .

فؤاد حسنين على

إعجاز القرآن

بقلم الأستاذ السباعي السباعي يومي

المدرس بدار العلوم العليا

تقدمنا في العدد الماضي بكلمة عن أثر الإسلام في العرب وفي لغة العرب، اتهمنا منه على أن ذلك الأثر حساً ومعنى يرجع إلى الكتاب أولاً وإلى السنة ثانياً. وقلنا في تلك النهاية: «ومن يجب أن تكون للقرآن دراسة مستفيضة تشرح ماله باللغة من علاقة - وفي شتى نواحيها من تأثير، ومن بعده تكون دراسة الحديث».

لهذا اعترضنا أن نشر على قراء «المعرفة» بعض ما لنا من ثبوتات عن القرآن من حيث إعجازه وفصاحته وبلاغته، بادئين منذ اليوم بالإعجاز، وكلنا ضراعة إلى الله أن يجير رائدنا التوفيق.

كلمة عامة في الإعجاز

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم - يحمل إلى العرب - في غير مواربة - دعوتهم إلى الخروج من دينهم والإقلاع عن كثير من عاداتهم وصفاتهم خروجاً يتجردون به عما كان يعبد أبؤهم. ويغيرون من أجله صفات الأشياء الواقعة بين أيديهم فيحبون كثيراً كان منعاً حراماً. ويحرمون أكثر منه كان طلقاً حلالاً، ثم شاء أن تكون معجزته إليهم وفق ما كان للأبيس عليهم السلام قبل. أي في الباب الذي يعرفون لأنفسهم فيه نبوغاً ويدينون بأن لهم على ولوحه قوة واقتداراً، وهو باب الإعراب والبيان. فقد عرف ذلك عن العرب ولهم منذ القدم. وم يزالوا يذهبون به قدماً، ويرقون فيه صعداً. حتى جاء الإسلام وقد بلغوا فيه المنبع الذي لا يداني، وعوا في الفصاحة والبلاغة عواً كبيراً. حتى عقدت لذلك أسواقهم وزحرت به مجامعهم وأنديتهم.

شاء الله ذلك فأنزل كتابه إلى محمد بأسلوب رائع، وبيان بهر. يدعوهم إلى صدقوا إلى الخروج عما هو لهم مما بينا، وإنه لمسير على النفس - وهي بنت الوراثة والعادة - أن تترك ما كان عليه الآباء والأجداد، وتخلص من عادات اختلطت فيها بالدماء واللحوم. فإن أبوا إلا طغياناً وكفراً وتكذيباً محمد فما قال إنه من عند ربه وهم ما كان لهم أن يقرروا على ماورئوا، وعلى محمد أن يقبع في داره تاركاً ما ادعى. ولكن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو شيء من مثله، إن كانوا صادقين.

نحدهم الكتاب هذا التحدى وحذ يتنزل في المقدار الذي به يتحداهم من القرآن كله إلى
نفس سورة واحدة في عبارة قارصة وسخرية لاذعة، وهذوؤ الأنفة والحمية والغضب
لذعة المصرية، واضعاً هذا الإتيان في كفة والإلقاء إلى محمد بالسلام في أخرى، وما كان محمد
بنى لعشيرة المتحجعة المتدافعة، ولا الكثرة الموالية المناصرة. فان عشيرته الأدين كانوا عليه
لا به صامدين ضده لا معه، وهو ذلك الرجل الذي نشأ يتيماً فقيراً لا يملك من حطام هذه الدنيا
شيئاً. ولا من حاهها كثيراً ولا قليلاً، سوى ما هيأه له المولى جل شأنه من استكمال صفات النبوة
وأنوار ما تحتاجه هذه الدعوة. فتركوا الإتيان بشيء من مثل هذا القرآن وهم فرسان الفصاحة
ورجل البيان. وفضوا أن يبهوا مخذولين مهوورين. تاركين حميتهم وأنتقمين ينالها ما لم يترك
سهم من حزي وعار، وأنصارهم وشبههم يتسلطون إلى محمد لو ادا مؤمنين بما ذلك وعن أي
نبي يكون؟ إنه للدليل الناصع والبرهان القاطع على أن أولئك القوم قد عجزوا عن التكلم
مثل هذا القرآن. ولو قدروا لتكلموا ولقارعوا محمد بالحجة بالحجة، وأخفوا حتى تسقط دعواه
في يده، وتقع نبوته صرعى لا ترى لها من مقيل.

على أن محمد لم تكدهم تتجمع حوله الأنصار والأتباع، ويحسر شيئاً من القوة المادية والمتاع،
حي تنقل من الدعوة باللسان إلى الدعوة باللسان، فشن عليهم الغارات تلو الغارات، ولم يرل
سدهم بها ويرأوهم. وهو في كل ذلك يتحداهم. فديك منهم إزاء هذا الموقف الجديد في
خشوته، الثقيل في شدة وطأته عليهم وقوته. إلا ركوبه أيضاً كما يركب المضطر صماب الأمور
وفش المرغم عجزاً ما تعافاه النفوس، ثم لم يرل يعمل فيهم السيف لا سعادهم وهم كارهون،
وبقت منهم العصانيد وهم راغمون، ويحتل عليهم الديار وهم وادعون. ضيلة من الزمن كافية
لإخراج لصدور، وإخراج ما عسى أن يكون في الكنانة من سهام. فلم يجيبوا عن هذا التحدى
عن كثرة ما أخرجوا، ولم ينثروا من كنانتهم غير الذي ثروا. وبذا حققت عليهم كلمة الإعجاز،
وكان الذين آمنوا بها أضعاف من آمنوا بالسيف والقتال. وصح لكل إنسان أن يسوق
منه دليلاً على الإعجاز إلى كافة الناس دون حاجة إلى التعرض لآلوه الفنية للإعجاز،
ولا شرط الوقوف على العلوم اليلافية فيمن يساق إليهم هذا الدليل. ولقد حدث الجاحظ
في هذا الموضوع، قال.

بث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، أكثر ما كانت العرب شاعراً وحطيباً. وحكم ما كانت
مه. وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها ودناها، إلى توحيد الله وتصديق رسالته. دعاهم بالحجة.
منع المذروا زال الشبهة وصار الذي يمنهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهن والخيرة،
منهم على حضهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا له. وقتل من عليتهم وأعمامهم وبنى أعمامهم

وهو في ذلك يحتج عليهم بالقراآن ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً
بسورة واحدة أو بآيات يسيرة، فكلما ازداد تحدياً لهم بها وتقرباً لعجزهم عنها، تكشف من
تقصهم ما كان مستوراً، وظهر منه ما كان خفياً. فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة، قالوا له: إن
نعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال: فها توها مفترية. و
يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك. ولو سهر
لوجد من يستحيده ويحامي عليه ويكافيه، ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض. فدل ذلك
المعاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستجابة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة
شمرهم. وكثره من هجاء منهم وعارض شعراء أصحابه وحضباء أمته. لأن سورة واحدة
وآيات يسيرة كانت أقض لقوله، وأفسد لامره. وأبلغ في تكذيبه، وأسرع في تفريق أئمنه.
من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإتفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي
لا يخفى على من هو دون قريش: العرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيدة العجيب
والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصائد الموجزة. ولهم الأسجاع والمزدوج والنبذ
المنثور.

ثم تحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدنانهم. فقال: أكرمك الله. أن يجتمع هؤلاء
كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقرير والتقص والتوفيد
على العجز، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه.
والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة؟ وكما أنه محال
أن يطيقوه ثلاثاً وعشرين سنة في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه وهو يرموه،
ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه.

هذا ما قاله إمام المترسلين وزعيم البيانين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في لإدلال على
عجز العرب عن مجازاة الكتاب كان حقاً واقفاً. نقله التواتر الصحيح الذي لا يتطرق إليه
شك ولا تأويل. ولقد رأيت إثباته هنا إداماً لما قد مت عن هذا العجز وتأيسد، وهو الحجة
البالغة والبينة القاطعة لمن لم يرد الدخول فيما سنأني عليه من تفاصيل الإعجاز وبين
الوجوه التي اعثورها في شأنه العلماء، أو هو مقدمة لما سيكون إن شاء الله.

السباعي السباعي

ثقافة مصر

هل تكونه عربية أم فرعونية؟

هذا عنوان لمناظرة دارت بين الأستاذين عبد الله عفيفي المحرر العربي بالديوان الملكي، وحسن صبحي المحرر بجريدة البلاغ، دما فيها الأول إلى العربية، ودعا الثاني إلى الفرنية. وقد أيد الأول كثيرون، منهم الأستاذة: زكي مبارك، والسباعي السباعي بيومي، ومحمد الطراوي، وعبد العزيز الاسلامبولي. وانتصر للثاني آخرون من الأدباء، يحضرنهم اسم الشيخ عبد الجواد رمضان. وقد فازت فكرة العربية على الفرعونية، وتلخصت جريدة «البلاغ» الغراء أقوال الفريقين، ومنها رأى صاحب «المعرفة»؛ وهو ما نقله هنا كما ورد بنصه في «البلاغ» عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٣. وقد كنا نود كتابة بحث واف في هذا الموضوع، وتأييده بما كتبناه في عدد أغسطس سنة ١٩٣٣. قبل ذبوع هذه النمرة أخيراً، ولكننا اكتفيننا بنشر هذا الملخص، راجين أن تقف المسألة عند هذا الحد.



رأى الأستاذ الاسلامبولي

لست أعدو الحق حين أقرر أن الفريقين يختصمان في غير قضية، ويتناظران في غير نهوى. ولو سلمنا جدلاً بوجود اختلاف في فكرتيهما، فإننا نراه خلافاً في المرض دون الجوهر، وتنازعا على القروع لا على الأصول.

فإننا مثلاً سلم جدلاً بأننا فراعنة، وبعبارة أصبح مصريون، على حد التعبير الأخير الذي رفضه رميل الأستاذ صبحي بعد عدوله عن التسمية الأولى.

وسواء لدى أعدلت التسمية أم لم تعدل، فإنني أوافق زميلي على طول الخط، لكي أجرة لا اعتراف بأن دعواه تحمل في ثنائياها أدلة العروبة، والعروبة الصادقة إلى أقصى حد.

وإن ذلك أن عماء الآثار (وهذا هو المنطق الذي يحاجنا به الزميل، والسيف الذي

يرفعه في وجوهنا) وعلى رأسهم الأستاذ برستيد عالم الآثار العالمي والمؤرخ الأمريكي المعروف
قرر أن قدماء المصريين دخلوا مصر من الصحراء الشرقية ، كما قرر أيضاً أن قبائل حريهم
جاءت من الصحراء اللوية ، وأن الفريقين يمتان معا إلى السامية .

فإذا نستنتج من هذا ؟ لا شك أنا نستنتج أن الفاتحين الأولين ، أو المتوطنين الأقدمين
حرب خلص ، أو عرب لحماً ودماً إن شئتم .

وما نى أذهب بحضراتكم بعيداً ، ولا أحدثكم بما سمعت من نصف عام واحد في هذا الموضوع .
جاء مصر في هذا العام العلامة الألماني الكبير الأستاذ « هرمان جرابو » ، أستاذ الحضارة
المصرية القديمة ولغاتها بجامعة برلين ، والمعضو المختص بالبحوث العلمية في مجمع بروسيه العلم ،
وقد قضى خمسة وثلاثين عاماً — مع الأستاذ العالمي « أدولف إيرمان » الملقب بأبي الحضارة
المصرية القديمة ولغاتها — في وضع قاموس كبير في تلك اللغة ، بلغ خمسة مجلدات مجموع
صفحاتها ٢٨٠٠ من الحجم الكبير .

جاء مصر هذا الأستاذ ومعه نسخة من قاموسه قدمها لجلالة مولانا الملك . فاقترعت فرصة
وجوده بن ظهر انينا ، وقبلته في دار جمعية الشبان المسلمين ، حيث ألقى محاضرة عن ذلك القاموس .
ثم تحدثت إليه في أمور شتى ، أهمها أصل قدماء المصريين ، فصرح لي بما خلاصته ،
يرجع كثيراً أنهم من أصل عربي ، وقد نشرت هذا الحديث في مجلة « المعرفة » عدد يناير سنة
١٩٣٣ ، فليرجع إليه من شاء .

فإذا صح هذا ، وهو صحيح لا يحتمل حداً ، ثم إذا أضفنا إلى ذلك اعتراف الزميل الأستاذ
صباحي في هذه الليلة اعترافاً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض ، بمعنى ما قدمنا ، حسبنا ،
الجوهر ، واتبيننا إلى الأصل ، فإذا بالعرض يزول ، والفرع يتبع أصله . وإذن فلا دعوى
ولا قضية ، ولا خلاف ولا تناظر .

وأخيراً لست أراي أنها السادة في حاجة إلى تذكير حضراتكم بأن العالم وقت أن كانت تسد
سلطان مبسوطان أو دولتان قويتان : الدولة الفارسية التي ملكت الشرق ، والدولة
الرومانية الشرقية التي حكمت الغرب ، لم تستطع منذ أربعة عشر قرناً قوة ما ولا مدنية ما ولا
أمة ما ، التغلب على هاتين الدولتين ، غير دولة العرب الناشئة ، التي بلغت في أقل من مئتين عاماً ما
تبلغه كل من سابقتها في مئات السنين .

أيها السادة ! لقد أوجد دين العرب أمة من أشقات متفرقة ، فكانت (العرب) ولم تكن (العرب) ،
أو (التركستان) أو (الهند) أو (الأفغان) ، أو ما شاكل ذلك مثلاً .

أكنت ترى هذه الإمبراطورية الهائلة — وقد جمعها الدين في قانون واحد ، ولم شعب
[البقية على الصفحة رقم ٤٤٢]

أوروبا كما رأيتها

من حديث شائق مع الشيخ المحترم

عبد الباقي عامر بدران

عضو مجلس الشيوخ

سائح في طليعة رحلاته . وفي مستهل جولاته . ولكنه مع ذلك حقيق أن يكون في
عدة ثمة القليلة التي لا تفاخر الناس بما طلعت عليه من مشاهد الدنيا في صورها الجامدة من
أبناء وتدنيل . وإنما تفاخر الناس بأنها استوعبت الأمم في ضوء كله دراسة ، وفي كتاب
لا يحون فيه ولا هو . والذين يلتمون الدراسة الوافية في رحلاتهم إنما يكابدون ألواناً وصوراً
في مرآة من العسر والصيق . والبشر والغبطة ، لأنهم يريدون التعرف إلى كل شيء ، بعيداً
عن حرافه التي تحوطه من أعمال صالعية ، فهم مقبضون أبداً عن ضروب من التساؤل . حتى
. . . تنهوا إلى جواب شديد بلغت بهم الغبطة أقصى غاياتها . ومنتهى ما نصل إليه من حدود .
تدري بعدئذ من هو هذا « السائح » ؟ هو الشيخ المحترم الأستاذ عبد الباقي عامر بدران ،
وإن تعرفه ما في ذلك من ريب ، تعرفه من حديثه الجامع عن « السلاح والمخدر » الذي نشر في
« المعرفة » في عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢ .

وإن ملأ في هذا الحديث الطريف أفواجا من الآراء التي أتركها لك وحدك لتذيع
وحوث مقدارها وخطرها وأثرها . . . وهو حديث ابتكرته رحلة الشيخ المحترم إلى
برس وسويسرا وإيطاليا للمرة الأولى مع الصيف . ذل الشيخ المحترم :

الشرق والغرب

ليس في مقدور فصل واحد أن يجمع إليه أنباء هذه الرحلة أو مشاهداتها جملة واحدة
في شيء من التفصيل والدراسة . فكل ما في أنبائها حين يدعو إلى الإسهاب . حين يدعو
إلى الإسهاب . ولكن مع ذلك سأقصر الحديث معك على بضعة وجوه أستطيع القول بأنها
لصميم ما معنى « المعرفة » يبحثه الآن . منها ما يتصل بالتربية ، ومنها ما يتصل بالاجتماع ،
ومنها ما يتصل بغير هذين الضربين من وجوه المسائل التي يستشعر القارئ الشرقي فيها شيئاً
من النفع ، وشيئاً آخر من الخير .

وقل أن أسترسل معك في القول . أود أن أجابك بحقيقة واحدة . هي أن هذه الرحلة
من أوروبا كانت مستهل رحلاتي إلى الغرب ، وأنني كنت ألزم في التفكير فيها حالة هي مزيج

من الغبطة والرجاء ، الغبطة بما تتيحه لي من شهود الغربيين في ربوعهم ، والرجاء أن يكون
تتاج هذه الرحلة من ذلك النوع الذي يذيع في المشاعر ألواناً جديدة من الحقائق . حز
أستطيع بهذا كله أن أجيب عن ذلك السؤال الأبدي : لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق .
والواقع أن الغبطة التي توفرت عني من وراء هذه الرحلة القصيرة الأمد ، لم تسكن بالشر
المذكور إلى جانب المكسب الكثير الرائع الذي بثته منها . وهو في تفصيله وجملة حو
حاسم عن ذلك السؤال . وحجة ناهضة هي أننا نستطيع - متى أردنا ذلك - أن نسير لغربيين
جنباً إلى جنب . !

لقد يبدو هذا القول حياً واسع المدى . ولكنه لن يكون إلا حقيقة باسعة كاشمير
حين نبذل قصارى الجهود في ترويض الناشئة بضروب من التربية المألوفة في بلاد الغرب .
وعنى بها التربية التي لا تقوم على دعامة من الترهيب والتخويف والجهالة العمياء .. فإذا سنصف
أن نثبت الناشئة في كنف هذه المنزل ، كان علينا أن نخرج هذا السؤال الأبدي . ونقول
كثير من المباهاة : إن مصر قطعة من أوروبا . وإبها نعيش مع الحضارة في خفوات لانكسار فيها
ولا التواء . !

ولا خلاف على أن هذه الرحلة الأولى قد تاحت لي أن أجابه ألواناً أخرى فيها مثير ذهنة
المصري الذي يرى أن مظاهر بلاده البارزة قد احتفت أمام ناظريه جملة واحدة ، وفيها مثير
إعجابه ، وما يثير حفيظته لبعض الشيء . .

متناقضات

لقد ألقنا في محيطنا الأزياء المتعددة ، بين العمامة على ألوانها ، وبين الطرايش واقصات .
وبين ضروب أخرى من لباس الرأس ومن دثار الجسم معاً ، ولقد عشت كما يعيش المصريون
جميعهم في ظل هذه الظاهرة ، وتلك المشاهد . حتى إذا ما استقبلت في « مارسلية » وهي أول
مشاهد الغرب - إذ بهذا القلق في الأزياء يختلف جملة واحدة . ! فلا عمامة ولا طرايش ولا
أثواب فضفاضة ، لا شيء من هذا التنافر كله ، وإعما برزت الوحدة كاملة مهيبة على رؤوس .
فاستطعت أن أومن بأن هذه الوحدة في الأزياء قد أتاحت للشعب كله نحوه صدور
وإجلالاً رهيباً .. وما الوحدة إلا بث روح التعاون الذي يحى في النفوس الإحاء والخفاء
ولقد ألقنا في محيطنا المشية الهادئة الخاملة ، حتى ونحن في طريقنا إلى العمل ، وألفه هذه
التؤدة ، وأضفنا بها إلى سمات الجد والوقار . . ولكن رأيت العجب العاجب حين تهيب
« باريس » مع الصبح . ! ! حركة دائبة . السائرون عني أقدامهم يسرعون الخطوات وكأنهم في
طريقهم إلى حفل منشود ، وتلك وجوههم لا تلتفت عما حوهم إلى هذا الجانب أو ذلك ، و
هي دائماً إلى الأمام . ! . بهم في طريقهم إلى أعمالهم يسرون سراعاً ، وفي ذلك كله مثير
على أنهم قوم جادون ، وأن الوقت عندهم من ذهب . !

«ما أبون الذي حفظ صدرى . فإنه لو ن قاتم حقاً . . ! أتدري من أمره شيئاً ؟ سأهس
معه في أدن قرائت همساً ، حتى لا يبلغ إلى آذان مواطنينا الموظفين في مصلحة الجمارك . . !
لقد احتملنا حقائبنا معنا إلى الميناء . ميناء الأسكندرية ، ولقد كانت شخصيتنا من
حاشي الرسمى - عني الأقل - معروفة لموظفى الجمارك ، ولكنهم مع ذلك هياؤا لنا وقفة
سفر صويلة الأمد . حتى يقبلوا حقائبنا رأساً على عقب . فأمنت أننا ملاقون في فرنسا
وفي حارتها ضروباً من العنت متى انتبهنا إلى موانئها ، وكان حتماً على أن نومن بذلك . لأننا
والمصري لم ننج من تلك الوقفة الطويلة ، فكيف بنا حين نطلق علينا كلمة «أجنبي» ،
عني أنه أمر غريب حقاً أن يكون موظفو الجمارك في فرنسا وفي سويسرا وفي إيطاليا -
عني الرغم من أعمالهم الكثيرة الشعب - أوفر نشاطاً وأجزل سهولة ، فهم لم يقبلوا
حقائبنا رأساً على عقب ، ولم يهينوا لنا هذه الوقفة الطويلة التي تفضل بها علينا مواطنونا
وأغنياء في الثغر السكندري . وأنت تدري من وراء هذه المعاملة قوة الانتباه التي تسيطر على
ولئك غربيين فمدعوهم إلى تزويد الوظائف رجال تدل أعمالهم على الكفاءة والخبرة .
ليس في هذا ما يدعو إلى حفيظة الصدر ؟ إنى أرجو أن أباعد عن قرائك أشباه هذه
مفردات في الأزياء . وفي السعى وراء العيش . وفي تزويد الوظائف بالرجال العاملين ، حتى
تنتهي إلى جوانب أخرى . فيها ما يفصح لك عن طائفة من الأسباب التي اتاحت للفرنسيين
أن يكونوا أمة لها طابعها البارز بين الأمم جميعاً ..

الفلاح والقرية

كنت تدري أنني ألترم الحياة الزراعية أكثر العام ، وأن القرية تسام مع هذه الحياة
ببعضها الخافل ، وأنت تعلم من خصب التربة المصرية ما هو مضرب المثل ، كما تعلم من شأن
«التربة المصرية» الشيء الكثير ، فلم يكن هنالك ما يزيحني عن التفكير في معرفة الفرنسيين
من هذين الوجهين معرفة صادقة قائمة على التجارب . . . وأى شيء أقول لك إنى خرجت به من
هذه التجربة . . ؟ لن أسهب في القول ، وإنما أكتفى بأن أقول لقرائك إن الفرنسيين جديرون
باعتبارهم حقاً . . إنهم يفتخرون بكل شبر من أرضهم الصخرية التي لا رخاوة فيها . وإن فلاحهم
يسود في حلتهم النظيفة وفي مظهره الأنيق البسيط - مثلاً للرجل السكامل ، فهو يفلح
الحقل . ولكنه مع ذلك رجل مستدير يسار أحداث ممتة خطوة خطوة . وله فيها رأى . وله
وسيرها أثر ، وهو يفلح حقله . ولكنه مع ذلك لا ينسى حق بيته . فله الأسرة السعيدة .
والأحفاد الذين يشبون بين أدوات الزراعة ، وإلى جانبها ألوان من الكتب والصحف .

أمة فرنسية . فإنها جديرة بأولئك الريفيين الأصحاء السعداء . أنيقة مسرفة في النظافة ، تكتمل
فيها أسباب الترفيه . لم يقد عليها دون أن يعرف من رجالها أحداً ، فقيها المطعم والمقهى
والنزل . ولها الطابع الدال على بالغ الهدوء والدعة .

لون الحياة في باريس

وانتقل بك الآن إلى باريس ، وأنا أعلم ما تثيره هذه المدينة في أذهان قرائك لاهولة الأور . إنهم حيالها على كثير من التناقض ، يرى بعضهم أن باريس جماع اللهو والخلاعة والمجون ، وأن كل ما فيها لا حياة له إلا مع اللهو ، وقليلون جداً أولئك الذين يعترفون لها بشيء من الجدة ، وما نشئت في أن آمال الكثيرة الغالبة ستمتار جملة واحدة ، حين صار حجم القور بأن الباريسي لا يعضى طيلة يومه في دعاية ولهو . وإنما هو يسير نظاماً لا يمدود . فالأسرة قبل كل شيء ، والعمل بعد ذلك في سبيل وطنه أول كل شيء .. ثم ينصرف بعدئذ إلى الترويح عن نفسه كما يفعل كل إنسان . ولكنه يمتاز عنا بأنه يرفه عن نفسه وهو يفكر في غده . ولا يغفو في اللهو ، ولا يسرف في الدعاية . ومما يظاھر اللهو في باريس إلا أثر من اكتظاظها بالآدميين عليها من كل فج ، رجاء الترفيه وحده . أما الباريسيون أنفسهم فقلما يباعدون هذه الغواھر إلى أجلتها لك دون تفصيل ...

إن الباريسي يحمل على وجهه من بداعة الطقولة ميسم الجدة والطلاقة . لأنه يجد في جواره أبا وأما يساعده على أن يشب وفي طويته روعة الرجولة في طلاقة الرجل الحر .. تحييه في ما يريد حتى لو كان ذلك الذي يريده سيراً في غير اتجاه ، كما رأيت بمعنى . فقد شهدت طفلاً يمشي بيد أبيه ويقول له : « هيا بنا » ، وشهدت الرجل يسير صغيره دون أن يقول له : « إلى أين » أو « اقمه » أو يستعيض عن . هذا كله بلطمة تزعمه عرض الحائط ، ثم شهدت إلى ذلك مغزاً عجاً بذلك على أنهم يخرجون أطفالهم إخراجاً روحياً حتى يتأتى لهم من الأسباب ما يعرفون . الحياة على وجهها الكامل .. كان ذلك في « دوفيل » ، وكنت أسير على الشاطئ الجميل ذي رمال الناصعة — شاطئ المانش — صحبة صديق فرنسي . وكانت نظراتي كلها متجهة إلى مبحر الشاطئ من فتنة ، إلى أن وقع نظري على بضعة أطفال يجلسون حول تمساح وبأيديهم ممول من بحر ابتسرت للعب ، ولكنهم تابعوا بها أعمالاً لا تمتشى مع الألاعيب ... لقد كان التمساح حائماً على الرمال وكأنه يريد أن يتحرك . ولقد كدت أن أشفق على الأطفال الصغار من فقه أن يبتلع فيأخذهم إلى باطنه . ولكن التمساح لم يكن إلا عمل من أعمال الأطفال أنفسهم ، ولم يكن هيكله بصورته الطبيعية إلا مأخوذاً من ألوان الرمل والحصى والقواقع ، على الرغم من أنه لا يعرفون التماسيح إلا بين طيات الكتب .

أليس في ذلك أبلغ الدلالة على أن الفرنسيين يتحنون بأطفالهم إلى لون من التربية لاستقلاله التي تهيب لمواهبهم أن تنمو معهم نمواً كبيراً ؟

الأسرة الفرنسية

ويطيب لي أن أنتقل بك إلى الأسرة الفرنسية ، فأقول لقرائك إن التعرف إليها ليس — كما يبدو — هيناً سهلاً ، فإن الفرنسيين على الرغم من بساطتهم يتابعون الحذر في كل شيء ،

ربكنهم متى أمنوا جانب صديقهم الأجنبي أخلصوا له وبالفوا في إكرامه ، حتى لينصرف
 به إلى التفكير في أنهم شعبة من العرب أو أشرف المصريين .
 لقد تعرفت إلى أسرة فرنسية عريقة نامية الدوحة ، شريفة سامية الشرف ، لها الصيت
 بعيد . والجاء الواسع . وأرجو أن تعذرني من ذكر سيدها لك ، لأنني لم أستاذنه في ذلك .
 وكان تعرفني إلى هذه الأسرة منار تجربة كلها خير ونفع ، فعرفت من ظواهر الكرم الشيء
 كثير ، وأدركت أنهم لا يكرمون الضيف لقاء أحر منشود . وإنما يكرمونه ملاحين عليه
 لا يكون الأجر المنشود سوى أحذوثة طيبة يعطر بها وطنهم الخالد ، كما تحدث عنهم إلى
 مواطنيه !

الحرية والروح القومية

هذه الدعاوة الواسعة المخلصة للوطن تدعوني إلى التأكيد لك أن كل فرنسي يشعر في نفسه
 سورا عميقاً بأنه رجل مسئول .. يعنيه من شأن وطنه : الجليل والتافه ، وهذا الشعور
 وحده قد أزمهم ألا يصلحوا من شأن هذه النفرة التي تشوه إحدى بذيتهم الرسمية الجلية . لأنها
 زمر آثار قتال الألمان في الحرب العظمى : وه يريدون هذا الأثر أن يبقى ، حتى تعلم
 جباله كلها شأنه وما يرتبط به من حوادث . فلا يكون من همهم إلا أن تزكو في صدورهم
 حرارة الإيمان بحرية وطنهم الأقدس .

وله لمن أبلغ الظواهر دلالة على عميق رعايتهم للحرية : أنك لا تقع بينهم على خصومة
 عنها خلاف في الرأي . وأعنى بها الخصومة الحادة العنيفة ، فلكل فرنسي أن يجاهر برأيه ،
 وأن يشكر له الأسانيد وانحافل التي يذيعه فيها ، ولكل فرنسي أن يجاهر بعتيدته ، وأن يسام
 في عمار الأحداث التي تلتف من حوله دون أن يجد لأحد من سلطان عليه إلا سلطان
 قانون .. !

ولقد كسب الفرنسيون من هذه الجوانب الحية ، في تربيتهم وفي حريتهم ، كل مظاهر
 سنقراطية والمظام ، فأنت تعجب بهم لا يتكالبون على ركوب السيارة أو الترام . ولا يتراحمون
 حولها ، وإنما يلزم كل منهم مكانه الذي تلزمه إياه ورقة صغيرة يقتطعها من سجل
 محطة (الأتوبيس) ، فلا يعدو الرقم الذي احتسب له ، ولا يتذمر أو يشور .

وأنت تعجب بهم — وقد شاهدتهم أمام دار الأوبرا يوم عيد الحرية في ١٤ يوليو —
 ينفون وراء بعضهم بعضاً يترقب كل واحد منهم دوره في احتمال تذكرة من شباك المسرح
 نبيح له أن يشهد التمثيل ليلة العيد دون أجر . إننا هنا نتقاتل على هذا اللهو المجاني في سرادق
 مسرحيات الأفراح ، ولكنهم هناك لا يبالون أصاب واحد منهم حظه في شهود التمثيل
 أم أخطأه حظاً فتأى به عن شهوده .

أكثر ما في باريس إذن يدل على الديمقراطية الواضحة ، ولكن خير الوجوه التي تمثلت

فيها تلك الديمقراطية والتي شاهدها في زيارتي لجامعة فرنسا « السوربون »، ن، الجامعة كانت حافلة بالكثيرين من العطاء، فلما استوضحت الخبر علمت أن الرئيس الأعلى للجمهورية مبرور « ليبران » قد وفد على الجامعة ليوزع الجوائز على المتفوقين من صفات التلاميذ في امتحانهم، ولقد دلتني مظاهر البشر الواضحة على وجوه التلاميذ، وهم يتقبلون الجوائز، أن واحداً منهم لن يمتري في مستقبله عشرة تنسيه هذه الساعة العزيرة عليه.

مصر في باريس

كل هذا، ولم أذكر لك شيئاً عن مصر في « باريس »، فالآن أذكر لك زيارتي للسوربون قد هيأت لي أن أفكر في مصر بشيء كثير من حماسة الوطنية وحرارتها. ولقد فكرت في الوطن وذكرته حين علمت أن « باريس » تزدهم بالطلبة المصريين، ولكنني سفت جد الأسف وعميقه. لأن مصر - ولها شأنها في أذهان الفرنسيين أنفسهم، ولها علاقتها الثقافية بكل ما هو فرنسي - لم تأخذ مكانها اللائق بها بين مثيلاتها من الدول التي توفد بعوثها العلمية إلى باريس.

إن أكثر الأمم التي تربطها بباريس أواصر من العلم قد شيدت لها قصوراً يسكنها طلبة عهده في الدراسة، ولقد زرت قصر المفارقة: فألقيت الطلبة فيه - وفي بيت، وفي واحد - قد جمعوا شملهم واتخذوا لهم في حياتهم طابعهم الوطني المألوف، ثم تلفتت ضوياً على من أثمر على قصر الطلبة المصريين، ولكنني لم أجده ظلاً! ليس هذا بالأمر الغريب؟

إنه غريب حقاً، لأن وجود الطلبة المصريين في بيت واحد، يعني لهم أن يكونوا شمة لاتنافر بينها ولا فراق، ثم إنه يتيح لهم أن يتنافسوا في الدراسة والتحصيل. ثم هو إلى ذلك كله يربط في أواصر التعاون بينهم، فلا يكونوا حين عودتهم إلى مصر إلا قوة موحدة الطابع والنبوغ. ثم أليس محزناً حقاً أن أعلم - وأنا في « باريس » - أن طالباً مصرياً تقدمه المراسم بهيئاً أحده إلى بي كونه إلا واحد أو اثنان، لأن إخوانه لا يعلمون أين يقيم؟ ثم أليس محزناً حقاً أن يمشي الطلبة تحت رحمة القلق الذي يساور النقد « العملة »، فترتفع أجور المساكن عليهم حين تستغرق الجانب الأكبر من رواتبهم على حين أنهم في حاجة إلى التفكير في التحصيل العلمي وحده؟ إنني أضع هذه الصور المحزنة كلها حيال الحكومة حتى يكون لها من شهودها ما يغمره على أن تعجل بتشديد القصر المصري في باريس، لأنه إلى جانب ما يؤديه للطلبة من خير، يؤدي لمصر حقاً من حقوق الدعوة المحترمة عليها في كل حين.

السفارة المصرية في باريس

ومادام الحديث قد استأفنا إلى البحث في فضائل الدعوة لمصر، فدعني أذكر لقرائي بالخير ذلكم الرجل العظيم « محمود فخري باشا » سفيرنا في باريس.

إنه لمن أبعث دوافع الأسف إلى نفسي أني لم ألتق به في فرنسا، لأن برنامج رحلتي لم يهيء لي شرف التعرف إليه في تلك الفرصة السعيدة التي تاحها لزملائي حين دعيت إلى العدا.

على مدته في قصر السفارة المصرية ، ولكن الحديث الطيب الذي سمعته من أولئك الزملاء ، ومن كل مصري لقيته في فرنسا كلها ، قد أتاح لي أن أعلم كثيراً من الفضائل النبيلة التي يمتاز بها هذا الشعب العظيم ، وما من شك في أن سماعته يمثل مصر في بلاد الفرنسيين تمثيلاً ليس أصدق على بلكته وحلالته من ذلك العطف الجزيل الذي يسفغ عليه مولانا المليك ، ومن هذه الأحداث النبيلة التي يترطب بها لسان كل مصري في الخارج .

بنك مصر — فرنسا

وإن جانب الدعاية المتحة التي يقوم بها سعادة فخري باشا ، تقوم مؤسسة « بنك مصر » — راساً في باريس ، وأولئك المصريون الذين استوعبوا تلك الخدمات الجليلة التي يؤديها لهم موظفو البنك المصري في عاصمة فرنسا ، ليعتقدون كثير الاعتقاد أنهم مديون بالشئ الكثير من راحتهم إلى هذه الأيادي الطيبة التي يسديها إليهم أولئك الموظفون ، فلتكن إذن هذه الخدمات مثار حذب منا على هذه المؤسسة المصرية في بلاد السين ، حتى تقف على وجه النجاح ، وما اعتقد إلا أنها ماضية إلى النجاح حقاً ، أليست هي إثارة من تفكير ذلك الرجل حسب الفكر « محمد طلعت حرب باشا » ؟ ثم أليس الموظفون فيها مصريين يحق لنا أن نضيفهم إلى جيش الدعاة المتحمسين لمصريتنا في باريس ... ؟ دعني أحمدهم إليهم جميل صنائعهم ، وفكرهم جزيل أيادهم . فإن في ذلك اعترافاً صريحاً ما أحسبني إلا مديناً به لهم أبداً الدهر .

الدعاة لمصر

وإن لم يواثم الأسف حقاً — وأنا أتحدث إليك عن فضائل الدعاة لمصر في الخارج — أن ذكرت بأني التقيت في « سويسرا » بواحد من أهلها ، فلما تطرق بنا الحديث إلى ذكر مصر ، إذ به يحفلها وكأنها مفقودة من خريطة العالم .

عبقرة المليك

ولكنه أمر يدعو إلى وفور البشر وبالغ الغبطة أن مولانا صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول حفظه الله ، قد أدرك بسمي حكمته وثاقب رأيه ، أن الدعاة لمصر خير وأجدي من ذلك سمع الذي تلتف به ، وإذا كان جلالاته قد أسبغ آلاءه على سراقنا العامة ، ما يتصل منها بالتعليم في الأزهر وفي غيره من المعاهد والجمعيات العلمية ، وما يتصل منها بالصناعة والزراعة وما ليس من آلاف الشئون الداعية إلى رقي شعبه السعيد بحكمه وقيادته الموفقة السديدة ... إن كان جلالاته قد أسبغ هذه الآلاء الجليلة على شعبه ، فما من شك في أن عنايته السامية بالدعاة في الخارج قد هدته إلى اتهاز فرصة انعقاد مؤتمر السياحة القادم ، فأداع بين الفنانين مسابقة دعاوة عن السياحة عصر متاح للفائز الأول فيها كأساً ذهبية يحتفظ بها لعام كامل .

إن هذه الفكرة السامية تخلق لمصر تحدوثة طيبة ، وليس ابتكارها بالأمر العسير على عقرب حلاله المليك ، تلك العبقرية التي تمثل ثروة الأمة العقلية ، وفي ذلك ريب .

سويسرا

وإنما ما يثيب لي ذكره عن « سويسرا » أنها دون جدال « فندق العالم » ، وإن ما خبا

وطبيعتها الساحرة قد وفرت عليها أسباب التفرد بمشاهد لا ضريب لها بين ما رأت من مشاهد الطبيعة. أما نظافتها فيكفي للإشادة بها أن أحدثك بأني حين تركت القطار بعد سفرة طويلة من باريس كان دحان القاهرة قد زود وجهي حلا لها شيء من أخلافه. حين طلبت إلى حاد الفندق أن يتقدمني إلى بيت الماء حتى أحويه هذا الغبار، أجابني إلى ما طلبت وهو يقول: « إنك ياسيدي قادم من فرنسا. أليس كذلك؟ » ثم استوضحته السبب لأني رأيته أكبر من بديته ، فقال: أجل. إنك ياسيدي قادم من فرنسا. لأن بلادنا لا يوجد فيها هذا الغبار. غير الوطن

أما إيطاليا. فليس أدعى على الإمتاع فيها من مشاهد «فينيسيا» ، ومن مرأى «البندقية» ذات المسالك المائية الرائعة الفتاة. ومن مباحج «ميلانو» المتأققة بمآثرها الرفيعة ذات الوجود لرحمة الباعثة على أعمق معاني الغبطة والبشر. إن جو إيطاليا قد هدانا إلى غير الوطن، ولقد كانت الباخرة «أوزونيا» تتلف معاني الوادي. وكان كل شيء يهتف بنا أن الوطن خير وأبقى ..

ثقافة مصر

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٤٣٤]

تحت راية واحدة، وآخى بين أجناس أبنائها في سمط واحد — تدين لغير العرب ، وتنطق بغير العروبة ، وتنادى بسوى العربية ؟ كلا ثم كلا .

لقد رأينا العرب — وقد قوضوا ممالك كسرى وقيصر ، ونشروا سلطانهم من حدود الهند حتى شواطئ المحيط الأتلانتيكي — وهم في كل ذلك عرب لم يشب جنسيتهم شعوية ولا لغة قومية ، فكانت العصبية سر نجاحهم ، كما كان العامل اللغوي سبب ترابط مملكتهم المترامية الأطراف .

فالمدينة التي استطاعت أن تغلب على مدينتي الرومان والفرس . وأن تتغفل في أور، سبعة قرون، وتفرض سلطانها على مدينتها العلمية فرضاً؛ مثل هذه المدينة محال أن تؤثر فيها لغة كنعنة اليوم ، أو تقوض من بنيانها لبنة واحدة ففكرة لما تحتمر بعد ، أو تنال من عربة المنفعة الجانب عاطفة لم تستقر على وحى من العقل ، ولا إلهام من التفكير والمنطق .

فاطمئنا أيها السادة على العروبة ، وادكروا دائماً أننا عرب ، سواء أشاء خصومنا أم لم يشاءوا ، وادكروا إلى جانب ذلك أننا لا نهدم عزتنا المصرية ، ولا نقلل من شأن تاريخنا المصري . أو ننسى روحنا المصرية . وقوميتنا المصرية ، وتقاليدنا المصرية . ولكن ننسى شيئاً واحداً فقط . في سبيل زعامتنا المصرية التي انتشر ظلها في أرجاء الشرق وبلاد العربية جماء ، ذلك الشيء الذي نود نسيانه في هذا المجال هو الشعوية التي تقوس الأمم وتبند الشعوب . وقديماً قرر دين العرب أن لا شعوية فيه والسلام

اللغة والشعر والنثر

في جزيرة العرب

[من كتاب تحب الطبع بعنوان: قلب جزيرة العرب]

بقلم فؤاد بك حمزة وكيل خارجية الحجاز

اللغة

إذا استثنينا العدد القليل من مهاجرة العالم الاسلامي المهاجرين في الحرمين الشريفين ، فما نستطيع القول: إن اللغة الوحيدة في البلاد هي اللغة العربية . وبالرغم من وجود العناصر الأجنبية عن العربية في الحرمين الشريفين وما صاقيهما ، فإن لغة التخاطب بين هؤلاء الأعراب ليس هي العربية . وبالنظر إلى كثرة الوافدين في موسم الحج على بيت الله الحرام من أنحاء عالم الاسلام وضرورة القيام على تعهدهم والعناية بشئونهم ، فإن كثيرين من أهل الحرمين ينشرون لغة أجنبية يستطيعون بواسطتها أن يتفاهموا معهم .

وقد اعتور اللغة العربية في المدن الحجازية وسواحل الخليج الفارسي شيء كثير من وهن والضعف ، وخالطها كثير من الألفاظ والتعابير الأجنبية ، حتى إن الملاحظ ليدعش من كثرة الألفاظ المعربة والدخيلة مما دخل في قاموس القوم ، وبالأخص العوام منهم ، ويحزن من ضعف شأن اللغة وقلة العناية بدراستها .

ولسنا هنا في معرض الدخول في تفاصيل هذه الكلمات الدخيلة أو العبارات الأعجمية ، ولكننا نوردنا قليلا من كثير مما هو شاهد على خفض حال اللغة العربية في مدن الحجاز واختلاصها بكثير من اللغات الأعجمية وإهال أهلها لها .

واللغة الفصيحة واحدة بالطبع في جميع الأنحاء ، إلا أن اللهجات المحلية تختلف اختلافا كبيرا . فبعض أهل الأمصار الحجازية — كما ذكرنا — لغة علمية تشوبها كلمات وتعابير أجنبية شديدة . ولقد كانت مقاطع ونبرات ونغمات مختلفة قد بعثت عن أصلها العربي . حتى إن الألفاظ الفصيحة — هي بالرغم من بقاءها صحيحة التركيب — قد تطرق إلى تلفظها شيء حادث لا يشاهد عند سائر أبناء العرب .

وما حاضرة نجد فإنها أقرب إلى اللهجة الفصيحة من حاضرة الحجاز ، وما سبب ذلك لا نريد أن نلجأ عن محالطة الأعاجم وقلة الدخيل في لهجاتهم الأصلية ، ومع ذلك فإن اختلاف اللهجات بين البلدان المختلفة واقم ومشاهد .

وأما البادية فإن إطلاق تعريف شامل على لهجاتها غير ممكن أيضاً ، فهناك بداءة مازل لغتهم أقرب اللهجات منها إلى اللغة الفصحى . على حين أن هناك آخرين ليسوا من الفصحى على شيء . وأهل نجد أصرح لغة من أهل الحجاز ، لقرب هؤلاء من الحرمين واختلاصهم بالأجانب . وبعد أولئك عن كل تلك العوامل . ولكن أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصحى ، فيما نعتقد ، هي اللهجات النجدية الواقعة ما بين حذوي الحجاز وشالي اليمن . وكثيراً ما سمع أهل هذه البلاد يلفظون الكلمات من عارجها الصحيحة ، ويتكلمون بما هو أقرب إلى الفصحى من سواه . وبعض البداءة من أهل هذه المنطقة يخرجون جملاً يظن منها الإنسان أنهم نمرؤ في المدارس على إخراجها على ذلك النحو ، في حين أن الحقيقة هي بخلاف ذلك . لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة . فيجئ كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه . ويستعملون ألفاظاً نظنها في الأقطار العربية المتقدمة مهمة متروكة . ولكنهم يستعملونها على البداءة . وبالرغم من وجود قبائل تتكلم بأقرب اللهجات إلى الفصحى فإن هناك كثيراً منهم يخرجون الحروف والألفاظ من الخلق على خلاف ما وضعت له . كما أن هناك حروفاً تنسب إلى أشكال وصور أخرى لا تخطر على البال ، وتنفى الشفشة والتممة والكأة وغيرها . وإننا نورد هنا على سبيل المثال بعض الحروف والأشكال التي يخرجها أهلها ، ليكون القارئ لنفسه رأياً فيما ذهبنا إليه :

الحرف	طريقة لفظه	مثال	القبيلة التي تنطق به
حرف الجيم	ي	الجيم في مسجد تلفظ بأهل اليمن والنموري وادي عجم	
القاف والكاف	تس	حكي تلفظ حتسى	أهل نجد
»	تش	بكي تلفظ بتشى	»
»	ك مفخمة	قال تلفظ كال	»
»	س	عبيكي تلفظ عبيسى	»
»	ج	المقير تلفظ المعجير	»
الضاد والظاء	ل	الظهر تلفظ الظهر	بنو سفيان
»	»	الضيف تلفظ الليف	»
حرف الياء	ين الألف والياء	مطير تلفظ امطير	»
أل (أداة التعريف)	م	البيت تلفظ أم بيت	أهل اليمن

وعربان شمر وسائر أهل الجبل يلفظون التاء المربوطة كالتاء الممدودة . فيقولون بعبدة القهديت ، والساعة الساعت ، كما أن بعضهم يقلب التاء المربوطة ياء ، فيقول في الخويض الخويطاي ، والشرارات الشراري .

الشعر

لدين ينظمون الشعر الموزون في البادية على البديهة قليون جداً ، ولكن كثيرين في البادية. فضلاً عن الحاضرة. يقرضون نوعاً من النظم هو دون الشعر الصحيح. فلا يراعون فيه ما يراعى في الشعر الموزون ، ويسمون ما يقرضونه شعراً نبطياً . وهو من حيث أداء المعنى وإفادة السامع يقوم مقام الشعر الصحيح ، وفيه كثير من التوريات والكنايات والمجازات ، ولكنه عي كل حال لا يتقيد بضوابط الصرف والنحو والمعاني والبيان . وقد أوردنا فيما يلي بعض الأمثلة على هذا النوع من الشعر النبطي اخترناها من منظوم قبائل مختلفة:

نبط حجازى

من نظم « خضر بن عويد النمرى » ألقاها بين يدي سمو الأمير « فيصل بن عبد العزيز » في الدار البيضاء :

انتبه للخط خليه بثبات	لا تعيّن في علوم مقفيات
كم صبي فارق الدنيا ومات	راح مثل العيد ومن العايدين
اسمع اقوالى وجود فى الكتاب	شابت اللحية وشوف الراس شاب
ما يبى يقعد على الدنيا شباب	كل منا للحاسب رايحين
وانتبه للضيف يا صقر الصقور	لا فلا والله تخبر فالنفور
كثر الترحاب وعجل بالقطور	وقول هذا يسرنا يا محسنين
انتبه للهجرة الى تستدير	فى البلد حاكم ومن تحته وزير
ضن قلبى غيرهم ما يستخير	حكهم طيب على الى طيبين
قرروها بالمساكر والسيوف	راح أبو فيصل نوى يصلى ويطوف
لازم الكرمى وله عسكر صفوف	من عيال الشرق معهم صادقين
روع العاصى وردة عن هواه	إلى أن قال الموت أخير من الحياه
ناشر اليرق مكانه ما طواه	يرقب الى بالخيانة طائرين
وأمن الخايف إذا راح الدروب	بالذهب يمشى إلى ديرة حروب
بعد كانت تأخذ الطرقى غصوب	شامهم فيصل وقالوا تائبين

نبط عتيبي

قال أحد العتيبان مخاطباً صه :

يا عم واوجدى على وساق^(١) حرة^(٢) بعيدة المرماع^(٣) لو درت أنا الورك^(٤)
 تنرب حطافيل القلس يوم أفره والجيش من فوق الجواعد^(٥) لمن عرك^(٦)
 تجفل إليا^(٦) سمعت مع الحزم^(٧) فره فأجابه صم:

أبوك ياللى طلبتك بس حرة بينى وبينك سامك العرش يقبرك
 ماقلت بزود^(٨) قمة ختم حرة وييت كبير وضامر البطن ينهرك
 عسلوجة^(٩) تلعب بعود المجرة تنهب قلوب أهل الهوى وأنت تسحرك
 إن كان ربك ناوى لك مسرة احذر^(١٠) حيال الأسباب واظهرك
 وإن كان ربك ناوى لك مضرة لو انت بروس الشواحق أحذر

نبط شمري

من شعر عبيد بن رشيده:

هيه ياللى لك مع الناس وداد مآرهمون الحال ياعزوتى^(١١) ليه
 مآرهمون اللى غدا دمه أبداد طول الزمان وحرقت الدمع خديه
 من شوقى للفر ومزبور الانهاد متمشع يطا على قدام رجله
 الشوك ماله عن مواطيه رداد أيضاً ولا سبت^(١٢) قوى يوفيه
 إليا عاد مانصل ونضرب بالحداد هيت ياسيف طوى الهم راعيه

نبط عتري

قال أحد موالى المهارات فى امرأة عشقها منهم، وأخرج من ديرتهم بسببها، فلما رجوا عن المنزل عاد إليه يذكر المرأة ويبكيها:

أبكى هلى^(١٣) ياناس مالى بليوم^(١٤) والظن من يبكى هله ما يلام
 جيت المراح وصار بالقلب ملعون منازل الخلال^(١٥) والعم
 هذا مشب النار والحجر منلوم مركا دلال متعبات الشوام
 وهذى مرابط خيلهم دائم دوم عقب العيون مروبعات الهواى
 اقنوا^(١٥) كما طير قلب رأسه الهموم بفتح عميق ولا يندرى وين^(١٦) هلى
 أدنى منازلهم جنائاً وملوم^(١٧) وأقصى منازلهم مداخى النعام
 اليانثيت لديره الأصحاب من قوم إفرح ترى حمد الرجال العلوم

(١) مصادرة: أو سبت (٢) حرة (٣) الحطاي (٤) يقصد حبيبا بركم ويصم رجليه حول صود شدة
 (٥) الخلود (٦) حبيبا (٧) حبل (٨) أكثر (٩) من صفات الدابة الحيدة (١٠) ارل (١١) احدى (١٢) احدى
 (١٣) أهل (١٤) ملوم (١٥) سافروا (١٦) اين (١٧) منازل

نبط عزى من أهل الشمال

عنى جزت عن نومها بان الإصباح وعنى جزت عن نومها وأسهرتى
جيت لمنازل ربنا وجيت المراح ولقيت مركا (١) دلاليهم ذكرتى
يادار لاتبكي أمر مضى وراح دور السنة يادار أرجيه ما يثى
فارقنى يادار كاليدور وإن لاح يوم أرحلت يادار ما مشاورتى

النثر

صفت كتابه النثر بضعف اللغة إجمالاً . واندثرت الكتابة الأنيقة الصحيحة من أكثر فاع الملكة . أما في البادية فقل أن يوجد من يكتب اللغة الصحيحة ، وأما في الحجاز وحاضرة عداً فإنه توجد طبقة من المتعلمين والفقهاء ، وطلبة العلم يجيدون الكتابة . إلا أنهم أقلية ضئيلة . وقد تناولت النهضة الحديثة شبان الحجاز فشرعوا في افتقاء أثر من سبقهم من إخوانهم وبنو عشيرتهم في الأفطار العربية الأخرى ، ولكن البلاد مازالت محتاجة إلى زمن كاف لكي نخطو المرحلة التي خطتها أخواتها . وهانحن ننشر فيما يلي نموذجاً من الكتابة المستعملة في البادية ليعلم منه ضعف التركيب وركاكة العبارة وعدم التقيد بالقواعد الصرفية والنحوية :

كتاب كبار عتيبة إلى جلالة الملك عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم الفيل سله الله تعالى أبقاه آمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك سلهك الله سمعنا بجهاد إخواننا الحروب وسندك في القدوم إليك لأنه ما بقى لدينا صبر ولا قرار إلا نشوفك وتعرض لأمر الله ثم نركب . ووصلنا هنا ومضى علينا عشرون يوماً ما نيتنا (٢) في شيء وسمعنا في قعودنا هذه مذكر خواطرنا لسير (٣) على الأميال وعلى إخواننا أهل العارض ونسمع عندهم في هالجرايد يادرح ومادح وحننا حاربنا الترك وابن رشيد والشريف ما صارت فوايههم (٤) مثل فوايه بن رعاة فارة منطلقة من جحرها . وفهمنا أن هذا دسايس يسوونها أهل الشر مع ما بلغنا من نعمانها (٥) . . . (٥) عبد الله ومراسيله للعربان الشماليين وغير ذلك من الأمور الذي منقح عليك بقى بالحاضر يا عبد العزيز كما قيل آية السيف تمحو آية القلم .

إن كنت يا والى (٦) أمرنا شايف منا تقصير فأخبرنا به ونستغفر لله وتوب إليه ، إن كان بخبر إذا جانا أمرك توأينا عنه فهذه حجة لك علينا إن كان حنا إخوانك وخدامك

١ . بوسه سي توبه عليه اللال لصنع القهوة (٢) . . . (٣) ردور (٤) من هه في رائحة (٥) هه . له . ط . (٦) أولى أمرنا .

المطيعين ذبحنا عدوك وذبحنا بنى عمنا دون ديننا وولايتنا وأنت تعرف ذلك منا . نرجو من
الله ثم منك أنك ترحمنا الله يرحمك وتفكنا من هذه العلة التي بكبودنا ^(١) حظت أعدائنا الحنة
قبة والفارة أسد وحنا ممددين رجلينا أحد يزرع واحد يركب لابن سمود وتعرف لخلدان
كله باتباع أذناب البقر ، اليوم حنا طالبين الله ثم طالبينك يوم الله جمعنا في هالمحل ن ترخص
لنا تتبع إخواننا والله يوم جرا هذا الكون من إخواننا وسمعنا برقيتهم لك وحنا لا عاد كك
ولا شربنا ولا عاد غنا الليل وحنا مدخليك على الله ثم مدخليك على الله إنا لا نحدث ولا نثبت
من أمر فيه عز لديتنا وديننا . العدو ما ينقلب صديق والشر دائم في أهله وحنا بغينا لا نحيث كك مرة
واحدة ، ولكن نمر فك ما تحب التشويش وأخذنا الأمر بالآداب وقدمنا هذا المكتوب ورجا
من الله أن يمدنا بعنايته ثم ترخص لنا فان حصل المطلوب فنعم فان ما حصل فلا نوما إن جيب
عند بابك وصحنا ونبرأ إلى الله أن يكون الأمر تجروا على أمرك أو لنا فيه حظ من حضور
الدنيا إنما هو حفظ لديتنا ومحاماة لوطننا ونحن منتظرين الأمر من الله ثم منكم والله يحفظ
إخوانك وخدامك والسلام .

عتيبة

كافة كبار الروقة وكبار برقة

في الطائف

(١) أكبادنا

نظرات

كم ذا يعاشرنى خل فأحسبه من صنعة الود أنقى من قيم الزهر
ونفسه في مديد الغدر ساجحة كأنها شرر يُلْقَى على شرر
يريد بي ما تريد النار من حطب لولا التزوّد من حامى ومن حذى

موسى شاكر الطنطاوى

تاريخ العقيدة الإسلامية قبل المعتزلة

بقلم الأستاذ على حسن عبد القادر

مدرس علم الأخلاق بكلية أصول الدين

قد رأينا في المقال السابق (المنشور في « المعرفة » عدد يناير ١٩٣٣ ص ١٠٨٣) أهمية أدلة في الإسلام . وما لهم من تجديد في عومه الدينية والفلسفية ، وكيف أنهم سلكوا هذه الإسلامية طريق التمييز الصحيح حتى سموا « بالمفكرين الأحرار » ^(١) و« من العقل ونظر » ^(٢) .

وما كانت عناية المعتزلة موجهة نحو مسائل الاعتقاد وأصول الدين ، ومدار أعمالهم حول الكلام على العقيدة ، وما من شأنه أن يؤثر في إيمان المرء أو عدم إيمانه . فإنا نذكر من الخير أن نذكر أولاً بالعقيدة الإسلامية في بساطتها الأولى قبل أن تتعقد مسائلها وتتشعب برفقها ، مما أثاره الحوادث الداخلية من بحث وتفكير حول ذلك ، وما كان للمعتزلة من أثر في عبء هذه المسائل وتنظيم هذه الطرق تنظيماً أدى إلى ظهور علم الكلام . وقد يساعدنا هذا كله في فهم العوامل التي ساعدت على نشأة هذه الطائفة وعملت على وجودها :

كانت أمور الدين ومسائل الإيمان واضحة عند المسلمين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، نسيه لهم كل ما يحتاجون إليه ، وتقريره لهم ما يصنعونه إذا اشتبه عليهم أمر من الأمور ، ويذكره في عاقبة الاختلاف إذا ظهر منهم ذلك . روى أنه عليه السلام خرج على قوم يرمون في القرآن : فقال لهم مفضياً : « أي قوم ! بهذا ضلت الأمم قبلكم باحتلامهم على نبيهم وصريرهم الكتاب بعضه ببعض ، إن هذا القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض . ولكنه يبين بعضه بعضاً ، فما عرستم منه فاعملوا به ، وما تشابه عليكم فآمنوا به » ^(٣) .

وفدحاء القرآن الكريم مقرر ألهذا . قال الله تعالى : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشبهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يملأ تأويله إلا جور سجون في العلم ، يقولون : أما به كل من عند ربنا » ^(٤) . وهكذا تحدث بكلام الله وهدى رسله الكريم عقيدة الإيمان سهلة بسيطة « إيمان بكل ما جاء من عند الله تعالى ، والعمل بما

1) Die Freidenker im Islam (see Steiner, Mu'taziliten)

2) Les Rationalistes des I. J. I. (see Galland, Essai sur les Mu'tazilites)

(٣) ابن سعد ج ٤ : قسم أول ص ١٤١

(٤) آل عمران : ٧

استبان منه. وتفويض الأمر إلى الله فيما اشتبه^(١)، وفي هذا الطريق الواضح سار السلف رضي
رضوان الله عليهم في حياة النبي وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

بيد أن هذه الحال لم تستمر زمناً طويلاً. فقد بدأ يدب النزاع بين المسلمين في شئونهم
الداخلية. ثم كان الانقلاب الأموي الذي أوقع المسلمين في اختلافات شتى، وأثر سلباً
دينية مختلفة عن شرعية النظام الجديد. وعن صاحب الحق الشرعي في الخلافة: بكادت
الخلفاء الأمويين إلى ظهور آراء مختلفة في أعمالهم وسوكتهم الدينية، فظهرت مسائل اعتقدت
جديدة لم تكن معروفة قبل ذلك. وذهب الناس فيها مذاهب مختلفة: وهما تقف قليلاً عند
نقد الخلقية الأموية لترى كيف كان ذلك.

فن المعروف أن الأمويين - منذ تبوءوا عرش الخلافة بهذه الفتنة الطاحنة - بدت
روح أخرى مخالفة لتلك الروح التي كانت لسلفهم: فإن هذا السلف كان صالحاً تقياً متعبداً
يسير سيرة مطابقة لقانون لورع والزهد الذي حددته أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وقولته.
ولكن هؤلاء الخلفاء لم يبالوا ذلك كثيراً؛ ولم يستمرثوا عيشة البساطة والزهد. بل كانت
حياتهم في قصورهم حياة ترف وبذخ، وعيشتهم عيشة رقيقة لينية. وما ظهر من بعضهم من
نسك، فإن ذلك لم يكن إلا في فترات قصيرة، ولا يمد شيئاً بجانب حياة أبي بكر وعمر بالمدينة.
والتي هي المثل الأعلى للحياة الإسلامية.

كما أنه كانت لهم بالنسبة للإسلام مقاصد أخرى غير مقاصد الخلفاء الذين كانوا قبلهم.
وأرادوا أن يسيروا به في طريق أخرى غير طريقهم: ويكاد يعبر لنا عن هذا أحد أنصار
الحجاج بن يوسف الثقفي، لما زار ابن عمر في مرضه الذي مات فيه، فلم يلتفت إليه بن عمر فعبس
وقال: «إن هذا يزعم أنه يريد أن يأخذ بالعهد الأول»، الأمر الذي يدل على أن حصة هذه
الدولة كانت تخالف خطة العهد الذي قبلها؛ وعلى كل حال فإنهم كانوا يريدون أن يحسموا من
العرب المتحدة إمبراطورية عربية كبيرة شاسعة الأطراف، وأن ينشروا المملكتين شرقاً وغرباً.
ومما لا شك فيه أن توسيع دائرة الإسلام وامتداد نفوذه كان مقصداً شريفاً نبيلاً. وقد
مكنهم هذه السياسة من البقاء في الحكم مدة أطول مما كانت ينتظر، واستعانوا في تأييد
ملكهم وسلطانهم بالدين؛ فإذا ثار عليهم ثائر، أو خرج خارج، قاوموه مقاومة دينية.
وأقنعوا الناس بأنه خارج على الإسلام، وأنهم إنما يحاربونه لمصلحته ونباته، حتى لو ذهبوا
لفوز المدينة أو راموا الكعبة، فإنهم يعمون أن مصلحة الإسلام في تأديب ذلك العدو؛ وقد
حاربوا العلويين بالرغم من اقتسابهم للبيت النبوي.

(١) قال ابن خلدون: «وهذا معنى قول الكثير منهم: قرءوها، كما جاءت، أي آموا بها من الله
الله ولا تمارسوا لها، وتفسيره، وأما أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والاعتناء له» مقدمة ص ٨٧.

على أنه مع كل ممدحهم به الشعراء من أنهم حاة الاسلام، وما عموده من توسيع دائرة الثورة الإسلامية؛ فقد بقيت حكومتهم مكروهة عند الناس مذمومة ثقيلة الوطأة^(١) يتمنون ردها. ويرجون أن يبدل الله هذه الحال. وقد بقي هذا الرجاء ساكناً هادئاً؛ فلم يقوموا بعمل من أعمال الثورة؛ بل قبوهم بالسكون والصبر والاستسلام. جرياً وراء مبدئهم من مصلحة الاسلام في طرح الفتن واجتناب التلاقل. واكتفوا بهذا البغض الخفي للكامن؛ لم يسيروا ما كان يظهر في تلك السكبات والدعوات التي صبت على هؤلاء الخلفاء. قال ابن عمر: وما حدثني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية^(٢)؛ وكان ابن المسيب يقول: «ما أصلي صلاة إلا دعوت الله عليهم»^(٣).

وكن من الواجبات الدينية الظاهرة للحليفة أو الأمير، أن يؤم الناس في صلاتهم ويحضرهم، وكان عمل الأمويين غير مستقيمة مع الاسلام في كثير من الأحيان. فانظر مدى تبرمهم من أن يفتوا بإمام يعلمون مخالفته وعدم استقامته. لاريب أنها كانت حال مؤلفة شديدة. ولكن حشية الفتنة كان مبدؤهم الصبر. وأنه من مصلحة اجتماع رضى الناس وراء تصالح والماسق. هذا في الواقع تصوير شعور الناس في ذلك الوقت، وليس من شت في أنه كان من غير الممكن أن تبقى هذه الحال، وأن يمكت الناس ساكنين كل هذا السكون وراء هذا سوء المعقد وتلك الحال الملتوية؛ فبدأ الناس يتساءلون عن «الإيمان والعمل»؛ وهل يكون إقرار بنير عمل؟ وما مكان العمل من الإيمان؟ ثم ماذا عسى أن نسمي هذا المسلم الذي لا يعمل أعمال الاسلام؟

ويظهر أن هذا السؤال البعيد المدى عن الإيمان والعمل، كان أول سؤال اعتقادي نشأ في الاسلام دعت إليه حال هؤلاء الخلفاء. ثم ما لبث أن أصبح مجالاً لاختلاف المسلمين واقتراحهم.

فأما السلف فكان جوابهم عنه مطابقاً لمبدئهم من الصبر والمسالمة هؤلاء الخلفاء. وأن هؤلاء الذين لا يعملون أعمال الاسلام. أو بعبارة أخرى: هؤلاء المعاصين مؤمنون ولكنهم فسقون، فلم يزعوا عنهم لقب الإيمان وإن كان إيماناً غير كامل، على حين كانت الخوارج حصوم الدولة يكفرونهم؛ ويقولون إن اقتراف الآثام والمعاصي تخرج المرء من حظيرة الاسلام.

(١) الفخرى ص ١٢٨

(٢) ابن سعد ص ١٣٧

(٣) ابن سعد ج ٥ ص ٩٥

وهناك حزب نجاب عن هذا السؤال بما هو أقرب تسامحاً مع هؤلاء الخلفاء.. فقال إن لايمان هو معرفة الله فحسب ، وليست الأعمال داخلة فيه . وإن هل المعاص مؤمنون كامبون . وفي أنه لا تنفع مع الكفر طاعة . لا تضر مع الإيمان معصية (١) وهذا الحزب المتسامح هو حزب المرجئة . من الرجاء لأهم يرجون لأهل المعاصي الذواب وعدم العقاب . أو من الإرجاء وهو أتباعهم لأنهم يؤخرون الحكم عليهم إلى الآخرة .

على أنه مما يؤسف له أن ليس لدينا عن هذه الطائفة إلا أخبار ضئيلة ، فقد احتفت جميع الأصول العربية عن عهد الأمويين . وهو العهد الذي سيطرت فيه آراء هذه الطائفة ورفوت شوكتهم بما لا قود من تمضيد الملقاء الأمويين لهم . لصرتهم ودفاعهم عنهم . والكتب القديمة التي كتبت عن هذا العهد إنما كتبت أيام العباسيين . ولذا فإن الأخبار التي وصلتنا عن مرجئة الذين سقطوا بسقوط الدولة الأموية . إنما هي شذرات وجدت عند الكتاب في العهد الأخير . وهناك قصيدة لأحد شعراء المرجئة وولادة بني أمية في عهد عبد الملك بن مروان . شو . كانت قطعه « وضحت بعض تعاليمهم ، قال :

يا هند اقسمني لي : إن سيرتنا	أن نعبد الله لا نشرك به أحدا
ترجي الأمور إذا كانت مشبهة	ونصدق القول فيمن جار أو عدلا
المسلمون على الإيمان كلهم	والمشركون استووا في دينهم قددا
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً	م الناس شركاً إذا ما وجد الصمدا
لا نسفك الدم إلا أن يراد بنا	سفك الدماء طريقاً واحداً جددا
من يتق الله في الدنيا فإن له	أجر التقى إذا وفي الحساب غدا
وما قضى الله من أمر فليس له	رد وما يقض من شيء يكن رشدا
كل الخوارج مخط في مقالته	ولو تعبد فيما قال واجتهدا
أما على وعثمان فإنهما	عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا
وكان بينهما شغب وقد شهدا	شق العصا وبعين الله ما شهدا
يجزى علياً وعثماناً بسعيهما	ولست أدري بحق أية وردا
الله يعلم ماذا يحضران به	وكل عبد سيلقى الله منفردا (٢)

(١) تعطى المرجئة مع هذه اسم الإيمان على الكفر بخلاف السلف الذي يقولون « مؤمن غير كافر الإيمان » ابن حجر . ج ١ ص ٩٠ - ٩٣

(٢) الأبي ح ٨ ص ٩٢ راجع عن قطعة : ابن خلدون ج ٣ ص ٥٢ - ٥٦ والداري ص ٢٩

وتكاد تصور لنا هذه القصيدة. مع ما كتبه المؤرخون كالشهرستاني. جملة أفكار هذه تارفة. بل تملح في هذا التسامح المطلق، وصدق القول في كل الناس، وهذه الروح الملمثة بعيدة عن الخوف والفرع، ثم هذه الميزة التي امتازت بها هذه الفرق، وهي إهمال العمل وعدم نظر إليه نظرة إلى أمر محتم. ذكر المقدسي قوماً من الرى فقال: «وهم قوم مرجئة لا يفتشون من جنبه، ولا ريت في قراهم مساجد، وناظرتهم فقلت: ألا يغزوكم المسمون وأتم تعتقدون هذا المذهب؟ قالوا: لسنأمو حدين؟ قلت: كيف وقد أنكرتم فرائض ربكم وعظمت الشريعة؟ قالوا: إنا ندع إلى السلطان في كل سنة أموالاً حجة». (١) وهكذا قد اكتفوا من الإسلام بالتوحيد وصحة ولي الأمر. وهم في الأعمال الإسلامية، بل قد تطرف بعضهم فلم يقنع بإهمال العمل فزعم أنه ليس من الكفر السجود للشمس، لأنه علامة كفر وليس بكفر (٢).

وقد كانت نواة الإرجاء موجودة في الصدر الأول من الإسلام، وكانت تمثل فكرة الحياد إزاء الأحزاب كالشيعة والخوارج. جاء في الطبقات الكبرى أن بريدة الأسدي الصحابي حينما عرض عليه رجل أمر على عثمان وطلحة والزبير، قال: «اللهم اغفر لهم، قوم سبقت لهم مع الله موافق. فإن يشأ يغفر لهم بما سبق فعل، وإن يشأ يعذبهم فعل. حسابه على الله» (٣). وجاء فيه أن محارب بن دثار كان من المرجئة الأولى الذين يرجون علياً وعثمان ولا يشهدون بإيمان ولا بكفر (٤). وذكر المؤرخون (٥) عدداً من أجيال السلف الذين عرفوا بالإرجاء، منهم: سعيد بن جبيرة، وطلق ابن حبيب، ومقاتل بن سميان. وغيرهم من الأئمة مثل أبي حنيفة، وأبي يوسف: فقد كان يقال عن أبي حنيفة وأصحابه إنه كان مرجئاً وأكثر أصحابه معتزلة، وإن كان المشهور عن أبي حنيفة ترك الخوض في الكلام، وكل ما في الأمر - حتى ما روجه ذلك بعضهم أن أصحابه تعاطوا الكلام، وأن المتكلمين تنقهبوا بمذهبه (٦). ولعل الذي يلاحظ أن مذهب أبي حنيفة يستند في روحه إلى أساس من التسامح الهادي الذي هو ميرة المرجئة. فالحنيفية من بين المذاهب الأخرى متسامحة، وهذا اليسر والتسامح هو سبب انتشار هذا المذهب وذيوع آراء هذه المدرسة من بين المذاهب الأخرى.

وعلى الذي ذكرناه من رجوع فكرة الإرجاء - أو ببساطة أصح الاعتدال - إلى أصل إسلامي

(١) حسن التقاسيم : ص ٣٩٨

(٢) مقالات الإسلاميين - ج ١ - ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٣) ابن سعد : ج ٤ - ص ١٧٩

(٤) ابن سعد : ج ٦ - ص ٢١٤

(٥) الملل للشهرستاني ج ١ ص ١٩٤ .

(٦) أحسن التقاسيم : ص ٤٢

بحث . هو ما هدا بنا إليه بحث المصادر العربية . ويعزو (فون كريمر) في كلامه عن الفرق للإسلام أفكار المرجئة إلى تأثير الفلسفة اليونانية التي أثرت في الإسلام في وقت مبكر . بواسطه المسيحية في دمشق . فمن المعروف أن الكنيسة الشرقية قد تباذلت مع الكنيسة الغربية مسألة المعاصي والخلود في النار . وتمسكت الكنيسة الشرقية أخيراً بنهاية العذاب وعدم اخذ . ومن هنا نشأت افتناعات المرجئة اللطيفة السهلة : من أمثال يحيى الدهشقي الذي كان يشغري دمشق هذه الأثناء مركزاً سامياً . فقد كان مستشاراً في البلاط الأموي (١) .

وعلى كل حال فقد أصبحت مسألة الإيمان والعمل موضوعاً للمجاورة في المحتمات العامة واجلاس الدينية ، وعقدت به رايين اعتقادية : وسيأتي لنا : كيف أنه كان النقطة ابدئة للاعتزال . وكيف ظهر « واصل بن عطاء » قوله بالمرلة بين الإيمان والكفر .

وقد جالت في الأبحاث الدينية مسألة أخرى تتعلق بهذه المسألة شرحها كبدلت فكر المرجئة . وهي « زيادة الإيمان ونقصه » . وبالضيق كانت الزيادة والنقصان غير ممكنة عند المرجئة الذين يلاحظون أن العمل الذي يزيد وينقص . غير داخل في الإيمان . وحيث لا ينقص الإيمان ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل فيه ، وقد جاء القرآن الكريم مصرحاً بزيادة الإيمان والهداية ، وأن كثير العمل وقليله يتبعه زيادة الإيمان ونقصانه . ولذا فقد تمسك السلف على طريقته في عدم التأويل . وقالوا : « إن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص » (٢) .

هذا بيان قصير عن العقيدة الإسلامية والأبحاث التي أثرت حولها . ومن ذلك كله نستطيع أن ندرك مقدار الخلق والمهارة التي كانت تدور عليها رحي المناورات في هذا العصر الذي نشأت فيه المعتزلة ، وقد آن لنا أن نتكلم على ذلك . وهو ما سنعالجه في المقال المقبل إن شاء الله تعالى .

(١) S^l ztsreif züge von Kremer

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٦ البدو والتاريخ ٥ ص ١٤٨ :

المعرفة في الحجاز

تطلب « المعرفة » في الحجاز من مكتبة حضرة الشيخ مصطفى محمد ينفور بمكة المكرمة

المعرفة في عر

تطلب « المعرفة » في عدن من مكتبة حضرة السيد معروف عمر عقبه .

المعرفة في مراكش

تطلب « المعرفة » في مراكش من حضرة السيد أحمد داود صاحب المكتبة الأدبية بتطوان

مدام ماريّا منتسورى

[من كتاب تحت الطبع]

بقلم المريية العاضلة

الدائرة نقيب الحكيم

فذلكة تاريخية

مدام ماريّا منتسورى مربية إيطالية الجنس . ولدت بإحدى مدن إيطاليا . ونالت نصيبها من التعلم كسائر فتيات عصرها ، حيث دخلت المدارس الابتدائية فالثانوية ، ثم رغبت في أن تكون طبيبة . فدخلت مدرسة الطب ، وساعدها ذهابها ومهارتها على النجاح الباهر ، ولما تخرجت راسمتها أخذت تتمرّن في المستشفيات المختلفة ، وكانت في حلال تلك المدة مثلاً حسناً للجد والاجتهاد .

بعد انتهاء مدة التمرين اشتغلت بملجأ للأطفال البلهاء المصابين بالعمهات العقلية ، ومن قدروا القدرة على استعمال بعض حواسهم كالابصار أو السمع الخ . فدأبت على الاشتغال بحواس في إيجاد الوسائل لتحسين حال هؤلاء المساكين . فأعدت لهم بعض الوسائل لتدريب عقولهم وحواسهم .

وفي تلك الأثناء دلّتها الخبرة والتجربة ، على أن أحسن طريق لتمرين وتقوية الإدراك للأطفال هو إيصال المدركات إلى أذهانهم بواسطة الحواس ، ووجدت أنه لا يتم ذلك إلا بمعية وشراك حاسة مع الأخرى في ذلك ، حتى إذا فشلت واحدة نجحت الأخرى ، فاتبعت هذه الطريقة فلاقت نجاحاً شجعها على زيادة البحث في هذا المشروع الانساني .

ولما دهشها ما رآته من التقدم المحسوس في معالجة الأطفال البلهاء على هذه الطريقة ، جعلت تفكر في دفع الأطفال عموماً ، بإعداد الوسائل التي تقوى جميع حواسهم ، لأنها أيقنت أن الإدراك لا يتم إلا إذا كانت جميع أعضاء الحس صحيحة وناسبة نمواً كاملاً .

ثم من ماريّا تزوجت . وكانت تتردد على زيارة المدارس وتباحث مع معلميه ومعلماتها وسرور . ولما أن توفي زوجها أسرع إلى تنفيذ فكرتها ، فاشتغلت بتعليم صغار الأطفال على هذه الطريقة الحسية العملية ، ووضعت نصب عينها صحة تربية الحواس ، حتى تكون عوناً للطفل على التعليم الصحيح .

وفقد ذاع صيتها و انتشرت طريقتهما بفضل ما نشرته من مقالات في شهرى مايو وديسمبر ١٩١١م : كذلك ظهر لها مقال في يناير سنة ١٩١٢ في مجلة مكليير Mc clure معلناً شيئاً عن

عملها . على أنه بعد ظهور أول مقال لها ، اهتم كثيرات من الانجليزيات والأمريكيات . بفهم عملها وطريقتها التي وجدتها جديدة ومهمة ، مهمة على الأقل باعتبارها أول عمل من نوعه بتكرار في برنامجه وفي تطبيقه العملي . قامت به سيدة أعملت فيه فكرها ويدها .

كما أنه مشروع خصته بحجز كبير من عطفها النسوي ، وضمنته توسع حالات اعتمده وطرق التعليم الصحيح ، والمثابرة على تلقى وخص أبواب المعارف . مما جعله مشروعاً اعتبره دة التربية والتعليم في العالم . ولقد انقطعت لعملها وقرعت له بكل إخلاص كما يفعل بستالوني وفروبر من قبلها وترتيبها عملها مما تلفت ظر .

ولقد عارض البعض مدام منتسوري في أنها أوجدت هذه الفكرة ، وأثبتوا أنها لم تأت شيئاً جديداً في التربية ، حيث سبقها بستالوني وفروبر وابن خلدون وغيرهم إلى إثبات ضرورة تربية الحواس . ونحن إذا نظرنا إلى محتويات كتابها المعروف « بطريقة منتسوري وشرحها » . وتأملنا مبادئها فيه من طرق ووسائل تستعمل مع الفناء ، ولا حفظنا كيف بنت الوسائل (جهازها المعروف) على حرية معقولة للتأهيد . وما تحتوي على تمرين مباشر فردي للحواس والمشاعر والقوى العقلية . وكيف يرشد إلى سرعة وسهولة التغلب على القراءة والكتابة والحساب . . . لو تأملنا في أي نقطة من تلك النقاط ما وجدنا واحدة منها جديدة . أو لم تذكر في ساليب التربية . بل إن بعضها قد استعمل عمداً . ينفذ مثلاً كثير من وسائل (دكتور لترفرد) رئيس مدرسة ناقصى العقول ، يضارع وسائل منتسوري . وكثيراً ما أشار ولتر إلى إمكان استعمالها بنجاح مع الأطفال الأصحاء . وربما يهمل الباحث معرفة أن (سجين) الذي جعلت مدام منتسوري عمله أساساً لعملها ، كان في زمن ما رئيساً لمدرسة ناقصى العقول التي كان بها ولتر .

وكثيراً ما أشار أساتذة علماء النفس إلى أهمية التمرين المباشر للنقص النفسى الحسى . ولكن المهم والذي يجب أن نذكره إنصافاً لمدام منتسوري ، هو أنه لم يتمكن أحد قبل منتسوري من إظهار خطة تتضمن ارتباط جميع النقاط المتقدمة . لأنها فهمتها وبالغت فيها من حيث التمرين وعملتها في المدارس . وما لا ريب فيه أن كل هذا نتيجة لعملها وساعديها . أما وضع ملخص تجاربها في برنامج التربية للأطفال الأصحاء فعملها منفردة .

والنقطة التي اقتبسناها من عمل المربين - قدماء ومحدثين - إنما اقتبسناها لأنها توافق ما ذهبنا على أن عملها ليس ابتكاراً بنفسه عمل فروبل مثلاً ، بل بنفسه أو عمل جديد أحدثت نفسها فيه امرأة . وزى من اللازم على كل صربية أن تعرف برنامجه وأجهزتها ، بغض النظر عن أن معظم هذا لم يسهل جميع المسائل التي تتعلق بتربية الفناء ، وبالرغم من أن هناك بعض الخطط غير الصحيحة . ولو أن الأمور تجري على غير ذلك في شتى التجارب لحدث جميعها في التعليم وغيره ما

الحياة وكيف تتكون

بقلم الأستاذ محمد علي الحوماني [لبنان]

الحياة حياتان: ولاهما حيوانية. وهي المر السكمن في الجسم الحي الحساس ينبعث عنه لمن وينفع عمل هو بما يعرضه في الحياة ، يشترك فيها الحيوان والإنسان ، ويمبر عنها بالحياة الأولى . وثانيتهما إنسانية محصنة ، وهي جماع مافي الانسان من جوهر . أي أنها نواة العلم واليمن فيه . فلا إنسان إذن يحيا حياتين : حياة جنسية وهي التي يشارك بها الحيوان في الحس والحركة ، وحياة نوعية وهي التي تسمى به إلى المثل الأعلى .

وإذا كان العلم والفن من مظاهر هذه ، كان مبعتها العقل والفكر ثم العاطفة ، ومن هنا ندر للإنسان عن الحيوان . على أننا لا نستطيع أن نحرم الحيوان من هذه الثلاث . فهو ذو عقل وبكر وعاطفة ، ولكنها فيه أضعف منها في الثقل . ولم تكن لتسوء معه فوها في الإنسان . والإنسان يريد بطبعه (أي مع الحياة الأولى) أن يحيا مستقلا عن غيره . كفرد - لا يهتم بغير نفسه ، كما نجد ذلك في الحيوانات . وحشية وأليفة . ويريد بعقله (أي مع الحياة الثانية) أن يحيا مدنياً ، كأمة ، مفتقراً إلى أحييه الإنسان . والعقل أدرك ضرورة هذه الحياة الاجتماعية منذ الأزل فقررها في النفوس حتى استعالت غريزة . فكان من الحكمة أن قيل : « الإنسان مدني بطبعه » .

أدرك العقل أن هذا النوع من الحيوانات يجب أن يسود العوالم بفصله هو ^(١) لما امتاز الإنسان به عنها . فكان من الحق له أن يعتبر ما سواه مخلوقاً له إذ هو الأشرف . أدرك ذلك فبنى إلى سن القوانين الاجتماعية لحفظ هذه الحياة ، وكان فاتحة هذه المظم نظام الخلق ونسيجه في النفس حتى يحول غريزة .

من الحق أن تكبر جهود العقل الأول في خلق الإنسان مدنياً بعد أن كان وحشياً . ومن حق لا يجوز في الحكم عليه فننسيبه إلى الضعف إذا فسناه على عقل الإنسان اليوم . ومن حق فوق كل ذلك ألا نقبس به العقل الحديث ، وهو يخلق ويتدع ، إذ هو في خلقه وإبداعه إنما يبني على أقاوض بناء العقل الأول .

لعقل الأول قطع ألوف الأعوام جاهداً في إخراج البشرية من ظلمة الوحش إلى نور مدنية . ومن دور الهمجية إلى دور الرقي . وأكبر عقل في هذا الجهاد عقل كشف عن آثار مبدع الأول في الكون ، ليصل به إلى تثبيت دعائم الأخلاق في تمدن الإنسان عن طريق الدين .

فقد خلق هذا العقل فكرة الأخلاق، وهى الروابط الاجتماعية، وأراد تقريرها فى العصور ليحييها جزء منها تمشى معها فى جميع دوار الحياة، فرأى من الشاق الذى يكاد يستحيل عليه أن يسير إليه وهو إنسان، ولقد يكون مضاعفاً فى الخاصة. وهى تدرك ضرورة هذه الروابط بين الأسر. والإنسان لو شاء خلق هذه الصلات فى نفوس الخاصة. وهى أشباح تكاد تنصاع فى سواد الدنيا. رأى فى البدء ضرورة كون الإنسان مدنياً فخلق فكرة الأخلاق ليكون آمناً إلى حنف خيه الإنسان، ورأى أن الخوف والطمع أقوى الفرائز فى النفس وأشدّها تأثيراً فى الأسر. فخلق فكرة الجزاء ثواباً وعقاباً، ورأى أن فكرة جزاء القوى للضعيف إنما تمشى فى الجهر مرفق هذه الصلات (الأخلاق). وأما المر فيستمر حائلاً بينها وبين رسوخها فى النفس. فخلق ذلك فكرة الدين.

تقول إن العقل قد خلق فكرة الدين، ولا تحاذر شعب من يفتنى إلى الدين من شيوخ السذج. بعد أن أثبتنا أن العقل فى الإنسان يشير إلى المثل الأعلى فى الكون وهو مبدع. يأتية فأنما هو أثر من آثار القوة العليا مناط هذا الخلق الخاضع لها قسراً. تقول ذلك ولعلنا أشد نقمة على شبابنا المنتطع فى شهواته. والذي يرمى بأقواله ونعمته إلى الإلحاد. غير مبال ما يحجره وراءه من ضرر على نفسه وغيره. ولقد كان حليفاً أن يحمل على عذر لو كان إلحاده نتيجة علم أو عمل فسكر دفيه من وراء البحث والتدقيق. ولكن كنهه كان فيه كالمسح يحكى من دعاء إلى هذه الدعوى، بموج فى خلقه وشهوات إضفاء حواء بالاسترسال فيها رى الدين. تمنع هذه الحواجز بينه وبينها فراح يحمل عليه حملات الأحق بمقتلعه الواهى على مع الحصون وأشدّها قوة وبأساً....

الأخلاق وتأثيرها فى تطور الحياة:

أما وقد عرفت الحياة التى ينمى إليها الإنسان فى طريقه إلى المدنية. فاعرف أيضاً أن ما فى هذه الحياة تلك الروابط الاجتماعية والصلات المعبر عنها بالأخلاق، والعلم الضرورى من لوازمها. أما البوغ فى العلم فهو من كمالاتها. وإذا توفرت فى الأمة علومها إلى حنب هذه القواعد (الأخلاق) كانت سيدة الأمم ذات السيطرة والنفوذ. فليس لأمة فقدت الأخلاق حياة تنهض بها مهما بلغت من الرق العلمى. فهى وإن كانت حية الأفراد بالعلم ميتة الجماعات لما يمورها من خلق يربط الفرد بالفرد لتكون جماعة فتكون أمة..

حياة الأمة بالأخلاق مع الجهل كاملة. ولكنها مع العلم أكل. فما هى بالعلم دون الأخلاق فنفاضة، ولكنها بالجهل دونها أنقص. فالإسلام نشأ تحضنه الأخلاق. وشب عليها مع ما وشاب وهى تضمحل فيه.

وإذا كان الوفاء والعطف والمحبة والسخاء والغيرة واحمية ونحوها من دعائم الأخلاق، لزمنا شبر لتضامن الانساني رأس هذه الروابط. لأنه جزء مقوم في حياة الأمة ويتألف من هذه الصلات كلها أو بعضها.

وقد نرى الأمة يعوزها شيء من الأخلاق، على حين نجد لها تراحم الكواكب برفقها، ذلك أنا بمعنى الأخلاق معظمها في الأمة. لا أن رقي الأمة متوقف على مفهوم الأخلاق كلياً بحيث لا يشذ عنه حزني واحد. ففي الغرب شعوب كثيرة نجد لها فقيرة من هذه الصلات من حيث سموا ولكن القانون يحجر عليها خرقها. ففي نظمها السياسية ما يفنى عن النواميس الطبيعية. معنى لنا قد نجد في للأخلاق الغربية قبل النهضة أثراً في مدينتها بعدها. فإن نجد الذي سار لإسلام في بدئه بفضل الأخلاق، ما زال يخدم المسلمين بصحة قرون لاسيما وقد دعمه العلم. على أن لم نجد في الغربي ما أقمه عليه من حيث الأخلاق. فقد ريت فيه الصدق والأمانة والرحمة، والعطف الانساني والغيرة على وطنه واحمية لقومه، وإذا بدا لنا عدم ذلك في السياسة الخارجية التي تمثل لنا الغربي. فإن للسياسة أوضاعاً قد لا تتفق وآراء الشعوب المسيطرة عليها، بعد شهدت بنفسى بلاد الغرب وتغلغل في صميمها وامترجت بشعوبها وثرفت على تقنيات مدنية فيهم والعادة من معظمهم. فرأيت في السياسة الخارجية للسكسوني واللاتيني تكاد تتباين ومبسنها داخلياً. وما يفعل البريطاني أو الإفرنسي خارج بلادهم قد يحفيه في الداخل. ولنا أن نحن لشعب القومي على عذرفيا إذا رأى أن حكومته على حق في استعباد الشعوب الضعيفة. وهو مشيع الروح اعتقاداً بأن سيطرة أمة على غيرها من الأمم حق، لما تسبغه على العالم من خير في إخراجها من ظلمات التوحش إلى نور المدنية.

وقد نرى بعض الأخلاق فيهم تتحول من جهة نافعة إلى جهة أنفع، فالكرم الخاص الذي يرفه ويكاد تقتصره على بذل الطعام والصدقات اليومية. قد نجده تحول في الغرب إلى البذل في سبيل العلم والرفقة بالانسانية. فإذا ترى أحدهم عمد إلى مستشفى يبنيه أو معهد يخلده بدافع لرحمة والعطف الانساني، وإذا نقصهم ما تزداد تمسكاً به من غيرة على العرض في معرض الشهوات قد يفسدنا ما يردون به تمسكاً من غيرة على البلاد في معرض التنافس الاجتماعي. وحسبي أن نفس الاتحاد والصدق والأمانة وحب الوطن ونحوها من الروابط الاجتماعية التي فقدناها في شذرسوا في نفوسهم من حب المادة التي جبلوا عليها وتها الكواكب فيها.

محمد علي الحوماني

[البنطية . لبنان]

في الأدب الانجليزي

أثر النهضة الأوربية

في الأدب بانجلترا

بقلم الأستاذ رشدي ميخائيل السيسى

في أواخر القرون الوسطى أخذ يفكر أوروبا بالتدريج لتحديد شامل في الأدب والاحصاء والسياسة والدين لعدة عوامل مستحدثة ، فكان أن حرجت أقاليم هذه القارة من عمرة العصور المظلمة التي لم يث بها أي أثر للحرية الفكرية إلى عصر آخر منير انطلق معه تفكير الأوربي من إسار الجهل وعقال التضيق ، ولقد تعارف المؤرخون على أن يسموا فترة التحديد هذه من تاريخ أوروبا بعصر النهضة الأوربية « Renaissance » .

وليس يعني أن نحدد مبدأ هذه النهضة أو نعرف هل هو في القرن الثالث عشر أم ادى يليه ، ولا أن نحصر العوامل التي أنتجت هذه النهضة . إنما الذي يعنيها أن نتق أثره النهضة قد درجت في سبيل التقدم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر . وعاش رباعية حتى أدركت القرن السادس عشر . فأنكشفت منها آرب عدة احتلفت صورها باختلاف أمم أوروبا فانتجت بإيطاليا وفرنسا ناحية الآداب والفنون . وبألمانيا ناحية الدين ، وبأسبانيا وفرنس ناحية الاستكشافات الجغرافية . أما بانجلترا فقد تشعبت إلى معظم هذه النواحي . ولذلك تخرجت هذه الأمة في تكريس عنايتها الحقبة بالأدب حتى عصر اليبابيات في أواخر القرن سادس عشر لأسباب محلية محضة . ولا بد أن نعترف بما كان لتأخر ظهور النهضة في انجلترا من آثار الكبير في تسهيل نجاحها ، فقد كان ارتفاع كتاب الانجليزية لديهم من آداب اللغات الأوربية خدبة من أكبر العوامل التي نهضت بلغتهم بسرعة تكاد تعدم مثيلا لها ، وكان أن تميز مهمة الانجليزية بعنايتها في نشر كتب الأقدمين بلغة البلاد . فترجم إليانور هومر وحط شيكسبير ومصنفات فيرجيل وأوفيد وغيرهما إلى الانجليزية . ولا يخفى ما من ذلك من المساعدة على بث روح النهضة الأدبية بين طبقات الأمة .

وفي الحق أن النهضة الأوربية بشت عواملها قد أثرت في الأدب لانجليزية بما تفرج . بلغت به في هذا العصر اليبابيات حدا من الروعة والاردهار يسوغ لأن يتجدى عصر بركليس الذهبي في الآداب اليونانية بوفرة إنتاجه وخصوبته وبتمدد الشخصيات الأدبية العابرة

مهرت أفند. مثال: شكسبير وابن جنسون. $P n^{2} ns$ في الشعر التمثيلي. وملتون وسبنسر في شعر غير التمثيلي. وماكون وهو بر في الفلسفة. وهوك و تايور في اللاهوت. ولورد كلارندن في التاريخ، وهم خول أدباء الطبقة الأولى.

وعن إبداعنا القهقري إلى ما قبل هذا التاريخ قرنين. أعني في أواخر القرن الرابع عشر، من «شوسار» الشاعر الإنجليزي الكبير قد تأثر في كتاباته بالأدب الإيطالي الكبير «بشيو» الذي اشترك في تحطيم حرافات القرون الوسطى. وعمل على إقامة صرح النهضة الشاهق في نفس هذه الحرافات. ومن شوسار انتقل ذلك الأثر إلى من بعده من كتاب الإنجليزية، فيها أنت ترى أنه كان في المقدور أن يتأثر الأدب الإنجليزي مبكراً بالنهضة الأوروبية ولا بضع عوامل محلية يمكن تلخيصها فيما يأتي :-

- ١ - انزال إنجلترا عن بقية ممالك أوروبا. وخاصة عن إيطاليا مهد النهضة ومنبعها.
- ٢ - تبديد نشاط رجال الأدب وتشيت جهودهم لا نشغالهم مع الأهلين بحرب الوردتين الأهلية.
- ٣ - وفرة الملوكة والملكات الذين حكموا البلاد في هذه الأثناء واحتلاف رغباتهم ومشاربهم، الأمر الذي كان يدفع البعض منهم إلى الإيعان في إساءة الحركة الفكرية بالبلاد لمعارضة

- ٤ - انصراف الأدباء عن الإنتاج إلى حين. لاشتراكهم في حركة الإصلاح الديني.
- ٥ - تورط العرش في تقييد الحرية الفكرية في بعض الأحيان. كما حدث من الملكة ماري بيورن التي اشتمت في محاربة معارضي سياستها ومخالفي مذهبها الكاثوليكي.

وقد كان من نتائج هذه العوامل أن رزئت إنجلترا بخفاف فكري وبعمق رئيس في شخصياتها الأدبية الكبيرة وأن قل فيها الإنتاج الأدبي، وكان من المقدور أن تطول فترة هذا العقم لأن يوم يسخر الله للأدب الإنجليزي آتئذ معظم عوامل النهضة الأوروبية فأمدته بمناعة ضد بعض المنثر ولقحته بما نبت شجرة الأدب الأليصياتي المتشابكة الأغصان. نعم، فلولاً فتح الباعه وفتح القسطنطينية وما ترتب على هذا الفتح من الإقبال على ترجمة المؤلفات الأدبية القديمة في نهج وطناً. ومن انتشار العلماء الملمين بمعظم بقاء أوروبا. لاختلفت حال إنجلترا الأدبية في هذه الحال عما وصلت إليه.

وليس غنة ما عمننا من أن نلبه بأن نهضة إحياء العلوم «وهي إحدى نتائج فتح القسطنطينية» نهضت بالإنجلترا اتجاهات خاصة لم يكن الأدب أحدها. وكان على الأقل بعيداً عنها في مبدأ الأمر. ولذلك تشكلت أو تجمعت في هياكل السياسة والدين والاجتماع، بيد أن هذا لم يصل إلى بعيد الإصلاح الديني حسب، وبعد هذا شكلت الأدب أيضاً.

أثر فتح القسطنطينية:

وبذهب شيخنا الأسكندري في كتابه « تاريخ أوروبا الحديثة » إلى تقرير بصعوبة من غير
 نهضة إحياء العلوم « Revival of Learning » في ديها جميعاً « فتح القسطنطينية » . وقد
 أخالف شيخنا الفاضل في ذهب إليه ، إنما بقسط . ذلك لأنني أعتقد اعتقاداً حازماً أن فتح
 القسطنطينية لم يكن السبب الأول والوحيد في ظهور نهضة إحياء العلوم هذه لحسب . بل من
 أقوى الدلائل التي قامت عليها النهضة الأوربية ذاتها .

أجل . فقد كان من نتائج هذا الفتح في النصف الثاني من القرن الخامس عشر . أن سنت
 أوروبا إلى عصرها العصر الحديث ، فإذا كانت القسطنطينية في ذلك العهد من حفظ العلامة
 والعلماء الأعلام ، خشي هؤلاء جميعاً بعد هذا الفتح . أن تصادر حرياتهم وأن تترك منهم كبريتهم
 من المؤلفات العلمية وأن يرغبوا في القيام بأمور تأبعا كرامة العلم . فخرجوها حاملي معهم
 هذه الكنوز الأدبية إلى حيث حظوا رحلتهم بإيطاليا . ومنها انتشروا إلى بقية ممالك أوروبا .
 وإذا كانت فلورنسا بإيطاليا هي أول مكان حظ به هؤلاء العلماء المشردون رحلتهم . فقد سبق
 هذا الإقليم بقية بقاع أوروبا في هذه النهضة العلمية الحديثة . وقد سارعت سرايا المشرق
 جميع أنحاء أوروبا إلى فلورنسا كما يشبهوا أنهم من رغبة العلوم والآداب التي تكسبت فيها .
 ولم يكن نصيب الانجليز من هذه العلوم بأقل من غيرهم . فقد هاجروا إليها حيث تعموا العلم
 الحية وتشبعوا بالآراء الحديثة في الاجتماع والأدب ، ثم عادوا إلى بلادهم وهم مثقون بأساليب
 الثمينة فلم يرضوا بها على مواطنيهم إنما وزعوها في إخلاص وفي غيرة صادقة فذاعت هذه
 الآراء وهذه العلوم بالانجلترا آنما ذبوع .

وفي الفترة التي أعقبت هذا الفتح قام نزاع ديني عنيف بين الكنيسة الكاثوليكية ومعارضها
 من رافعي الإصلاح الانجليز ومن المتطرفين ، فأثر هذا النزاع - إلى أكبر حد - في مدى انتشار ثقافة
 الحديثة ، إذ حاربها رجال الدين وشنوا عليها الفارة ، لاعتقادهم أنها السبب المباشر في تحريك
 الأذهان وتمردتها وخروجها على طاعة الكنيسة ، كذا أثر في الثقافة أن اضطر الشعب كونه
 الاشتراك في هذا النزاع وانصرافه عنها ولو إلى حين .

أثر اختراع الطباعة:

وفي منتصف القرن الخامس عشر وقع حادث هام في تاريخ الأدبيات كلها . أجل . فقد
 اخترعت الطباعة إذ ذاك بالطريقة المستعملة حديثاً . وبهذا الاختراع حفظ الأدب القديم من
 الضياع ، بل انتشر هو والمستحدث في كل مكان وذاع أكبر ذبوع ، وكان « ولیم کاستور »
 أول انجليزى اشتغل بالطباعة وإن كان قد سبقه في هذا الفن « يوحنا جوتنبرج » الألماني .

س كما كتبون عدة كتب قيمة استفادت منه مجهوداً كبيراً لصعوبة الطباعة آنذاك. وأهم هذه كتب على الإطلاق كتاب « لعبة الشطرنج » و « حكم الفلاسفة » و « تاريخ ترواده » . و خرافة الذهبية « . وبهذا انشهود الرائع وغيره من جهوده الجبارة تيسر للكاتبون أن يدركوا مستوى الانجليزية من الاحتفاظ ، ذلك المستوى الذي وصل إليه شوسار الشاعر الإنجليزي الكبير . وفي الحق أن عمل كاتبون . وإن كان ليا محضاً ، ولكن فضله على الأدب لا ينفي غمالة لحاجة البلاد للارمة إذ ذلك إن المؤلفات القديمة القيمة . هذا عدا حسن خبره لمؤلفات التي قام بضعبها . الأمر الذي ساعد على تهذيب اللغة إلى حد كبير .

أثر الترجمة :

وتد استهل الانجليز استقلالهم للحركة العلمية بترجمة المؤلفات القيمة لكبار الفلاسفة الأندلسيين من الإغريق والرومان أمثال فيرجيل وأوفيد وشيشرون وديموقريطس . وفي الحق بهذه الأدب الإنجليزي وازدهاره تعود في أساسها إلى فضل هذه الفترة بالذات . وإن تراءى من أرائهم أنه قد ابتدع ابتداء ، نعم ، فإن الدراسات المتواصلة لهذه المؤلفات قد خلقت في الأخير دوة أدبية على غرارها وعلى غلطها ، أجنى ما يستبينه الأديب في مؤلفات (ملتون) راند وغيره من كتاب وشعراء العصر الأليصاباتي المشهورين ، وكان أن تأثرت هذه الأدبيات بالروح اليونانية واللاتينية إلى أبعد حد . وباتت مؤلفات كبار شعراء الانجليز ، مثل كشوسار لا تعامل كمثل أعلى يجب أن يحتذى الأديب الإنجليزي . بل اقتصر أهميتها على مجرد ما تركه من أثر في قلوب دارسيها الذين لم ينقذوها من تقدم بعد تحررهم من قيود التقاليد .

أثر التحرر الديني :

كما تأثرت أدبيات هذا العصر بروح حرة جريئة ، هي ثمرة الإصلاحات الدينية التي حررت العقول إلى حد ما ، وخففت عنها أعباء العادات والتقاليد ، فكان أن تيسر ذبوع الأدب بين كافة طبقات الشعب دون تحرج من قوانين الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تقيد في كثير من الأحيان وتحرم بعضه ، وكان أن ظهر من بين رجال الدين أدباء بارعون طالجوا الكتابة في سبيل وفي إيانة وتشويق ، وأجلى ما يستبين القارئ هذا الأسلوب في كتاب « الشهداء » مؤلفه فوكس .

أثر الرقي الاجتماعي :

وقد اتسع الأفق أمام الأدب باتساع مرافق الحياة ، وبما اكتسبه البلاط الإنجليزي من

لأهبة والرواء إذ بلغت الحال الاجتماعية والمادية من الرقي مدى بعيد، ونتيجة طبيعية لهذا
اسمى بعض الكتاب كما يوفقوا بين أسلوب الكتابة، وبين الحال الجديدة حتى يتيسر له تصويرها
في دقة وفي جمال، وإذا أصفنا إلى هذا ما كانت تقيمه الحكومة والآهالي من الزينات المذرة
والحفلات الكبيرة كلما جدد نصر من الانتصارات الحربية، وما كانت تحتاجه هذه الحفلات
من الروايات التمثيلية التي تنفق في مغزاهامع ما اجتمع له المختفلون، أدركنا بسهولة مقدار
حاجه المصر إلى أدباء روائيين يقدمون القراء الصالح من هذه الروايات، وإذا لم يكن من
الميسور تأليف هذه الروايات بالوفرة التي احتاجها المصري فقد استعان الأرباء بالقل عن الأرب
القديم والمتوسط. وعن ديب المعاصرين أيضاً من القلمانيين والأسبانيين وغيرهم. وبذلك ارتقت
الرواية التمثيلية إلى حد بعيد. وأنا أشيع من يذهبون في القول بأن الاستكشافات الجغرافية
التي تمت إذ ذاك على يد الانجليز أمثال فروبيشار ورائي ودريك، قد ساعدت كثيراً على اتساع
مدى الخيال أمام الأدباء. وهذا الخيال—على حد ما علم—هو المادة الأساسية التي كانت لمعة
تسكون منها حتى عهد قريب.

خاتمة :

كما تقدم يصبح لنا أن نستنتج—دون تعسف في التأويل أو إغراق في الاستقراء والاستطراد—
أنه كان للنهضة الأوربية على الأدب الانجليزي أثر بعيد المدى حتى دأب وانتشر وتكرست له
جهود عدة، حتى اتقى عن المشتغلين به كل أثر للتحقير والاستخفاف. إذا كان نشر الكتب
الأدبية وإداعتها يحط من كرامة الكاتب ويقلل من مركزه الأدبي، وخاصة إذا كان هذا الكاتب
من طبقة الأشراف، بيد أن معظم كتاب هذه الطبقة أمثال فيليب مدني وسبنسر ترمود
على هذا الجود الفكري ولم يأبهوا به وأخذوا الأدب صناعة لهم وسلكوا إلى الشهرة والظهور،
وإذا ذلك هطلت المؤلفات القيمة كأنها الغيث، وأقبل الشعب على الأدب كتابة ودراسة
إعجاباً وإقبالاً.

رشدي ميخائيل السيبي
ليسانسيه في الأدب الانجليزي

المعرفة في تونس

تطلب « المعرفة » في تونس من حضرتي وكيلينا السيد محمد الأمين والسيد ماهر صاحبي
المكتبة العلمية رقم ١٢ نهج الكتبية.
أو من حضرة السيد محمد بن الحاج صالح النميني صاحب مكتبة الاستقامة رقم ٣٤ نهج
سيدي ابن عروس.

ابن سينا

وفلسفته

بقلم الأستاذ محمد ثابت الفندى : ماجستير فى الفلسفة

مبابة مضطربة

لما عظمت فليس مصر واسعى لما غلا نمنى عدمت المشتري
قل باقد حصيف عن حياة (كاملط) شيخ فلاسفة الألمان: إنها كانت منتظمة جد الانتظام مثل
معل الذى لا يشذ فى تصريح ما من تصاريفه ؛ ولو وفق ذلك الناقد لدراسة حياة
ن سينا بعد حروجه من بخارى، لقال إنها مضطربة إنما اضطراب كذلك الفعل الشاذ الذى
لا يعرف له نظام . وليس شئ أدل على حياة ابن سينا المضطربة من هذا البيت الذى قاله
يسوف فى قصيدة له بهرجان، وتمثل به فى معرض حديثه إلى تلميذه الجوزجاني عن حياته
مضطربة ونفسه السائمة المملوءة التى لا تكاد تستقر به فى مصر من الأمصار حتى تخيل إليه أنه
«عسم قدراً من أن يسمه ذلك المصر، وأنه أغلى ثمناً من كل من فيه .

هذه الفكرة نظر ابن سينا إلى العالم ، فعاش بقية حياته متنقلاً بين مزار فارس ومراثها ،
ويسمه مصر منها . ولا احتواه عن رضا منه قصر أمير من أمراثها .

ويظهر أن هذا الأسلوب من العيش كان شائعاً بين علماء عصره : فهذا أبو منصور النعماني
ابن بوري شيخ أدباء ذلك العصر، قضى حياته متنقلاً بين القصور فقدم « لطائف المعارف »
لصاحب ابن عباد وزير آل بويه . وقدم « التمثل والمحاضرة » إلى قابوس بن وشمكير ،
وقدم غير ذلك إلى مأمون بن مأمون أمير خوارزم . ويقال مثل هذا فى أبي الريحان البيروني
وهو أحرر بحوم عصره فى الفلك والرياضة والتاريخ . فقد صرف شطراً من حياته الأولى
لرأس أمراء خوارزم ، وقدم إليهم بعض مؤلفاته . ثم اتصل بالأمير شمس الممالي قابوس
اروشمكير الزيارى فأهدى إليه - حوالى عام ١٠٠٠م - مؤلفه الخالد « تاريخ الأمم » ، ثم
عذرة أخرى إلى خوارزم . ثم التحق بخدمة السلطان محمود بن سبكتكين وصحبه فى غزواته
فقد حيث ألف « تلخيص ما لهنسند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة » ،
لدى يده المستشرق الدكتور (ساشو) أول كتاب فى الدراسات الشرقية فى العالم .

ويظهر أن حياة التنقل التي كان يحياها أولئك العلماء ترجع إلى أسباب سياسية محضة . فقد كانت فارس كما قدمنا في المقال السابق منقسمة إلى إمارات كثيرة ، وكان كل أمير يحول أن يجتذب إلى عاصمته أكبر عدد من العلماء حتى يبر منافسيه . وبذلك أصبحت تلك العلوم السياسية عوامم علمية يؤمها العلماء والأدباء من كل حذب وصبوب ، يصيرون في كل وحدة منها النحاح والتوفيق حيناً . ثم يخونها لينتوا أدواراً أخرى في غيرها من العوامم . وليس السياسة كانت بذلك أهم عامل في إنهاض العلوم والعلماء حتى جعلت من القرنين الرابع والخامس أزهى عصور العلم في الإسلام . (١)

مباني في كركانج

افتتح ابن سينا حياة التنقل بمدينة كركانج عاصمة خوارزم ، وتاريخ انتقاله إليه غير معروف ولا مذكور ، وإذا صح أن ذلك كان بعد اضطراب أحوال الدولة السامانية وسقوطها ، فيكون انتقاله إلى كركانج إنما كان حوالي سنة ٣٩١ هـ . وكل ما يحدثنا به فيلسوف عن فترة حياته بتلك المدينة - وهي بلا شك فترة طويلة كما سنرى - أنه زل بكركانج عندما كان أميراً على بن مأمون ، وكان وزيره أبو الحسن السهيلي المحب للفلسفة . وكان هو من رزى نفسه إن داك بنيلسان ونحت الحنك (٢) ، وقد أثبتنا له مشاهرة دائرة تقوم بكفانيته .

وهذا الأمير الذي تحدثنا عنه ابن سينا هو ثاني أمراء أسرة امتد حكمها من سنة ٣٨٥ هـ إلى سنة ٤٠٨ هـ . وكان أول أمرائها مأمون بن محمد بن علي الذي قتل سنة ٣٨٧ هـ ٤٩٩ م . وخلفه أبوه علي بن مأمون الذي يذكره الفيلسوف والذي توفي عام ٣٩٩ هـ ٥١١ م . ثم ملك بعده أخوه أبو العباس مأمون حتى ٤٠٧ هـ . وسقطت تلك الأسرة عام ٤٠٨ هـ ٥١٢ م . ضغط غزوات السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي .

أما وزير علي بن مأمون اعقب للفلسفة فهو أبو الحسين أحمد بن سهل بن محمد الحسين . ويرجع ميرزا محمد (٣) أنه السهيلي . كان وزيراً لعلي بن مأمون ثم لأخيه أبي العباس مأمون . وفر في عهد هذا الأمير الأخير إلى بغداد سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م) ، وتوفي في (سر من رأى) عام ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) . وقد قدم ابن سينا بعض كتبه إليه . منها قصيدته لمردوخ في المنطق التي نشرها (شمولدرز) عام ١٨٣٦ م ، ثم أعيد نشرها بمصر . وتعد في المجلد ١٠٠٠ ابن مالك في النحو .

خياة ابن سينا في ركاب على طولها - يحيط بها الغموض . اللهم إلا ما ذكره بعض غرور السمرقندي في القصة السادسة والثلاثين في كتابه « المتتالات الأربع » عن تحرير ابن

(١) الدكتور طه حسين : الأدب الجاهلي .

(٢) نوع من ألبة الرأس .

(٣) راجع الترجمة الانجليزية لكتاب المقالات الأربع ص ٨٥ . تعليقة ٣

بن سينا ببلاط الأمير الخوارزمي أبي العباس مأمون . فقد قال إنه كان ببلاط ذلك الأمير
 من العلماء فلما اجتمع مثلهم في بلد واحد منهم وزيره أبو الحسين السهمي . وأبو الريحان
 البيروني . وأبو سهل المسيحي . وقد تقدم ذكرهم . وأبو نصر العراق الذي يصفه صاحب
 اللغات الأربع بأنه الثاني بعد بطليموس في العلوم الرياضية ، وأبو الخير بن الحمار
 وأحمد بن كاتول البيهقي ^(١) . وأخيراً أبو علي بن سينا .

وبين كان أولئك العلماء يرتعون في محبوبة من أميش في كنف خوارزمشاه أبي العباس
 مأمون . وقد عني هذا الأمير رسول من قبل السلطان محمود بن سبكتكين هو حسين بن علي
 بن بكاتيل يطلب إلى الأمير الخوارزمي أن يبعث أولئك العلماء إلى بلاطه بمدينة غزنة عاصمة
 بلستان .

وسلطان محمود بن سبكتكين آنئذ أعظم سلاطين آسيا الوسطى . بهابه الأمراء جميعاً
 ويحبون مام إرادته . فما أن بدت هذه الرغبة من جانبه حتى أسرع الأمير أبو العباس مأمون
 في استيفاء جميع العلماء وأطلعهم على أمر الرسول . وقال لهم : إن محموداً قوى عزيز الجأب . ولست
 أسمع أن أرد أمره فأتروني ؟

ورأى ثلاثة منهم الذهب إلى غزنة لما سمعوه عن بأس سلطانهم ساوكرمه وحسن وقادته ،
 وأبو نصر العراق ، وأبو الخير بن الحمار ، وأبو ريحان البيروني : أما أبو سهل المسيحي
 وبني سينا فقد نصرا على الرقض ، فساعدهما الأمير أبو العباس على الفرار . وهما لهما سبيله فأمدهما
 من يقودهما في الصحراء بين كرمانج وخرججان التي كانت هدفهما .

حدثنا السمرقندي في القصة نفسها أن السلطان محموداً لم يسكن غرضه من رسالته إلى
 الأمير أبي العباس مأمون غير استقدام ابن سين الفيلسوف . فلما لم يجده بين من وفد عليه من العلماء
 دبر وجههم خوارزمشاه إلى غزنة غضب كثيراً وكلف أحدهم ودو أبو نصر العراق . وكان

(١) يقول البيهقي في تصحيح اسم هذا العالم : « وقد أورد سلطان محمود (بن سبكتكين)
 بحكمته إلى الخيز ناحيه يقال لها ناحية حمارو . ولست أعلم الخيز إلى تلك الناحية . فقل له
 أبو ريحان حمارو تميزاً بينه وبين أبي الخير صاحب البريد . ولست بها من قول أبو الخير
 الحمار » (تاريخ حكماء الاسلام : ص ٩)

وقول عن حياته : « بن السلطان محمود بن سبكتكين همه إلى غزنة وعرض عنه الاسلام فبني .
 ثوبه . مكنت فيه معه حسن الصوت يقرأ سورة فوقف وبكى ساعة ورثى في ليلته تلك
 إلى من عليه وسأله في منامه يقول له : يا أبا الخير ! من كنت مع كل عقدك يتبع أن يسكن
 موتى . فأسلمه » .

بارعاً في صناعة الرسم واستخراج الصور - أن يصنع صورة للفيلسوف الفارسي، ففعل واستخرج من تلك الصورة أربعين نسخة أذاعها السلطان محمود في كل أقاليم فارس منتقياً عن الفيلسوف، أما سبب اهتمام سلطان غزنة بابن سينا فمعلوم. لأنه كان آتئذ أعلى درة يزدان، فافقه من قصور الأمراء : طبيباً لا غنى عنه، وفيلسوفاً جليل القدر. أما فرار ابن سينا من وجه السلطان محمود فأمر يمكن أن تناس أسبابه في أخلاق السلطان نفسه : فقد كان سريع الغضب، قال لوزيره ذات مرة : إن الملوك كالأطفال يسرون ويفضون لألق الأشياء وتذهبها^(١). والظاهر أنه كان ملكاً بهذا المعنى، فكانت صحبته غير هينة ولا محببة. وكان سريعاً متمصباً لمذاهب أهل السنة، حتى إن ابن الأثير صورده في تاريخه « الكامل » بصورة رجل الجامد الذي لا يرى في العلوم العقلية إلا سبباً من أسباب الكفر والزيف في العقيدة. هل في أخبار سنة عشرين وأربعمائة عند امتلاك السلطان محمود للري عاصمة مجد الدولة : ودس من الباطنية حلقاً كثيراً، ونفى المعتزلة إلى حراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الأعراب والنجوم^(٢). فرجل هذا خلقه وهذا موقفه حيال النظر العقلي الذي لا يعتمد على محسوس الدين، لا يمكن فيلسوفاً يؤمن بفلسفته أشد الإيمان كابن سينا أن يستظل بعرشه. وإن سبغ الحياة بقربه، « فإن الفلسفة - كما يقول سبينوزا - لا تجعلنا أثرياء ولكنها تجعلنا أحرار ». والواقع أن ابن سينا سيظل معرضاً عن السلطان محمود، وزهو بلاطه ورفيع مكانه، متجنباً لقاءه أو الوقوع بين يديه حتى يحتويه القبر ويرقد رقدوده الأخير. لا ابن سينا بالفعل في بعض المسالك السياسية ضد سلطان غزنة عندما يكون ببلاط علاء الدولة، فمنه ينشأ ويناصبه العداء كما سنرى. وما ذلك إلا لأنه كان يحترم حريته الفكرية.

ويصف السمرقندي فرار ابن سينا وأبي سهل المسيحي مع دليلهما في خوف من حوله فيقول : إنهم قطعوا في أول ليلة خمسة عشر فرسخاً، ولما أصبح الصباح حسب ابن سينا طلعهم في رحلتهم فرأى أنهم سيضون الطريق وسيلاقون من غنت الطبيعة مر العذاب. وكنت فعل أبو سهل المسيحي فرأى أنه لا بد أنه سيموت في الطريق قبل الوصول إلى حرجل بهذه الأفكار العابثة التي قد تكون من خيال القصاص وأصل القارون رحلتهم. وفي يوم ربح هبت عاصفة هوجاء أثارت النقع والرمال، وأبدلت السماء حلجة وظلمة، وغيرت معالم الطريق فضاهه كما شاء القصاص أن يقتبأ ابن سينا. ويشاء الله إلا أن يحقق نبوءة أبي سهل المزعومة فيموت من تقاد الماء وشدة حرارة الشمس. أما الرئيس ودليله فقد وصلا إلى (بورج مدني)

(١) راجع القصة الرابعة عشر من « المتعاليات الأربع ».

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦. أخبار سنة ٤٢٠ (طبعة أوروبا)

سبباً من العذاب ، وقفل الدليل عائداً ، على حين قد واصل الرئيس رحلته فاصداً جرجان عاصمة
الأمير قابوس بن وشكمير الزيارى .

مبانه في مبرجانه

يذكر ابن سينا أنه في طريقه إلى جرجان مر بطوس وشمقان وشمقان وجاجرم رأس حد
جرجان ، ثم وصل أخيراً إلى جرجان ، ويذكر السمرقندى أنه مر بنيسابور قبل وصوله إلى
جرجان فوجد بها بعض أعين السلطان محمود تبحث عنه فاختبأ في مكان أمين بضعة أيام ، ثم
نهجه شطر جرجان ^(١) . فاذا صحت رواية السمرقندى فيما يختص بمروره بنيسابور ، فإن
به لقاء فيلسوفنا بأبى سعيد بن أبى الخير الصوفى الكبير التى يذكرها فريد الدين بن العطار
في كتابه « تاريخ الأولياء » تكون محتملة الوقوع ، لأن تلك القصة تذهب إلى أنهما التقيا في
حرة بظاهر نيسابور .

وذلك المتصوف العظيم ولد - كما يقول ادورد براون - عام ٩٦٧ م (٨٣٥٧) ، وتوفى عام
١٠٣٨ م (٤٣٨ هـ) ^(٢) . وقد ذكره حاجى خليفة وقال إنه توفى عام ٤٤٠ هـ ^(٣) .
ونحن لا نعرف الآن شيئاً عنه اللهم إلا مجموعة من الرباعيات التى جمعها ونشرها وعلق عليها
- بنور H. E. H. عام ١٨٧٥ ^(٤) . وتتلخص قصته مع ابن سينا فى أنهما لما التقيا تحداً ملياً
فى ضوء كل من الفلسفة والتصوف لتكون : فأعجب كل بالآخر كل الإعجاب ، حتى . لقد قال الصوفى
ش. فيلسوف بعد فراقه له : « كل ما أراه يعرفه [ابن سينا] » . وقال الفيلسوف : « كل
ما عرفه يراه » ، وفى رواية أخرى ذكرها الدكتور Ethe فى بحثه المشار إليه : أن الفيلسوف قال :
« كل ما عرفه يراه [هو] » . على حين قال أبو سعيد : « كل ما لا أراه يعرفه » ^(٥) ، و فرق بين
هذه الرواية الأخيرة والرواية السابقة . وسيظل أبداً الفرق بين الفلسفة والتصوف هو هذا
من الذى يتحلى فى عبارتهما الوجيزة . فإن الفلاسفة - كما يقول فولتير - يقولون أشياء
كثيرة فى عبارة وجيزة .

ونظراً لأن العلاقة كانت متصلة بعد ذلك بين أبى سعيد بن أبى الخير وأبى بن سينا
فقد صيب المتصوف ذات مرة بثبوت من الشك والتذبذب فى مذهبه . « والتذبذب - كما يقول -

(١) راجع القصة ٣٦ من كتاب « المقالات الأربع »

(٢) ادورد براون LitH. ist. of Persia ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون : ج ٣ ص ٤٠٨ .

(٤) Ber. D. Kamgl. Bager. Acc. D. W. Seuch. 1375 11 15 1 18

(٥) git, Hs; gPu ج ٤ ص ٢٦٢

بداية حال الترهّب ، ومن ترهب ترأّب (١) . فكتب إلى الفيلسوف يستنصحه ويسترشده ، فكتب إليه أبو علي رسالة من روع ما يقرأ في الأدب الخالص وفي لأخلاق ، يبين فيها الفيلسوف دستورده في الحياة كيف ينبغي أن يكون . وهذا بعض ما جاء فيها :

« ليسكن الله أول فكره وآخره ، وباطن اعتباره وظاهره . ولتكن عين نفسه مكشوفة بالنظر إليه ، وقد معها موقوفة على المنول بين يديه ، مسافراً بمقله في الملكوت الأعلى . وما فيه من آيات ربه الكبرى ، فاذا انحط إلى قرارده ، فليز الله في آثاره . فإنه باطن ظاهر تجلّى لسر شئ بكل شيء . :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد (٢)

ويؤخذ من بيتين لأبي سعيد بن أبي الخير أنه كان يقرأ كتاب الشفاء . ولربما كان ذلك عند ما أصيب بتلك البوثة في فكره وعقيدته ، لأننا نراه بعد وفاة ابن سيب يعنى أن هذا الكتاب إنما يزيغ بالفكر عن سنة المصطفى وأنه بسبب ذلك قطع الأخوة بينه وبين مؤلفه الذي مات على مذهب رُسْطو . وهذان البيتان هما :

قطعنا الأخوة من معشر بهم مرض من كتاب الشفاء

فتموا على دين رُسْطالس وعشنا على سنة المصطفى (٣)

لا يحدثنا ابن سينا ولا تلميذه الجوزجاني بشيء من هذا كله ، بل هما لا يذكران قصته مع هذا المتصوف الخطير ، ولعل هذا هو ما جعل المستشرق (نيكولسن) يشك في أمر التقائهما بنيسابور .

واقدر كان غرض ابن سينا من رحلته إلى جرجان الاحتماء بعمرش أميرها قابوس بن وشمكير الزيارى ، فهو يقول : « وكان قصدى فيها الأمير قابوس ، فاتفق في أثناء هذا أحد ذبوس وحبه في بعض القلاع وموته هناك » (٤) ، ويذكر ابن الأثير أن وفاة ذلك الأمير كانت

(١) ترهب صيغة مأخوذة من الراهب . وفي تعريفات الجرجاني : الراهب هو العالم بالدين المسيحي من الرياضة والانتقطاع عن الخلق والتوجه إلى الحق ، « الدمة خذيه من » ١٣٢٦ هـ ٧٥٠ م .

(٢) خطاب أبي سعيد بن أبي الخير ورد ابن سينا عليه . نشره بالقاهرة بأول كتاب النجاة المطبوع سنة ١٣٣١ هـ .

(٣) ذكر هذين البيتين المستشرق يحيى بن ميكائيل المهرنى في مقدمته التي صدر بها لرسالته التي نشرها بليدن عام ١٨٩٤ لفيلسوفنا ابن سينا .

(٤) القفطى : تاريخ الحكماء ، ص ٣١٧ .

سنة ٤٠٣ هـ ، وعلى هذا يكون هذا العام أول عهده بخرجان كما يكون آخر عهده بكرمانج التي ظن أنه عاش فيها من سنة ٣٩١ هـ إلى ٤٠٣ هـ .

وينبغي صرح ابن سينا بأنه لم يتصل في جرجان بأمرها قابوس بن وشمكير بسبب وفاة الأمير قبل وصوله إليها ، إذ بنا نجد نظامي عروضي السمرقندي يقص علينا من القصص ما لا يجعل في ريب في اتصال الفيلسوف بالأمير . ويجعل الطب هما — كما كان في بلاط السامانيين — أساس الصلة بينه وبين الأمير ، فيقول إن أبا علي عند ما هبط جرجان التحق بنزل بهرازل يسكن فيه محتجباً عن أعين السلطان محمود ، وكان يشتمل بالطلب فمالج كثيراً من المرضى بمرضه في أنحاء المدينة حتى بلغ مسامع أميرها قابوس بن وشمكير . فاستدعاه الأمير لمعالجة فتي من أقاربه عجز الأطباء عن علاجه .

وهنا يرى ابن سينا يقوم بعمة الطبيب النمسي *erlankeuzq* الذي يحلل الأمراض النفسية ، المريض كان مصاباً بداء العشق ؛ فوفق الطبيب لمعرفة الداء ووفق لمعرفة اسم المحبوبة التي كان يحب ذلك المريض واسم عائلتها وبلدتها . فأعجب به الأمير كثيراً واستدعاه للتدائه ، ولما رقت عينه على الطبيب عرف في الحال أنه الرجل الدائع الصيت أبو علي بن سينا . وذلك شبهته للصورة التي بعثها إليه السلطان محمود غزنة باحثاً منقباً عليه . فنزل الأمير عن عرشه وتقدم إليه واحتمضه وأجلسه بجواره احتراماً وإجلالاً لقدره ^(١) .

والتحليل النفسي الذي يصفه السمرقندي في هذه القصة يذكره ابن سينا في كتاب *«نورون في الطب»* ^(٢) ، ويظهر أنه طبقه وجربه ، ولكنه لم يشر قط إلى هذه الواقعة المعينة في نسبها إليه السمرقندي ببلاط قابوس بن وشمكير . ولا شك عندى في بطلان هذه الواقعة نسبة مادامت متعلقة بذلك الأمير ، لأن ابن سينا يذكر صراحة أنه لم يتصل به ، وليس السمرقندي بأعلم منه بمن لاقاه أو لم يلقه .

لأن نجد ابن سينا قابوس بخرجان رحل عنها في حينه إلى دهستان ، ولكنه سرعان ما عاد إليها . فلقى فيها رجلاً من أفاضل أعيانها ، ميالا إلى الحكمة هو أبو محمد الشيرازي الذي انتشر داراً لارول الفيلسوف بها وعنى بأمر عيشه . وفي هذه الدار كان يتردد على الفيلسوف زور تلاميذه ولصقهم به ، ألا وهو أبو عبيد الله عبد الواحد محمود الجوزجاني ^(٣) الذي صحب

(١) السمرقندي «المقالات الأربع» ، الترجمة الانجليزية ، القصة ٣٦ .

(٢) ابن سينا «القانون في الطب» ، ج ٢ ص ٧١ — ٧٣ طبعة بولاق .

(٣) الجوزجاني هكذا ضبطها السمعاني في كتاب الأنساب ، ولعلها نسبة إلى جوزجان ، فينفوت الحموي في معجم البلدان في مادة جوزجان : «جوزجانان وجوزجان هما واحد ، مد الراي جيم وفي الأولى نونان ، وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان» .

أستأذه منذ ذاك ولازمه ملازمة الظل حتى شيعه إلى القبر . ومدة ذلك - كما يقول التلميذ في ترجمته لأستاذهم خمس وعشرون سنة، ويقول البيهقي إنها ثلاثون ^(١)، ولاشك في صحة الزنى الأول، لأن ابن سينا يذكر أنه لاقاه بجرجان فإذا علمنا أنه بدأ حياته بجرجان عام ٤٠٣ هـ، وأنه توفى بأصفهان عام ٤٢٨ هـ كانت مدة صحبة تلميذه له خمساً وعشرين سنة كاملة . وكنت رواية البيهقي تبعاً لذلك باطلة .

ولسنا نعرف شيئاً ذا قيمة عن حياة فيلسوفنا بجرجان إلا أنه اشتغل بالتدريس . فقد قرأ تلميذه عليه كتاب « المجسطي »، واستملاهُ المنطق فأملَى عليه « المختصر الأوسفي المنطق » . ولعل هذا المختصر عين الكتاب الذي يذكره ابن أبي أصيبعة وحاجي خليفة باسم « الأوسف الجرجاني في المنطق »، ويقولان إن ابن سينا صنّفه لأبي محمد الشيرازي ومن تصانيفه بجرجان « المختصر الأصغر في المنطق » . وهو المنطق الذي لحق بكتاب « النجدة »، و« مختصر المجسطي » . ورسالة في « الزاوية »، وأخرى في « الأرصاد الكلية » . وثالثة في « المبدأ والمعاد »، وهاتان الأخيرتان - كما يقول القفطي وحاجي خليفة - صنفهما أيضاً للشيرازي، ويخالفهما في الأخيرة ابن أبي أصيبعة الذي يضيفها إلى الشيخ أبي محمد بن إبراهيم الفارسي . إلا أن أهم ما بدأ بكتابته بجرجان كتابه الخالد في الطب المسمى « القانون » . قل عنه ابن أبي أصيبعة : « صنف بعضه بجرجان وبالري، وتّمه بهمدان . وعول على أن يعمل له نسخة وتجارب ^(٢) » .

[للبحث بقية]

محمد ثابت الفندي

(١) البيهقي « تاريخ حكماء الاسلام » ص ٣٥ .

(٢) ابن أبي أصيبعة « طبقات الأطباء » ج ٢ ص ١٨ .

المعرفة في السودان

تطلب مجلة « المعرفة » في السودان من المكتبات الآتية :

- ١ - مكتبة البازار السوداني بالخرطوم
- ٢ - « زكي أفندي جرجس بطليموس بالخرطوم
- ٣ - « النهضة العربية بأم درمان
- ٤ - « البازار السوداني »
- ٥ - « المرغنية بكسلا
- ٦ - « البازار السوداني بمطبره
- ٧ - « كمال أفندي ميخائيل غالي بواو مدني
- ٨ - « الخواجا عبد المسيح خليل بمطبره

٢ - مهديو بني العباس *

بقلم الأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

ثم إن العباسيين قطعوا أمل العلويين بملقيهم عبد الله بن محمد بن علي السفاح بالقائم والمرضى،
 في الخطيب « أخبرني الحسين بن عمر القصاب . . . عمره الأعمش. وأخبرنا عبد العزيز بن علي
 زرق . . . عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن أبي - ص - قال: يخرج
 من رجل في انقطاع الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح يكون عطاؤه المال حسياً^(١) »، ونقل
 رواية بني العباس عن رسول الله - ص - أنه قال: « والله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأدال
 به من بني أمية وليكون من السفاح والمنصور والمهدي^(٢) ». فذلك تنقب أبو جعفر
 المنصور، وكان أعداء بني العباس يضمون إياه هذه الأحاديث تكذيباً وتشهيراً
 في الجبارة الذين سيحاربهم المهدي العلوي، ولما حصرت صدور بني علي عليه السلام،
 وساءت أحوال بني العباس بالسلطان والملك وطاردهم في البلاد وشردوا بمن يطالبهم بحقه تار
 مهدي الحسين « محمد بن عبد الله اعرض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب
 - ع - عني المنصور بالمدينة. وتلقب بالمهدي، قال ابن عتبة « وإما لقب المهدي للحديث
 مشهور عن رسول الله - ص - أن المهدي من ولدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي،
 وسعت إليه نفوس بني هاشم وعظموه. وكان جم الغضائ كثير المداقب، وحكي الشيخ أبو الفرج
 لأصماني أن الصادق أخذ بركابه ذات يوم حتى ركب، فقليل له في ذلك فقال: ويحك هذا
 مهدي أهل البيت. وكان المنصور قد بايع له ولأخيه إبراهيم مع جماعة من بني هاشم، فلما
 بويع لبني العباس احتفى محمد وإبراهيم مدة خلافة السفاح. فلما ملك المنصور وعم أنهما عزماء
 عن الخروج جد في طلبهما وقبض على أبيهما وجماعة من أهلها...^(٣) ».

في مصطفى جواد: ولما قتله المنصور أي سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة، أراد أن يضعف
 دور الماس في مهدي بني علي - ع - الذي سيمتوي المهدي بعد النفس الزكية محمد بن عبد الله
 المذكور. فللقب ابنه محمداً بالمهدي. وسلك المهدي شتى السبل لتوثيق ذلك، ومن ذلك ما دبره مع
 قزويني لرومي صاحب الأرحاء التي كانت في الجانب الغربي من دار السلام في صدر الدولة العباسية،

١ - بقية المنصور في الجزء الرابع: أغسطس سنة ١٩٣٣

٢ - كذا ما في تاريخ الخطيب المطبوع ولعل الأصل « حساباً » أي كتابة.

٣ - الخطيب « ١٠ : ٤٨ »

٤ - الطالب في انساب آل أبي طالب ص ٨٦

قال الخطيب : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالعي . . . قال أئمتنا أن يعقوب
ابن المهدي سأل الفضل بن الربيع عن أرحاء البطريق فقال : أخبرني إسحاق بن محمد بن إسحاق
قال له : من هذا البطريق الذي نسب إليه هذا الأرحاء ؟ فقال الفضل : إن ثباك — رضى —
لما أفضيت إليه الخلافة قدم عليه وأقدم من الروم فاستنداه ثم كلمه بترجمان عنه . فقال الرومي :
إني لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا غرض وإنما قدمت شوقاً إليه وإلى النظر إلى وجهه
لأننا نجد في كتبنا أن الثالث من أهل بيت نبي هذه الأمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .
فقال المهدي : قد سرني ما قلت ولت عندنا كل ما نحب ، ثم أمر الربيع بإرساله وبركته .
ثم خرج يتنزه فرجوعه الأرحاء فنظر إليه ، فقال للربيع : أفرضني خمسمائة ألف درهم
بها مستقلاً يؤدي في السنة خمسمائة ألف درهم فقال : أفعل ، ثم أخبر المهدي بما ذكر فقال
أعطه خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وما أغلت فأدفعه إليه ، فإذ خرج إلى بلاده
فأبعت به إليه في كل سنة . قال : ففعل ، فبقي الأرحاء ثم خرج إلى بلاده فكانوا يعمنون
بفعلتها إليه حتى مات الرومي فأمر المهدي أن يضم إلى مستغله .^(١)

ولم يقتصر بمو العباس هذا التوليد على أنفسهم لئلا ترتاب بهم الأحلام وتستكذبهم الأفهام .
فقد زعم الرواة في عهدهم أن رجلاً من أهل الكتاب وفد على معاوية بن أبي سفيان وكان
موصوفاً — على ما قالوا — بقراءة الكتب . فقال له معاوية : أتجد نعتي في شيء من كتب
الله ؟ قال : إي والله لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من بينهم . قال : فكيف تحدثني ؟
قال : أجدك أول من يحول الخلافة ملكاً والخشنة ليلاً ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم .
قال معاوية : فسرني عنى . ثم قال الكتابي : لا تقبل هذا مني . ولكن من نفسك . فحبر
هذا الحبر . قال معاوية : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفك للدم .
يحتجز الأموال ويصطنع الرجال ويحبس الخيول ويبيع حرمة الرسول . قال ثم ماذا ؟ قال :
ثم تكون فتنة تشعب بأقوم حتى يفضي الأمر بها إلى رجل أعرف نعتي ، يبيع الآخرة الدائمة
بخط من الدنيا محسوس ، فيجتمع عليه من آلك . وليس منك . لا يزال لعدوه قاهراً وعبي من
ناوؤه ظاهراً . ويكون له قرين مبير^(٢) لعين ، قال : أفترفه إن ريته ؟ قال : شديداً . فأراه
من الشام من بني أمية ، فقال : ما أراه ههنا ، فوجهه إلى المدينة مع ثقات من رسله . فإذ
عبد الملك يسمع مؤثرراً في يده طائر . فقال للرسول : ها هو ذا .

فالأمر التي تضمنها هذا الخبر — وإن كنا لا يعنيننا صحتها ولا كذبها — ظاهرة لوضع
عليلة العلة ، ويزيدك إيقاناً بتوليدها خبر ثان رواه المبرد قال : « وحدثني ابن عائشة عن محمد بن
ساعة في إسناد ذكره : أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم .
فقال له عبد الملك يوماً وهو في عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن
عقبة المري من مرة عطفان يريد المدينة : « ألا ترى خيل عدو الله قاصدة الحرم رسول الله

١ - الخطيب « ٩٢ : ١ » ، قال مصطفى حواد : « وأما أعجب للمهدي كرمه فمل هذا القول وإنه
السمه ؟ من كتب الأرض مثل جور قله من ذلك عهد عنه وعهد أبيه المنصور وقد هبى قصره بفس — سمه
٢ - ذكروا أن الكبير هو الحجاج

— ص — ؟ . « فقال له يوسف : « حيثك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه » . فنفض عبد الملك
 توبه ^(١) . ثم قال : معاذ الله ، قال له يوسف : ما قلت شاكا ولا مرتاباً وإني لأجذك بجميع
 رصدي . قال عبد الملك : ثم ماذا ؟ قال : يتداولها رهنك ، قال : إلى متى ؟ قال : إلى أن
 تخرج الرايات السود من خراسان ^(٢) . فوجود الرايات السود يدل على وضع بني العباس لهذا
 حجر . وقد قدمنا من الأسباب ما يكفي صاحب الحق نصب التحري ويترد عن نفسه الشك .
 وبقي بنو العباس يحتملون المهدي . يستبدون به . وإن كانت حججهم مبني على احتلاق
 لا يمكن أن نحسبه شبهة فكيف نعتده وثيقة بينة ؟ أما الخبر بل الحديث الذي رواه الخطيب
 في المهدي من بني العباس — وقد ذكرناه — فقد رواه هو مرة ثانية وصورته « عن أبي سعيد ،
 عن سمعت رسول الله — ص — يقول : منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي ،
 فإما القائم فتأتيه الخلافة لم يهرق فيها محجمة من دم ، وأما المنصور فلا ترد له راية . وأما السفاح
 فهو يفتح المال والدم . وأما المهدي فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً » ذكره الخطيب بهذه
 صورة الجديدة في ترجمة عبد الله بن أحمد الحليفة العباسي الملقب بالقائم بأمر الله ، ليبرهن
 أنه هو القائم الموعود . وكان قد بويج بالخلافة سنة « ٢٢٤ هـ » ، وكان أبوه القادر بالله جعله
 ابن عهده ولقبه ذلك اللقب ، ولعمري لم ينفع القائم هذا الحديث الذي جاد به الخطيب عليه
 ومن به في عهده رياسة المحدثين . لأنه كان قد قاسى دل الدولة البويهية في آخر أيامها بالعراق
 وكاد سلطنة بني سلجوق في عنوان دولتهم بالعراق ، فكان حليفة محضرم دولتين ومصدم
 عصرين وملتقى قهرين .

فلآن قد تبين لنا كيف أثرت المهدي في تاريخ الاسلام وبدات كثيراً من مجاريه ، وكانت
 نتائجها بحسب الاجتهاد الذي يراه مهدي زمانه وقائم أوانه . ولكن كثر مع ذلك الفساد
 ونحوت أطراف البلاد وكثرت الفتن والحروب وضعفت الدولة الاسلامية . ولا سيما في العهد
 عباسي . واشتبه المهديون والمضنون . وارتكبت محارم الدين باسمه وثلمت دعائمه بشبهة
 دعوى حكمه ، وكانت مضار هذه النحلة أكبر من منافعها . لأن الشعوبية والقومية الفارسية
 انحوسية لادنائها واطمأننا في كنفها . حتى دس أصحابها المذكور يأتي بكتاب جديد
 وبسة جديدة في يوم على العرب شديد ^(٣) . فانظر إلى مصائر الأمور ولأعيب الدهور !!

مصطفى جواد

[بشداد]

١ - هذه العلامة الدالة على البراءة لا تزال معتدة في عراق ولهم بعضون حيوات الأريزي

٢ (الكامل « ٣ : ١٣٨ - ٩ » طبعة المطبعة الأزهرية

٣ (بشارة الاسلام ١١٩ و ١٢٤ و ١٤٣ و ١٥٨ و ٢٩٢ و ٣٠١ و ٣٠٥ و ٣٠٩ و ٣١٥

٢ - محاكم التفتيش

وكيف بدأ ديوانه التفتيش

للككتور على مظهر

١ - سجون التفتيش في فرنسا

اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية في مدينة طلوشه (تولوز) سنة ١٣٢٩ م - ١٧٢٩ - لأول مرة أيام البابا حريزجور يوس التاسع اجتماعاً تمهيدياً لتقرير إنشاء محكمة يقدم إليها كل من اتهم في دينه الكاثوليكي ، وكل من كان على دين أو معتقد غير ما يعتقد جماعة الكاثوليك أمثال اليهود والبروتستانت وجماعة المفكرين والأحرار والمسيحيين الذين كانوا بأوروبا يمتدحون أيام كانوا بأسبانيا والبرتغال ، وكل من يتهم بالإلحاد والزندقة في مسيحيتهم الكاثوليكية. ولكن البابا المذكور لم يقرر إنشاء الديوان بطريقة رسمية والعمل بما رآه المجتمعون إلا في سنة ١٣٣٣ م ٧٣٣ - ١٧٣٤ - فصدرت الأوامر إلى كل الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن خاص بالبحث عن أشرفنا إليهم آتياً وتقديمهم لمحكمة باباوية خاصة . وخزن لكاهن التفتيش الخاص أن يستعين بمن يراه لازماً لمعونه من الجواسيس ، وكان يطلق على تلك المحكمة الخاصة بالبابوية « الديوان المقدس » أو « التفتيش المقدس » . ولم يكن يعرف أولئك الجواسيس ، بل خفيت أسماءهم عن الناس ووعدوا بفران خطاياهم ، وأحل لهم ارتكاب الجرائم مهما يكن نوعها ومهما تعقب من عظام الأمور . فكان المتهم الذي يحضر أمام المحكمة يسأل ويقرب بما يعتقده صراحته عن الكنيسة وعن الدين المسيحي . فإذا أبى إلا أن يدافع به إلى معذنين يسومونه بالعذاب الآليم . وحل ديوان التفتيش يعمل بفرنسا ، تارة جهراً وتارة في طي الخفاء ، تبعاً لآراء الملوك الذين عضدوه ، حتى كانت انثورة الفرنسية فتقرر إلغاؤه ، وانقم الشعب من رجاله وحرب بعضهم إلى أسبانيا والبرتغال لينضموا إلى رصفائهم هناك .

ومع أن ذلك الديوان وتلك المحاكم كانت معروفة في فرنسا وإيطاليا وفي بلاد أخرى من أوروبا . إلا أنها لم تعمل بها مثل ما عملت بأسبانيا والبرتغال . ولم تدرس من القضاة ولا من البربرية الوحشية مثل ما مارست بخريرة إيبيريا ، حتى قدر بعضهم عدد ضحايا التفتيش ثلاثين عن تسعة آلاف من الناس أثناء المدة المحصورة بين سنة ١٣٣٣ وسنة ١٨٣٥ م . حيث أُلغى

من أسبانيا بعد أن لطخت كل أرجائها بالدم المسفوك في سبيل نصرته الكنيسة والقضاء على مخالفيها .

٢ - سجون التفتيش في أسبانيا

يذكر بعض عارفي أسبانيا ، أنه يوجد إلى يومنا هذا في عدة مدن بأسبانيا أبنية قديمة غريبة في هندستها وشكلها ، تبين ما حولها كل المباني ، كأنها مجموعة من قصور وأديرة وسجون معاً ، جدرانها ضخمة ونوافذها قد اعترضها حديد ضخم غليظ قد تصدأ .

وإذا ولجت إحدى هذه الأبنية من الخلف رأيتها مؤلفة من عدة غرف صغيرة يوصل إليها نمر ضيق . ويصل النور إليها من (ممر) صغير في سقف كل غرفة ، وقد أحكم سد المنور بثلاثة أدوار من غليظ الحديد عليها .

ويرى الزائر في أرض الممر فتحات صغيرة كل فتحة تبعد عن الأخرى نحو متر ونصف متر ، وقد أحكم سدها بالحديد الغليظ . وقد خصصت هذه الفتحات للسجونيين في الغرف السفلى تحت الممر . في الغرف التي بالدور الأسفل ، ومن تحتها طبقات أخرى عديدة تحت الأرض ، وهي سجون سرية لا يهتدى إليها إلا رجال المحكمة والسجانون لحسب .

ومهما يكن النهار رائعاً واشمس طالعة مشرقة . فإن الزائر لا يبصر شيئاً في تلك الممرات وغرف لظلمة المكان . بل يجب أن يصطحب نوراً يضئ له الطريق . أما الغرف فكانت تظلي « شحم » ، ويظهر أن ذلك كان لمنع السجين من تسلق الجدران والهرب أو عمل أي أثر في الحائط للحاجة . ثم يرى بعض آلات التعذيب في كل مكان مثل أسواط بها قطع من الحديد الشائك لجلد المسجونين وإهراء لحومهم من عظامهم ذى (كالليب) لا تتراع اللحم من العظم ، وقدور من الحديد عليها كانت لصهر الرصاص فيها وصبه على المعتدين أو لغمي الماء أو الزيت لمثل ذلك الغرض ، ويرجد إلى جانب ذلك مستودع للفحم لا يزال كثير منه إلى الآن بقرتها .

ومع أن تلك السجون كانت رطبة ، فقد كان الماء يصب فيها على الدوام لكي لا تشرب لأرض الدماء السائلة من أبدان المعتدين وتبقى مشبعة بها .

ذلك مثال من أبنية التعذيب التي كانت تدعى بدور (الديوان المقدس) يتولى الرعب والخوف كل من يمر أمامها عرود تصوره أنه سيدخلها يوماً ما . فكان يثقت يميناً وشمالاً وإلى حلف . وهو لا يصدق أنه سيجوزها ويتخلص من منظرها المخيف المرعب .

٣ - سجون التفتيش في البرتغال

كانت محكمة ديوان التفتيش العامة بالبرتغال ، بمدينة لاشبونة . في مكان الملعب الوطني اليوم . وقد شغلت أبنيتها كل الحى ، حتى إن أبوابها الخلامية كانت تصل إلى الطريق المؤدى للبر القديس أنطونيو .

وقد بنيت هذه الدور بطريقة تؤدي الغرض من نشائها . فكانت ذات غرب عديد وممرات مظلمة تحت الأرض ، وفي وسطها أربع قاعات كبيرة فسيحة ، كل منها زعيمون مربعة ، ويحيط بكل قاعة ثلاثة أروقة ، مؤلفة من ثلاثة أذوار . وفي جدران تلك الأروقة أبواب صغيرة . الواحد جوار الآخر كانت أبواب السجون المعدة للمتهمين والمعذبين . وفي الممر الأسفل الذي يحيط بكل قاعة ، سجون صغيرة وضيقة ، حالكة ومظلمة جداً أعدت لمن كانوا أشد كفراً وضلالاً من غيرهم .

وكانت الأروقة الثلاثة وما بها من سجون تحيط بكل قاعة من قاعات العذاب . عبارة عن ثلاث درجات للتعذيب . تبعاً لذنوب المتهم . وما يحكم به عليه من أنواع العقوب . فمن كانت ذنوبهم خفيفة سجنوا بالسجون العليا وهؤلاء يصلهم فيها قليل من الأمور . وكان جلهم ممن قبض عليهم للبحث عن شئونهم ولتثبت من أمورهم . لأن الديوان ما كان يثق بغيره بأى تهمة تصله ما لم تكن عن أفرادهم وعيونه الذين عينهم . أما من وشى بهم من غير جواسير فكانوا يزجون في تلك أسجون العليا . وكان الديوان يسعى للقبض على أعدائه الذين يرغبون التخلص منهم دفعة واحدة ليقتلهم . وأمثال أولئك المسجونين سجن احتياطية كمن كانوا نادريين جداً . وقل من قبضت عليه محكمة ديوان التفتيش وأدخلته سجونها وحرق حيا . لأن أولئك المفتشين كانوا يقضون على كل مخالف لدينهم وكنيستهم بالموت . أما من كان معهم فله أن يفعل ما يشاء دون عقاب عليه .

وخصصت الطبقة الوسطى من تلك السجون للنساء اللواتي كان رجال ديوان التفتيش يترددون عليهن من حين لآخر . وكثيراً ما كان يتم ذلك للعبث بهن فهن في تلك الدور الموحشة وكان لأبواب تلك السجون الفردية عوارض غليظة من الحديد . يضر بها المجرمين . عن الباب بطريقة أعدت لذلك . لئلا يحاول الكسر أو القفز . ومع فرض كل المستحيل . وتمكن سجين من أن يفتح الباب . فإنه يرى أمامه سوراً عالياً طوله خمسة وعشرون متراً يصبغ عن السجن حندق عميق عرضه يتراوح بين الأربعة أمتار والخمسة . يطوف به الحراس لينهروا ولا يرى السجين شيئاً مما في الخارج ولا يدرى مابه وتدخل إليه أشعة من نور ضئيل وقليل من الهواء لئلا يخفق من فتحة صغيرة في أعلى الباب . وكل غرفة لا تزيد على مترين طولاً ومنهاعرضاً . ولا يمكن أن يتصور الإنسان ما بها من ظلام خصوصاً سجون الطابق السفلي . ولاسي إذا لاحظت الممرات التي يستمد منها السجين النور مظلمة ظلاماً يحتاج السجين إلى مصباح إذا كانت الشمس في رابعة النهار .

وكان ذكر تلك السجون يلتزم أربع في قبوب أشجع الشجران . وكان يرى المقتدر من جانب تلك السجون والمطابق لنفسية بقاعات ديوان التفتيش المسيجة شبيهة فيها رهيب ومع

معه. فيها فحار الزياش يتقلب عليها رجال السمكة المقدسة في الدمقسوعى الحريز، وبها التواعد ونيرة المريحة. يكون مالد وطاب ويحتسون الخور والانبدة. وبلى جوارهم نين وعذاب ليم.

٢ - السجين في مطبقه

يكن عند السجين سوى قطعة من الخشب طوله متران وعرضها متر ونصف المتر تكون سريره على الأرض. ويعطى له غشاءان من الجبس يفرش واحداً ويفطيه الآخر. وتعطى له وميدة أو قطعة من البلاط تكون وسادة له ويترك له. إذا ان يحوى أحدهما ماء للشراب ويغمد به في بوله ويرده، ويترك له بناحر للزيت يصع منه في المصباح الذي يلزمه باضاءه بين نهار. وكان ذلك الأثاث لمن كانوا في الحبس الاحتياطي ودمهم قليلاً. أما من عذابه فلا. وسبب إلزامه باضاءة المصباح ليلى نهار، لكي لا يغيب الليل من نهار. وكان يستعاض في سجون أسبانيا عن المصابيح الزيتية بشموع. ليذكر السجين بأنه أصبح في عداد الأموات حين توفد لهم في غرفهم الشموع. لشدة النكابة بهم وفي أحياء. ولارديذ الرهبة في قلوبهم بغيره لهدوء. ولم يكن يسمح لسمس برفع صوته حتى لو كان يصلى. بل يجب أن يترنم لصمت العام. والويل كل الويل لمن خالف ذلك أقل محافته البتة. وكان يفرس لكل سجين منهم قرش واحد في اليوم. فإذا ما انتهى الشهر طاف بالسجناء السجناء يجمع منهم نسكاً لبقود. ويسأل كل واحد منهم ماذا يرغب أن يفعل بها في شهره القادم وما يريد من ما كل مثلاً، وإليك إجابته على قبيل المثال:

١١. تسعة قروش ليقدّم له كل يوم صحن مرق لحم ساخن (٢) ثمانية قروش ثمن خبز (٣) أربعة قروش ثمن جبن (٤) قرشان ثمن فاكهة (٥) أربعة قروش ثمن نبيد. وباقى وقدره ثلاثة قروش لفصل ثيابه، وكان يصحب السجين كاتب يدون مطالب السجناء كل على حدة. فيقدم للسجين كل ما أملاه على الكاتب وما أبداه من رغبات مع تقديمها تماماً في مواعيد مصبوبة. أما إذا جاء امر من الديوان بإلغاء شيء منها أو بإلغاء كلها، فلا يعطى شيء. وإذا ما قرر المجلس شيئاً للسجين من الأطعمة فيجب على الكاتب والسجين أن يتخذوا ذلك على رقة. وإلا نالهم من العقاب الصارم مما يجعله عزة لغيره. لأنه لم يتفقد وأمر السمكة ليم. وكان رجالها يعدون أنفسهم نواب الله في أرضه.

أما من كان يسرّيد في المقر من طعام وخمر. وكان حلقهم من الغرباء. فكان يحب عليهم أن يتقدموا الرجل الديوان ويشاءوهم بطلباتهم وحاجاتهم فيستمع لهم رجال الديوان وينصتوا. وتحت ظننت غالباً ما لم يكن منها ما يضر بالصحة، وكانوا يقصدون بذلك أن يضيوا آجالهم شدة فيهم مشيئة السمكة المقدسة. ولا يدعواهم متوتون من مرض تسبب عن طعام أو شراب. وكان محظوراً على السجين أن يكلم أحداً أو أن يرفع صوته سواء كان من الآلام أو من الصلاة.

أو لاستغفار الله أو للترنيل أو للغناء أو لأي سبب آخر، فكأنما قد انقطعت صلته بالعلم بأسره،
 انقطاعاً تاماً، ومن خالف تلك الأوامر عرض نفسه للعذاب وللقصاص الأليم، وكان جرير
 السجون ورجال النظام في تلك السجون المظلمة ينقلون لرجال الديوان المقدس كل معد
 فلا تخفى عليهم حافية. وكانت الممرات التي بها أبواب السجون ملاءى بالسجانين يستمعون
 لمعاشر البائسين في المطابق ويأمر ونهم ألا يرتكبوا ما يحرمه رجال التفتيش عليهم مرة، فز
 عاد وارتكب مخالفة (على حد تعبيرهم) صدر الأمر بإرسال السجين إلى حصرة رجل
 المحكمة. ويخرج المسكين أمام بقية المسجونين، وإذا مثل أمام المحكمة أصدرت حكمها بمرته
 بتأديبه وتعذيبه، فيرسل إلى قاعة التعذيب فيصيح من شدة الآلام التي يقاسمها حينئذ ويصرخ
 فإذا ما سمعه رفاقه في السجن ملئوا رعباً واشتد بهم الحزن والفهم.

وكان محظوراً على السجين الإتيان بحركة أو الكلام وهو في سجنه منعزلاً، حتى إذا
 المسجونين أصيب بالسل بعد أن قضى زمناً طويلاً في عذابه وسجنه الرطب الموحش المظلم،
 فأخذ يعمل رغم أنفه، فأذروه بالأيعود إلى السعال بعد، فأجاب وهو خاشع دليل أن هذا
 رغم إرادته، وأنه لا يمكنه الاقتراع عن السعال. واشتد عليه المرض فأكثر من السعال فتبد
 إلى المحاكمة فقضت فيه بحكمها المصروف، وكان يقضى بضربه بالعصى فضرب حتى سقط بين
 أيدي معذبيه القساة واستراح من تعاسته وحياة السجون والعذاب. والذي روى هذا شمه
 عيان أنهم بأنهم من أحرار البنائين (الماسون)، وسجن عام ١٧٤٣ - م سنة ١١٥٦ هـ.

٥ - ديوان التفتيش في بلاد البرتغال

بدأت محاكم التفتيش تبشر فظائعها ببلاد البرتغال حوالي سنة ١٥٤٧ م (سنة ٩٥٥ هـ)
 أيام الملك جوان الثالث، أعني عند ما ابتدأت الأسرة المالكة هناك في الانحطاط. على أن رجوع
 ألا يفهم من هذا أنه لم يكن هناك اضطهادات دينية عديدة وقمت على الناس في بلاد البرتغال
 وبلاد إسبانيا قبل ذلك التاريخ، فكل من درس تاريخ تلك العصور المظلمة يعرف شدة غراس
 فرديناند في تمصيه للمذهب الكاثوليكي والذي كان يقول كلمته الشهيرة وهي:

«يجب أن تكون إسبانيا إما كاثوليكية أو إسلامية»، وبمعنى بذلك أنه يجب أن تكون
 البلاد بدين واحد وهو الكاثوليكي طبعاً، ويجب ألا تدين بدين آخر.

أما في بلاد البرتغال فقد أدخل الملك جوان الثالث ذلك الديوان الخاص المعروف بفسوة
 وعقوة في محاربة من حاله، ونعني بذلك الديوان ديوان التفتيش أو محكمة التفتيش. وكان
 ذلك الملك يأتي إلى ساحة المدينة التي كان يحرق بها من حكمت عليهم محاكم التفتيش بالحرق
 والعذاب، وكان يصحب الملك الملكة والوزراء ورجال الدولة وكبار رجال الدين فيتبوهون
 مجالسهم في مكاتب مرتفع مزينة أحسن زينة ليقمعوا النفس بتناظر التعذيب وحرق خنا
 البشرية الحية.

حضر موت

وعمرها بالنعمة الباضية

بقلم السيد عبد الله حسن بلفقيه العلوى [تريم]

لمعة عن مسمى حضر موت

حضر موت في أصلها مملكة أو ولاية تقع في جنوب شبه جزيرة العرب، وهي وإن كانت بين اليمن وتحسب في اعتبار البعض بخلاف من مخالفه، فهي معدودة أيضاً كأحد الأقاليم لجزيرة العرب. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الكبير ابن خلدون في تاريخه الشهير.

ويذكر ابن خلدون في تحديده لإقليم حضر موت - كما يستخلص من مواضع متفرقة من تاريخه في تاريخه - أن حد إقليم حضر موت من الشرق إقليم عمان، ومن الغرب ناحية عدن وبدر بخلاف بيحان، ومن الجنوب لبحر الهندي، ومن الشمال أرض وبار وبلاد كنده. (١) ويقتل ابن خلدون عن ابن حوقل تقسيم إقليم حضر موت إلى قسمين، فيقول: إنهما ريعاً لملك واحد، فيسمى أحدهما بحضر موت وهو قسم الداخل، ويسمى الآخر - وهو قسم الساحل - بالشحر وبلاد مهره وبيسابط حضر موت. وتحديده لهذا القسم الساحلي بأن يجرى ساحل البحر الهندي الذي عليه عدن (٢). وفي شرقيه بلاد عمان، وفي جنوبيه بحر العرب مستطيل عليه، وفي شماله حضر موت كأنها ساحل له.

ثم بعض المتأخرين من علماء حضر موت فلهم أقوال أخرى ينقلونها عن تحديد حضر موت؛ ويروى أن حدها بجهة الغرب الجنوبي عين بامعبد الواقعة غربي بير علي، وفي الشرق الجنوبي إلى المسمى بديعوت الكائن غربي سيحوت، وفي الغرب الشمالي حدود ريدة الصيغر، وفي الشمال نهاية حدود مهره في الشمال. فيحمل هذا التحديد شرقاً على المشقاص وما حادها من حدود متصلة بين أرض الظني ومهره، ويحمل غرباً على جردان وما والاها.

(١) ص ٩٢ و ٢٢٥ و ٢٢٦ ج ٤: ابن خلدون.

٢ عدن المذكورة هنا هي عدن أبيره. انظر ص ٢٢٢ ج ٤: ابن خلدون.

أقدم عهد لاتصال الخوارج بحضرموت

أول ما كان من اتصال الخوارج بحضرموت ما يذكره المؤرخون كابن خلدون من انقباض الخوارج النجدية، أي أشياع نجدة بن عامر الحنفي، لحضرموت وبمنهم لها في سنة ٦٦ من الهجرة بإفديك لقبض الصدفة باسم الفرقة النجدية.

بلد عهد الإياضية

ثم كان عهد الإياضية^(١) أتباع عبد الله بن إياض الصريمي الحارثي، وهم إحدى فرق الخوارج. ويجمعون مع بقية الفرق الخارجية في القول بإكفار عثمان وعلي ومعاوية ومحمد، والحكمين ومن رضى بالتحكيم. وفي القول أيضاً بإكفار الزاني والسارق، وفي القول بوجوب الخروج على السلطان الجائر. ويبتدىء عهد الإياضية بحضرموت بدخول أبي حمزة الخاضعي البصري إلى حضرموت سنة ١٢٩ هجرية بعد اقتتال عبد الله بن يحيى الكندي به ودعوه الإياضية حينما لقيه بمكة سنة ١٢٨ هـ.

محاولة إنكار العهد الإياضي بحضرموت

كتب صاحب جريدة (الهدى) السينقا فورية حضرة عبد الواحد الجيلاني مقالاً اطلع عليه بعض (المعرفة) عدد نوفمبر ١٩٣٢ عنوانه (مجلة المعرفة وما ينشر فيها). وفي هذا المقال أبدى صاحب جريدة الهدى محاولة إنكار وجود عهد النحلة الإياضية بحضرموت، وما كان من إبادتها عند دخول الإمام المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت وتوطين السادة العلوية بها مما ذكره مؤرخو حضرموت.

وإلى القراء بعض ما قاله في هذه المحاولة :

« وقد ظن بعض القراء أن السيد طه أراد بمقالته تلك إثبات وجود النحلة لأبضية (كما جاء بالفناء المدججة وبتفتح الهمزة) بحضرموت وإبادتها على يد أحمد بن عيسى المهاجر الذي هاجر إلى حضرموت من العراق كما يقول السيد طه وغيره من الكتاب الباعليين^(٢) مما لم يذكره مؤرخ ثقة، ولكننا لا نعتقد ذلك، فالسيد طه لاناقة له ولا جمل في علم التاريخ، ولا ضئيلة اطلع على أي تاريخ معتبر، وهذا ما قاله حضرة ع. و. الجيلاني.

(١) بكسر الهمزة كما ضبطه شارح السكامل: سيد بن علي المرصفي.

(٢) رى حضرة ع. و. الجيلاني بكرر دأماً - لمناسبة ولغير مناسبة - كلمة «الباعليين» التي لم نسمع قط قبله، ولم يقلها أحد من الفسايين. والذي يظهر أنه إنما يفعل ذلك لحبسه في هذا هو من السكيات للسادة آل أبي علوي العلويين الذين أخذوا على نفسه الواقعة فيهم ضيقة ونحن نجله عن أن يففل عن أنه بتشبيته بهذه الكلمة الرنيكة إنما يظهر للعلامة إمام جده له

الأسباب التي أوجبت تأجيل البحث إلى اليوم

كنت كل هذه المدة الماضية أطلع إلى ما يكتبه الأستاذ السيد طه السقا في سبيل الدفع مما في الدب عن مقاله، لأنني قررت لزوم جانب التوقف والتمهل ريثما يتولى حضرته ذلك أو يوم غيره من أنصار التاريخ من مواطني المهجر فيعرف صاحب جريدة الهدى مبلغ علمه بتاريخه ويكتب المؤرخين ويبصره بحقيقة دعاويه وما ظهر من ريائه العلمي ولا يدعه حتى يترك له ولغيره من المتطفلين أكبر عظة وأعظم عبرة من ناحية التاريخ الحضري، وهي أن تاريخ حضر موت بعد الاسلام قد حققه الحضارمة واليمنيون، وما بقي لتثويش الدخلاء إليه من ولا لعينهم متسع.

وذلك لأن هؤلاء الدخلاء قد اكبروا الأمر وأعظموا الفرية. حيث تظاهروا وادعوا - بحملهم - بأنهم أعرف بتاريخ حضر موت من علمائها وأدبائها، بل من مؤرخيها وجها بذاتها. لكنه قد خطر لي بعد مضي هذه المدة الطويلة دون غور على رد، ووقوف على تعقب دولة صاحب جريدة الهدى بصدد النحلة الاباضية وعهد حضر موت بها - خطري أن لا يوجد هناك علة تصرفهم - أي مواطني هناك - عن التعقب والاستدراك على هذه دولة الواهية، كشعورهم مثلاً بأنبناء أمور هؤلاء على محض الماراة ومجرد السفسة.

فلما حيثئذ إن كان هذا هو الصارف لهم ومن أجله لووا عنان تعقبهم لصاحب جريدة الهدى واستندرا بهم على أخطائه في محاولته - فإني بهذا لا أرى رأيهم لما يؤدي إليه من شكوك والارتياح في صحة حادثة من أشهر حوادث الماضي، وواقعة من أظهر وقائع الغابر.

ماذا قال المؤرخون عن دخول الاباضية ووجودها بحضر موت ؟

إن واجبي بازاء محاولة صاحب جريدة الهدى - لا إنكار عهد الاباضية بحضر موت وإنكار منها على يد العلويين وتلامذتهم وأنصارهم - يتحدد في ألا أزيد على نقل أقوال مشاهير المؤرخين وثقاتهم لدى الأمة العربية والشعوب الاسلامية. وأن أسرد ما ذكره في تاريخهم عن

هم. لأن كتب الانساب طافحة بذكرهم على غير ما يقول. والنسابون من العرب في مشارق الأرض ومغاربها مطبوعون على تسميتهم بأل أبي علوى وبالعلويين. ولكن إذا كانت عقلية صحت تصور له أن ابتداء اليوم هذه الكلمة بعد فتحاً عظيماً له في عالم الاختلاق ومجدآ يتخلل له في صور الأوراق، أو تصور له أيضاً أنه بهذا سيكون مخرجاً للسادة آل أبي علوى عن حظيرة العلوية في نوراً النسابون على اتبائهم إليها - فلعقليته أن تبرز للعالم ماشاءات من الخزيات والمضحكات الاغاب ولا ملامة، مادام هو فرحاً بذلك.

دخول النحلة الإباضية إلى حضرموت، وعن وجودها مدة تقرب من القرنين حتى جاء عهد السادة العلويين الذي كان فيه إبادةها وتطهير الإقليم الحضرمي منها .
ولا أتعرض إلى غير عزو القول إلى قائله ملخصاً أو مبسوطاً، ولكنني أدع التعليق على ذلك لقراء «المعرفة» الذين بينهم — والحمد لله — العدد الكثير من ذوى المسكنة العالية والعلم والفطنة، والاطلاع والتحقيق .

ابن جرير الطبرى

قال ابن جرير الطبرى فيما يرويه عن موسى بن كثير : كان أول أمر أبى حمزة، وهو المختار ابن عوف الأزدي السلمي من البصرة . قال موسى : كان أول أمر أبى حمزة أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان ، قال : فلم يزل ينجس في كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة ١٢٨ فقال له : يا رجل اسمع كلاماً حسناً، إنك تدعو إلى حق فانطلق معي ، فأبى رجل مطاع في قومي . فخرج حتى ورد حضرموت فبابه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان ^(١) .

المسعودى

قال المسعودى في تاريخه : وفي سنة ١٣٠ جهز مروان بن محمد جيشاً مع عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدى فلقى الخوارج بوادى القرى فقتل بلخ (يعنى ابن عقبة الأزدي)، وروى حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج ، وسار عبد الملك في جيش مروان من أهل الشام واليمن ، وخرج عبد الله بن يحيى الكندى الخارجى من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وجرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى ^(٢) وأكثر من كان معه من الإباضية، ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت . فأكثر أهلها إباضية إلى هذا الوقت وهو سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . ولا فرق بينهم وبين من بمان من الخوارج في هذا الوقت ^(٣) .

ابن الأثير

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل في حوادث سنة ١٢٨ : كان اسم أبى حمزة لخارجى

(١) ص ٧٨ ج ٩ : تاريخ الطبرى طبعة أولى بالمطبعة الحسينية بمصر .

(٢) ذكر المسعودى قبل هذا الكلام أن عبد الله بن يحيى سمي نفسه طالب الحق .

(٣) ص ٦٧ ج ٣ من تاريخ المسعودى المسمى بمروج الذهب، والمطبوع بهامش فتح العجب

سنة ١٣٠٢ بالمطبعة الأزهرية بمصر .

عن ابن عوف الأزدي السلمي البصري، وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الاباضية يوافي
سنة مكة ويدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد، فلم يرل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى
لعروف بطالب الحق في آخر سنة ثمان وعشرين، فقال له: يا رجل أسمع كلاما حسنا، وأراك
تسيرل حق فانطلق معي فاني رجل مطاع في قومي، فخرج حتى ورد حضر موت فبايعه أبو
مروان في الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان وال مروان. وقال في حوادث سنة ١٢٩: وفي هذه
السنة قدم أبو حمزة بلخ بن عتبة الأزدي الخارجي الحج من قبل عبد الله بن يحيى طالب الحق
فكف للخلاف على مروان بن محمد، فبينما الناس بمعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم
الأمم وعمام سود على رؤوس الرماح وهم سبعة مائة. ففرغ الناس حينئذ رؤسهم وسألوه عن حالهم
فدعواهم بخلاف مروان وآل مروان. وذكر في حوادث سنة ١٣٠ بقية أخبار أبي حمزة وقتله
طالب الحق. (١)

ابن خلدون

عن ابن خلدون: كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي البصري، وكان
من خوارج الاباضية، وكان يوافي مكة كل موسم يدعو إلى خلاف مروان. وجاء عبد الله بن
لعروف بطالب الحق سنة ١٢٨ وهو من حضر موت فقال له انطلق معي فاني مطاع
في قومي فانطلق معه إلى حضر موت وبايعه على الخلافة. وبعثه عبد الله سنة ١٢٩ مع بلخ بن
عبد الله الأزدي في سبعة مائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف. وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن
سليمان بن عبد الملك. وذكر ابن خلدون قتل أبي حمزة وانهازم الخوارج بوادي القرى. وقتل
طالب الحق بعد ذلك. (٢)

وعن ابن خلدون في آخر الباب كلمته عن انقراض كلمة الخوارج بالشام والعراق إلى أن قال: لا ما كان
من خوارج البربر بأفريقية، فإن دعوة الخارجية فشت فيهم ثم فشت دعوة الاباضية والسلفية...
ووقيت آثار نخلتهم في أعقاب البربر، ثم دل بعد ما تقدم ذكره وكان بنو احنى البحرين
من حضر موت وشرق اليمن ونواحي الموصل آثار تفشي وعروق في كل دولة.
وقال ابن خلدون في هذه الآية: ويقال إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة

١٦٦ و ١٦٧ و ١٧٧ و ١٨٥ و ١٨٦ ج ٥ من ابن الأثير طبعة أولى بالطبعة الأزهرية
سنة ١٣١٠.

(٢) م ١٢٧ ج ٣: ابن خلدون

بيلاد حضرموت (أى عهد المؤلف فى النصف الأخير من القرن الثامن) ، وأنه يفضل ويهدى من يشاء. (١)

ونقل ابن خلدون عن ابن حوقل مانعه : وبسكنها (أى الشحر ، وهو قسم حضرموت الساحلى) بعمد مهرة من حضرموت أو من قضاة ... إلى أن قال : ودينهم الخارجية عن رضى الإيضية منهم. (٢)

مقارنة بين أقوال الشلى وأقوال هؤلاء المؤرخين

بسبب صاحب جريدة « الهدى » الشلى صاحب المشرع الروى فى مناقب بنى علوى . بنى لا يكتب لمجرد التدوين التاريخى ، وأن صفته التحامل والتعزب فيما يكتب . ونحن معصرون هنا إلى نقل ماأوردته الشلى بهذا الصدد مما يجعله صاحب جريدة الهدى محوراً للاستشهاد على تحامل العلويين ؛ الذى مازلنا نجعله ونجمل كثيراً الطرف المقصود به فى هذا المقام .

قال الشلى رحمه الله : ثم فى سنة تسع وعشرين ومائة استولى على هذا الإقليم طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندى الأعور ، واجتمع عليه الخوارج . ثم سار إلى صنعاء واستولى على غلبى الأموال وجهاز إلى مكة عشرة آلاف وغلبوا عليها ، ولما سمع بخبرهم مروان بن محمد . وكان بالمدينة . جهز عليهم . التقي الجمعان بقديد فى صفر فانهزم أصحاب مروان وقتل منهم ثلثه من قريش منهم حمزة بن مصعب بن الزبير وابنه صمارة وابن أخيه مصعب بن عكاشة وغير ابن عبد الله ومهرو بن عثمان ، وقتل من بنى أسد أربعون ، وفيه يقول النابغة :

ما للزمان وماليه أفتى قديد رجاليه

ثم بعث مروان بن محمد أربعة آلاف عليهم عبد الملك بن عطية السعدي ، والتقوا مع طالب الحق بمكة المشرفة ، فانتصر أصحاب مروان وقتلوا أصحاب طالب الحق ، فما بلغه ذلك قتل من اليمن فى ثلاثين ألفاً ، وسار ابن عنية لقتاله فالتقوا ثانياً ودام القتال حتى قتل طالب الحق وقتل معه ألف حضرمى وبعث برءوسهم (٣) إلى مروان ... ثم قال بعد كلام لاعتقاده بالموسى ولم تزل الإيضية ظاهرين فى هذا الإقليم وشوكتهم قائمة إلى أن قدم المهاجر بنى

(١) ص ١٧٠ ج ٣ : ابن خلدون .

(٢) ص ٢٢٧ ج ٤ : ابن خلدون .

(٣) نقل ابن الأثير فى الكامل قتل طالب الحق وحمل رأسه إلى مروان .

عن أحمد بن عيسى^(١) (وساق نسب المهاجر) فظهر الله به البدع والضلال بما أورده من صحيح الاستدلال، وأحياء به ونشره بعد ما أماته وأقبره . ثم تلاه الشيخ سالم^(٢) فأنزل البدعة من أنزل رتبته، ونشر العلوم وأظهر فضيلتها . ثم عززها الأستاذ الأعظم الفقيه المتقدم^(٣) فسد به ذلك الوادي ، وأسس على التقوى مسجد ذلك النادي، فأظهر في هذا الإقليم عقائد من السنة والجماعة، وأحيا العلوم على الصراط المستقيم، فأصداً بذلك وجه الله الكريم .

وقال في موضع آخر: لما وصل السيد الإمام أحمد بن عيسى تلك الديار قصده الأخيار ، وبحث المظن إليه من أقصى القفار ، ودخلت الخوارج تحت الطاعة، وعلت الاباضية أن ليس من بأهل السنة استطاعة ، وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد اضطحلال، وأظهر إمامه الإمام شافعي بنشر مذهبه، وأقعد النسب الهاشمي في علياه رتبة ، وقاب على يده خلق كثير ، ورجع من البدعة إلى السنة جم غفير، بعد أن ركبوا الصعب والذلول في تفتيت شمله والله يجمعه ، واجتهدوا في خفض مناره والله يرفعه .^(٤)

هذا هو ما أورده صاحب المشرع بصدد عهد الاباضية بحضر موت وكيف كان دخولها بها . وكيف تمت إبادة في عهد العلويين . فأين هو ياترى أثر ذلك التعامل العظيم الذي بلغ به عقيرته حضرة عبد الواحد الجيلاني في هذا المقام وفي غيره، فيهمت به أقواما أبرياء يقرأ كتابهم المنصفون فيأسفون أن يكون بين كتاب الضاد كاتب لبق كحضرة صاحب جريدة الهدى بكرس وقته النفيس ويستخدم قريحته الوقادة في القذع والذع وجرح المواطف ومغالطة الحقائق وإيقاد نيران الثفتن بين أبناء الوطن الواحد ؟ إن هذا مما لا يرضاه له أي حادب عليه ، هذاه الله وإنا صواء السبيل

عبد الله بن حسن بلفقيه باعلوى العلوى

[تريم . عدن]

(١) هاجر المهاجر إلى حضر موت سنة ٣١٧ بطريق الحجاز واليمن، ووصلها حوالي سنة ٣١٩ وتوفي بها سنة ٣٤٥ .

(٢) الشيخ سالم هو سالم بن بصرى ترجمه الطيب بالحرملة في الجزء الثاني من تاريخه فقال: سالم بن بصرى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن علي بن جعفر الصادق إلى آخر نسبه؛ ثم قال: وبصرى المذكور هو أخو علوى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى جد الأثراف آل أبي علوى؛ وذكر أنه توفي سنة ٦٠٤ هجرية .

(٣) توفي الفقيه المتقدم رضى الله عنه وتبع به بتريم سنة ٤٥٣ هـ .

(٤) ص ١٢٧ و ١٥٤ و ١٥٥ ج ١: المشرع الروى .

في الادب الروسي

قصة الانف

لنيكولاجوجول (١٨٠٩-١٨٥٢)

— ١ —

في صبيحة ٢٥ مارس حدث بمدينة بطرسبرج حادث جند طريف ، فقد استيقظ اعلان « إيفان ياكوفلنتش » مبكراً قليلاً على خلاف عادته ، وذلك لأن الحجرة كانت تعبق برائحة خبز حار . ولأول ما نهض من فراشه وقعت عيناه على زوجته ، تلك السيدة المترهلة المنفرة بتعاطي القهوة ، فرأها منهكة في إخراج أرغفة طازجة من الفرن فقال :
« لست أريد أن أتناول قهوتي اليوم يا « براسكوفيا أوزوبفنا » ، فاني أفصل بدلاً منها حراً حاراً مع قليل من البصل » .

والحق الذي لا مرية فيه ، هو أن إيفان ياكوفلنتش كان يفضل أن يتمتع بالقهوة والخمر معاً ، إلا أنه كان على ثقة من أنه محال أن يطمح إلى شيئين في آن واحد ، لأن براسكوفيا أوزوبفنا كانت تحق مثل هذا الإسراف . فقالت الزوجة في نفسها :
« ليتناول الآخر خبزاً فذلك خير لي وأبقى . لأن فنحنائاً ثانياً من القهوة سيترك شراباً هنيئاً » . ثم ألقت إليه برغيف فوق المائدة .

ووفقاً لأداب المائدة وضع إيفان ياكوفلنتش فوق قميصه ظرفاً من رداء قديم ، ثم حوس إلى مائدة تناثر الملح عليها ، وفوقها بصلتان ، فتناول السكين بيده وأخذ يقطع الرغيف في حين كان وجهه يبدو عليه ساء الجد والزناة . وبعد أن قطع الرغيف نصفين حملق إلى لبايه ملياً : « وحذاته الدهشة حين رأى شيئاً أبيض فيه ، فنقر إيفان ياكوفلنتش بسكينه مثنى وثلاث ، ثم أمسه بأصبعه . ومع ذلك لم يهتد إلى معرفته .

وأخيراً أنشب أنظافره في لباب الرغيف واترعه ، ولم كانت دهشته بالغة حين رأى ذلك أنف . سقطت يد إيفان ياكوفلنتش من أثر الدهشة ، ولكنه بسرعة مسح عينيه جيداً . وطاق بفحص ذلك الشيء من جديد . . . لقد كان أنفاً حقيقياً . وأعجب من ذلك أن الأنف بدا لتأثره مألوفاً عنده . وفي الحال سرت في وجه إيفان ياكوفلنتش نظرة ذعر عميق ، ولكنه دعر ضئيل إذا قيس بالسخط الذي استولى على زوجته التي أخذت تصرخ وتقول :

« من أين اقتطعت هذا الأنف أيها الوحش الضاري والوغد الكبير ؟ سأذهب بنفسى إلى بوليس لأبلغ عنك أيها الأثيم .. طبعاً نجد مثل هذا الأنف هنا، فلقد سمعت من ثلاثة من كرام بيت أنك عند ما تخلق لهم شعورهم تعتمد إلى أنوفهم فتسحبها ذات اليمين وذات الشمال حتى تكاد تقتلعها من وجوههم » .

وكان إيفان ياكوفلنتش آنشد أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، فقد لاحظ أن الأنف يمكن أن يكون إلا أنف « كوظائف » ذلك الرجل الذى يخلق له كل يوم أربعاء وكل يوم أحد . « مهلاً يا براسكوفيا أوزبوفنا، مهلاً ، سألقه فى حرقه وأضمه فى ركن من أركان الحجرة .. ولبقى هنا قليلاً ريثما أعود إليه ثانية » .

« لا . لا . لا أحب أن أتصوره ... يا للفظارة . يا للشناعة ! وهل أنا ممن يسمح لأنف مدعو أن يبقى فى حجرته ؟ .. أبعد به . خذه إلى حيث تشاء ، لا تجعل عيني ترمقانه ثانية » . توقف إيفان ياكوفلنتش كمن دهشته داهمة ، وفكر وأطال التفكير ، ولكنه لم يدر كيف سرف . فقال : « إن بوليس وحده هو الذى يعرف كيف حدث هذا » . ثم أخذ يحك صدأه ويقول : « هل جئت ثلث ليلة أمس أم ماذا ؟ لست أستطيع أن أحزم بشيء الآن ، لأن هذا الحادث أمر شاذ ، لأن الخبر شيء يؤكل ، فى حين أن الأنف شيء آخر يخالفه تماماً فكيف اجتماعاً ؟ ما أغمض هذا السر ! » .

ثم استلم إيفان ياكوفلنتش للصمت العميق وتراخت قواه عند ما حطر بباله أن البوليس قد بحث عن الأنف وبلغ تبعة ذلك عليه . ثم تراءى له طوق البوليس الأحمر وسيفه الممشوق ، مبره رتماش شديد . وأخيراً ارتلق فى بطنونه وحذائيه وسحب الأنف ليديره فى حرقه . ثم حرح إلى الشارع مسرعاً فتسحبه لعنات براسكوفيا أوزبوفنا المرة .

أراد أن يقص الأنف عن الأنظار . وأن يلقه كيفما اتفق . وبعد ذلك يقضى راجعاً فى شارع من دون أن يشعر به أحد . وإذا كان النحس حليفه أبداً فقد التقى بشخص يعرفه ابتدره سلاحاً كزياً باليد . « إلى أين ؟ » من ذا الذى ستخلق شعره فى هذا الصباح مكرراً ؟ » وهكذا لم تفتح لإيفان ياكوفلنتش فرصة سعيدة لتحلص فيها من ذلك الأنف . وفى مرة ثانية لم يفت بالنعش من يده ولكن الأبرشار إليه - عن بعد - بطرف بدقيته وهو يقول : « قد لقيت شيئاً » . فاضطر إيفان ياكوفلنتش إلى أن يسترد الأنف ويضعه فى رصه ذية . وهو آنشد أكثر ما يكون بأساً . خصوصاً وقد تزايد عدد المارة وأخذت المتاجر تفتح أبوابها شيئاً فشيئاً . وصمم فى الحال على أن يذهب إلى جسر القديس إسحق . رجاء أن يتمكن من قذفه فى جوف نهر النيفا .

والآن فلنتحدث عن شخصية إيفان ياكوفلنتش لأنه رجل جدير بالاعتبار من جملة وجوه .

يجب أن يبرز الأنف... نعم فقد كان الأنف غير موجود ، فامتلاء لحينه جزءاً واهلماً، وطلب قليلاً من الماء ومنشفة ليسح عينه من القذى على يراه ، ولكن لم يكن هناك أنف ما ، فتلمس وجهه بيده ، ثم قرص جسمه ليتأكد أنه لم يكن نائماً ، فتبين له أنه مستيقظ بلا شك، ثم قفز من فراشه وهز جسمه وحرك عضلاته ، ومع ذلك ظل الأنف غائباً . وأخيراً ارتدى ملابسه ثم عجم وجهه شطر البوليس.

كان كوفاليوف يفضل أن يلقب بالماجور كوفاليوف ، كذلك سنلقبه منذ الآن بهذا اللقب؛ وكان من عادة المايجور كوفاليوف أن يتزده جيئةً وذهاباً في ميدان « نكسي »؛ وكانت ياقته دائماً نظيفة جميلة ، وشارباه يشبهان ما نراه الآن عند ماسحي الأراضي والمماريين وأطباء الجيش، وهما يبدآن من أواسط الخدين وينتهيان عند الأنف . وكان قد هبط بطرسبرج رجاء أن يمتز على وظيفة تليق بمقامه الذي خيله لنفسه . وكان يرى أنه إذا أسعده الحظ فلا أقل من وظيفة رئيس يشرف على مصلحة خطيرة ؛ ولم يكن المايجور كوفاليوف يرتاح إلى فكرة الزواج ، لأنه إذا استطاع أن يمتز على عروس تملك مائتي ألف من الجنيهات فلا بأس بالزواج؛ وهكذا يستطيع القارئ أن يتصور ماذا كان موقف المايجور كوفاليوف عند ما نظر إلى نفسه، فبدلاً من أن يجد أنفه المتناسق ، وجد مسطحاً مستويًا . وإذا كان النحس حليفه فإنه لم يجد عربة مافي لطريق ، لذلك اضطر أن يسير على قدميه ملتفياً بمطقة ونخباً وجهه تحت منديل بيده ، حتى أن كل من رآه يظن أن له أنفاً . ثم أخذ يقلب المسألة في ذهنه وهو يسير :

« قد يكون ذلك خيالاً مني ووهماً ؛ محال أني فقدت أنفي » .

ثم انتهى نحو رجل يبيع الحلوى ليتاح له النظر في مرآة أخرى . ولحسن حظهِ لم يكن محل أحد ما . اللهم إلا الغلمان الذين كانوا مسحون البلاط ويضعون الكراسي في أماكنها ، فقال : « حسناً الحمد لله ، الآن أستطيع أن أنظر وأنا كد » ثم واجه المرأة بحزن شديد : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وجدت شيئاً بارزاً موضع الأنف ، يا للحسرة ، ألا يوجد شيء البتة ؟ »

ثم عض على يديه ندماً وحسرة ، وأسرع في الخروج وهو قلق البال . وصمم - خلافاً لعادته - أن لا ينظر أو يلتفت إلى أي إنسان من المارة ؛ وما كاد يسير قليلاً حتى وقف فجأة أمام منزل؛ وكأنه شجرة نبتت هناك لا تبرح موضعها ، ذلك لأنه حدث أمام عينيه شيء غير مفهوم ؛ فقد وقفت عربة أمام المنزل ، ثم انفتح بابها فخرج منه سيد أنيق الهندام واندفع نحو درج المنزل ، وكان ذلك السيد موضع دهشة كوفاليوف ومصدر خوفه واضطرابه في آن واحد ، إذ أنه تراءى لكوفاليوف أنه هو أنفه المفقود . وفي هذا الظرف المصيب حيل إليه أن كل شيء يضطرب أمامه، وأن الأرض التي يقف عليها كانت تميد به، وشعر أنه ضعف عن تمالك أعصابه ، ومع ذلك فقد صمم على أن ينتظر عودة ذلك السيد إلى عربته ليعيد إليه النظر

والفحص الدقيق . وبعد دقيقة-ين رأى الأنف يعود فوق الدرج ، وكان يلبس ياقة مقواة مرتفعة وبنطلوناً لزكوب الخيل، وكان يرسل سيفاً إلى جانبه الأيسر، وعند ما خرج من باب المدخل نظر تنه ويسرة . وطلب إلى السائق أن يفتح باب العربى ، ثم ولجها فسارت .

أما كوفاليفو للمسكين فقد طار ليه وجن جنونه، ولم يستطع أن يتروى في هذا الاتقاق العجيب . الذى أوقفه أمام أنفه الذى كان - حتى الأمس فقط - في وسط الوجه ولا يستطيع الحركة والمشي . فكيف يبدو اليوم في حلة رسمية ويمتطى العربات ويتسلق الدرج ؟

أطلق لساقيه العنان خلف العربى، وكان المنديل يحجب معظم وجهه . ولكنه وقف عند مدخل السوق العامة، وأخذ يشق صفاً من الشحادات المعجزة اللاتي كن موضع سحرته واحتقاره بالأمس . فإذا به اليوم يخشى سخريتهن . وتلفت باحثاً عن السيد في كل جهة . وأحده يبصره في كل موضع، وأخيراً عثر عليه واقفاً أمام متجر من المتاجر ، وكان الأنف يحجب وجهه بجمامة تحت يافته المقواة المرتفعة . ويشاهد بعض البصائع المعروضة بكل انتباه .

« كيف أقرب منه وأحدثه ؟ » ، قال ذلك في نفسه . على حين أخذ يفكر بقوة . ثم حط له أن يعمل بالقرب منه على يستلقت انتباه الأنف ، فعمل ولكن الأنف لم يغير اتجاهه ووجهه

فقال كوفاليفو : « سيدى . سيدى » ، وذلك ببطء حتى يجعله يتحدث إليه في السر . « ماذا تريد » قل الأنف ذلك بحياء كوفاليفو على سؤاله ، ثم أدار له وجهه .

« تبدو لى عجيباً » ياسيدى . يجب عليك أن تعرف أين موضعك الحقيقي . أين ألقاك الآن حتى أستصحبك ؟ أنت ستقبل . فقال الأنف : « معذرة ، أنا لا أفهم عم تتكلمه . فصحح »

« كيف يجب أن أصحح له ذلك ؟ » سأل كوفاليفو عن ذلك نفسه ، وخيراً جمع كل ما لديه من شجاعة وقال : « طبعاً أنا ماجور . وكوتى سير بغير أنف أمر بلبس أن تدرك عدم لياقته . قد تكن لامرأة عجوز ممن يمس البرتقال فوق جسر « فنسكى » أن تبقى هناك بغير أنف . أنا فلا يمكننى ذلك : إذ أنى مطامح سامية . ولأنى تعرفت إلى أناس كثيرات من عائلة « تشهراف » العضو النبائى وغيرها . فأنت تستطيع أن تفكر ذلك . وأنا لا أعرف ياسيدى (وى منه اللحظة هز الماجور كوفاليفو كتفيه) . اعذرني إذا أنت نشرت إلى مسألة من جهة اواجب والشرف ، فأنت تستطيع أن تفهم الأمور جيداً .

« لم أفهم فتكلمة مما تقول . ماذا تريد ؟ » ، كذلك سأله الأنف بقسوة وتبرم . فحده كوفاليفو : « سيدى ! لست أعرف كيف أتفهم كلماتك . إن الأمر يبدو لى في غاية الوضوح . فأما أن ترغب فى ... لماذا يا أنت أنتى وملك لى . تعال هنا » ، ثم هـ أن يقبض عليه . إلا أن الأنف حدثه بنظرة حادة أوقفته عند حده . ثم قل وحاجباه يرتعشان غيظاً : « أنت محض ، ياسيدى ، أنا شخص مستقل . ولا يمكن أن تكون بيننا أية علاقة » . قال ذلك ثم انصرف إلى

عربته ليمثلها، فارتبك كوفاليف ارتباً كاعظماً، ولم يدرك ماذا يفعل أو ماذا يقول. وفي هذه اللحظة كنت
نسمع خفيف ملابس نسائية يقترب رويداً رويداً. ظهر أنها ملابس اثنتين إحداهما سيده متقدمة
والعمر تزدان ملابسها بالدستلا، وأخرهما فتاة هيفاء في ثوب أبيض يبدو جذاباً جداً.

اقترب كوفاليف منهما، وأخذ يصلح من هيئة ملبسه وموضع سلسلة ساعته الذهبية،
في حين أخذ يتنسم عيماً وشمالاً، ثم صوب اهتمامه نحو تلك الهيفاء الأنثوية التي كانت تتبخر
في مشيتها حتى تجاوزته ويدها البيضاء وأصابها الشفافة فوق جبينها النضر. ولقد استطاعت
إتسامة كوفاليف عند ما لمح تحت قبعة الفتاة ذقناً أبيض مستديراً، وخداً كورود الربيع المبكرة،
ولكن سرعان ما تبدلت إتسامته عموماً، فراجع مرتداً على حين غرة كأنه قد أصيب بغفاجى،
ولا غرو فقد تذكر أنه لا يملك شيئاً قط فوق وجهه مكان أنفه، وتعجرت الدموع من عينيه
ثم انصرف عائداً نحو ذلك السيد ذى الحلة الرسمية ليخبره أنه ليس إلا غداغ شارد، وأنه
ليس إلا أنفه الخاس، ولكن الأنف لم يكن هناك.

فتولى كوفاليف من هذا يأس شديد، على أنه وقف هنيهة ينظر في كل جهة ليرى أين
ذهب الأنف... كان يذكر تماماً أن في قبعة الأنف ريشة، ولكنه لم يتذكر معطفه ولا لون
عربته ولا حصانها، أضف إلى ذلك أن مئات العربات كانت تجري بسرعة البرق الخاطف
تعمل من المسير تميزها، حتى لو جاز أنه راقب واحدة منها، فانه لا يستطيع أن يوقعها.

وكان اليوم جميلاً مشمساً، وكانت جماعات الناس تتجول في «تسكى»، وكانت القتيات
ككنس من الزهور مننورات على الأرصفة من «بولتسكى» حتى جسر «انتشكن»، وبيننا
هو كذلك إذ لمح شخصاً من معارفه يتقدم إليه، وكان يلقيه بالكولونين، خصوصاً إذا تحدث
عنه إلى أناس آخرين، كما أنه رأى «يارزخين» رئيس الكتاب مجلس الشيوخ وصديقه الجميم،
وكان هناك أيضاً ماجور آخر أخذ يلوح له بيده كثيراً. إلا أن كوفاليف تعامى عنه.

«هاى! هاى! عربة! سق مباشرة نحو منزل رئيس البوليس»، قال ذلك كوفاليف ثم
فهرق. أدخل العربة وهو يقول: «سق بسرعة». ثم قال وهو يحتاز المدخل «هل رئيس البوليس
والمنزل؟» فأجابه البواب: «لا، لقد خرج الآن فقط»

— «هل أنت واثق؟»

— «نعم، نعم، وهو لم يبرحنا إلا منذ فترة، ولو أنك جئت قبل دقيقة واحدة للقيته». وعند
ثدوب كوفاليف إلى العربة وهو يمسك وجهه عند يده. ثم أخذ يصيح صيحة اليأس «سق، سق»،
فسأل السائق: «إلى أين؟» فقال: «إلى الأمام».

— وكيف إلى الأمام؟ همنا ينحني الشارع، فهل نسير يساراً أو يميناً؟

ينقص هذا السؤال كوفاليف واضطره أن يفكر وأن يطيل التروى، ومن كان في مركز

كوفاليوف عليه أن يقدم نفسه إلى البوليس مباشرة ، لا لأن له صلات شخصية مع رجل البوليس، ولكن لأن إجراءات البوليس وموته ربما كانت أسرع من أي ملجأ آخر ملجأ إليه .

وهكذا كان كوفاليوف على وشك أن يأمر السائق بالتوجه شطر مركز البوليس، ولأن فكرة لاحت له، مؤداها أن ذلك اللثيم المخادع الذي سلك معه في أول التقائه به مسلكتاً ما ربما اتزه الفرصة وانسل هارباً من المدينة ، فتذهب كل أبحاثه أدراج الرياح، أو على الأقل لتطول مدتها لشهر أو أكثر لا قدر الله . وخيل إليه أن السماء ألهمته سبيل التصرف الحسن . إذ صمم على أن يذهب إلى مكتب جريدة من الجرائد ليحرر فيها مقالا يصف أفعاله فيه . حتى إذا ما صادف أحد من القراء فإنه يستطيع أن يقدمه إليه . أو على الأقل يرشده إلى موضعه . وإذا قد تشبه بهذه الفكرة فقد أخبر السائق بأن يتوجه نحو مكتب الجريدة، وما زال طوال الطريق يستحثه بكلمة بذينة أو بوكزة في ظهره وهو يقول : « أسرع أكثر من ذلك أيها اللعين . هيا هيا أيها الدنس »

وأخيراً وقفت العربدة أمام بناية ضئيلة ، فاندفع كوفاليوف إلى حجرة استقبال صغيرة حيث كان كاتب الأصلع الرأس يلبس نظارتين وممطاً طويلاً متهدلاً، يجلس إلى مكتب ويضع قلمه بين شفتيه، على حين كان يعد قطعاً نقدية من النحاس أمامه . فقال كوفاليوف : « من هو المكلف باستلام أسئلة القراء هنا ؟ » ، وبعد صمت وجيز حادقته كراتنجية فقال : « صباح الخير » . فأجابه ذلك الكاتب الأصلع الذي حدجه بنظرة قاتلاً « ولك أتمنى صباحاً خيراً » . ثم عاد فصوب نظره مرة ثانية نحو النقود الموضوعة فوق مكتبه .

فقال كوفاليوف : « أحب أن أذيع إعلاناً » .

« اسمح لي أن أرجوك انتظاري ثانية » ، قال الكاتب ذلك وهو يقيس رقماً على الورق بيد ويحرك حبتين من اللوح العداد بيده الأخرى .

وكانت الغرفة فاصة بالنساء المجائز والباعة وبوابي المنازل، وكلهم يريدون نشر إعلانات . فكنت ترى واحداً يريد أن يعلن أنه سائق رزين حسن السير والسلوك يبحث عن عمل ، وترى في إعلان ثان أن عربية اشترت من باريس سنة ١٨٩٤ معروضة للبيع . وفي ثالث أن خادمة في سن التاسعة عشرة تميد الغسل والسكى وهي مستعدة أن تؤدي غير ذلك من الخدمات . كما يوجد رجاء أيضاً إلى الذين يحتاجون لشراء نعل لأحذيتهم أن يتكروا بالحضور بين الساعة الثامنة صباحاً والساعة السابعة بعد الظهر . وكانت الحجرة التي تكس فيها هؤلاء جميعاً صغيرة ، وكان هواؤها لذلك خافقاً ، ولكن كوفاليوف لم يكن يشم تلك الرائحة الكريهة .

« سيدى ، أرجوك أن تأذن لى بسؤال ، مسألتى مستعجلة جداً ، قال ذلك كوفاليفوف وهو لا يكاد يطيق صبراً على سكوته .

« دقيقة واحدة ، دقيقة واحدة ، رويتان وثلاث وأربعون كوبكاً ، روية واحدة وأربعة وستون كوبكاً » . كذلك كان يقول ذلك انكاتب الأصلع وهو يقذف السيدات المجائز وبوابى المنازل بمختلف الوثائق التى أحضروها إليه مبيناً عليها قيمة الإعلان ، ثم التفت إلى كوفاليفوف وقال له : « ماذا أستطيع أن أفعل لك ؟ »

« لا أريد أن أسأل سؤالاً : فقد حدثت سرقة لأحب أن أصرح بها ، ولكننى لم فقط أن تعلن أن أى شخص يحضر إلى ذلك الوند الهارب فله منى جائزة ؟ »

« أرجو أن تسمح لى بالسؤال عن لقبك »

« لا . لا . لماذا أضع لقبى ؟ أنا لا أستطيع أن أعطيك إياه إذ لى حلقة واسعة من الاصدقاء كالدمام تشتهارف زوجة العضو النيابى ، وبلاجيا جريجوريفنا أرملة أحد الضباط . . . ولكنك تستطيع أن تقول لى رجل بربة الماجور » .

« هل السارق الذى فر هو خادمك ؟ »

« بكل تأكيد هو . . هو أنفى الذى فر منى . . أنفى الخاص »

« ها . ها . ما أعجب هذا الاسم ! هل سرق منك المسيو أنف مبلغاً جسيماً ؟ »

« المسيو أنف ؟ أنت لم تفهم كلامى . هو أنفى أنا ، أنفى الخاص هو الذى فر منى . إلى أين لست أدري : اللعين يريد أن يسخرنى ويهزأ على حسابى » .

« ها . ها . وبأى شكل فر ؟ لست أفهم ذلك » .

« وأنا بدورى لست بقادر على إفهامك كيف فر ، والمهم الآن هو أن تعلم أنه يتجول فى المدينة مدعياً أنه من رجال الأمن ، ولذلك فأنا أرجو أن تعلن أن من يعثر عليه فليحضره إلى بأسرع ما يمكن ، فكر أنها الصحنى كيف أستطيع أن أسير بدون هذا العضو الظاهر من جسدى ؟ بكل تأكيد ليس فقدته كلفه أصبع قدمى الصغير الذى يمكن إخفاء فقدته بلبس حذاء فلا يعرف أحد ، هل هو هناك أم لا ، أذهب كل ثلاثة إلى مدام تشتهارف وإلى بلاجيا جريجوريفنا وابنتها الثمانية ، وكلهن صديقاتى ، فتصور أى عزيزى هذا المانع الذى يمنعنى رؤيتهن ، أنا لا أستطيع أن أرين تقسى بعد الآن » .

فأخذ الكاتب يتروى وينعم النظر . ثم قال بعد صمت طويل : « لا ، لا أستطيع أن أضاع مثل هذا الإعلان فى صحيفتى » .

« ماذا ؟ ولماذا ؟ »

« ذلك لأن الصحيفة قد تحسّر سمعتها ، إذ لو كنت كل شخص أن أتفه قد فر هارباً
تريد أن تقول ، فإن القراء سيقولون حتماً إننا لا نجد ما نكتبه . ولذلك فقد أخذنا نغلق الجريدة
بالمخافات والبلاغات الفارغة »

ولكن أين السخف في هذا ؟ أنا شخصياً لست أرى أبدي دليل على سخف إعلاني .

« هل تظن أنه ليس سخيفاً ؟ حدث في الأسبوع المنصرم أن موظفاً بالحكومة قدم إن
ويده إعلان بلغ ثمنه روبيتين وثلاثة وسبعين كوبكاً ، وكل ما في الإعلان أن كتباً بليس
معتقلاً أسود قد ضل . ربما لا تظن أن في هذا الاعلان شيئاً ما ، لكنه اتضح فيما بعد أنه محام
لشخص معين : فقد كان ذلك الكلب صرافاً في مصلحة من مصالح الحكومة لست أذكر اسمها .
« ولكنني لست أطلب الاعلان عن كلاب أو قطط ، بل عن أتقى . وأنا إن أعلنت عن
أتقى فكأنني أعلن عن نفسي ، أفهمت ؟ » .

« إذا كنت قد فقدته فهذا من شئون الطبيب ، يشاطرنى في هذا الرأي قراء جريدتنا ،
فهم سيقولون إن هناك من الناس من يعوضك أتعاً من أى شكل شئت .. والآن لاحظ عليك
أنك شخص فكه مغرم بالنكتة والفكاهة » .

« أقسم بقدسية ربى أنى لست أتفكه ولا أتندر . وإذا قد ظننت فسأريك بعينيك » .

« لست أريد أن أزعجك ، فإذا كنت لا تشعر بازعاج فمن دواعى سرورى أن ألقى بشرة
واحدة على وجهك » ، قال الكاتب ذلك على حين كان يتناول قليلاً من علبه المشوى . ورفع
كوفاليوف منديلته عن وجهه : فقال الكاتب : « إنه في لحق شئ عجيب . موضع الألف
مستو تمام الاستواء كأنه فطيرة طازجة . وهو أملس بشكل لا يصدق » .

« هل تعارض بعد الآن في إعلاني ؟ أنت ترى أن لامناس من الاعلان . وسأكون
شاكراً لك أنت على وجه الخصوص إذا أتممت الاعلان : ثم إنى مقتبط بأن هذا الخائن
أسعدنى بالتعرف إليك أيها السيد » . ويظهر أن المايجور في هذه اللحظة كان قد صمم على
أن يلتجئ إلى التنازل والاطراء والتلحق .

« إن نشر مثل هذا الاعلان ليس عظيم الفائدة لك . إذ أنى لا أتوقع أى فائدة تعود عليك
منه ، فإذا أردت الاستفادة من الاعلان فالرأى عنى هو أن تترك الاعلان ليد محرر ماهر
ليصور قصة أفتك كفيلة من فلتات الطبيعة . ثم انشر هذا المقال في صحيفة « نخلة الشمال » .
التي تنشر مثل هذه الأمور العاذلة (وفي هذه اللحظة تناول قليلاً من المشوى) . وطبعاً هذا
هو الذى يبعث الدهشة فى رأى العام .

فناء عالم المادة

وإثبات وجود الله رياضياً

ما فنى الإنسان منذ البداية يتساءل عن سر هذا الوجود ، وما زال حائراً فيما يحوطه من مصلاته التي لا يستطيع تفهم كنهها . فهو أبدأ تجاه تلك المعضلة الأزلية « ما هذا يكون وما معناه ؟ من أين أتى ؟ وإلى أين يسير ؟ » . ولا شك أن هذه هي أعظم المسائل التي عرضت للحكماء والفلاسفة ، والتي شغلت كثيراً من العلماء من قديم العهد . وليس من العجب أن نرى أن اختلاف آراؤهم وتباينت أبحاثهم ، وليس ما أمان من علوم الفلسفة والكيمياء والتعبئة والرياضة وغيرها إلا وليدة هذا البحث ونتيجة التفكير في هذه الأمور . ولو أننا تسجما التاريخ لرأيناه حافلاً بالحروب والمنازعات في سبيل الدفاع والذود عن عقائد الناس به . ولم يخل عصر من العصور دون رسول مرشد يلقن الناس تعاليم أولية عن سر وجودهم .

وكتيراً ما ضلت أفكار الفلاسفة في هذا الكون وتفاوتت تخيلاتهم في تصويره . فهذا ديمقراطيس يخبرنا أن العالم وجد عن طريق الاتفاق وأحكام الصدفة ، في حين يخبرنا فريق آخر أن الأرض والأجرام السماوية كانت على هيئتها هذه من قديم الأزل ولا تزال كذلك ، فلا ابتداء ولا انتهاء . وذهب فريق آخر ممن تملكهم روعة الكون إلى القول بأنه خيال وصور مطبوعة في عقل بشري ، ولا حقيقة لها في الخارج . على أن هنالك من الفلاسفة من ساروا إلى مدى بعيد من ذلك .. وعلى رأس هؤلاء أرسطو وحكيم قرطبة ابن رشد . فمن رأيهما أن كل فعل ينشأ إلى خلق جديد إنما هو عبارة عن حركة . وهذه الحركة تتطلب شيئاً يتحرك ، ووسطاً يتم فيه هذا التحرك . أما هذا الشيء فهو في رأيهما مادة الكون الأصلية ، وهو شيء قابل للتفاعل ، ولا حده ولا وصف ، فهو إذن ضرب من ضروب الافتراض لا بد منه .

وفي هذا العصر الذي اشتد فيه التراع بين القديم والجديد ، نرى كثيراً من أفرادنا ممن شذوا كل قديم ، وأغرتهم ظواهر المدنية ، يبدون حتى معتقدهم ودينهم ، ويؤمنون بآراء مذمومة متحذرين المادة إلههم ومعبودهم . لهذا رأيت أن أطرق هذا الموضوع من الوجهة العلمية لأبين لهم أن العلم الحديث إنما يطابق ما جاء في الأديان السماوية كل المطابقة ، وأن المادة لا تستحق منهم كل هذا التقدير .

فكلمة مادة تشمل كل ما يشغل جزءاً من الفراغ . وتمتاز بأن لها وزناً ، وفيها تمتد الأبعاد

الثلاثة. لهذا نقول إن الحرارة مثلا ليست بالمادة، ولو أننا فرغنا الهواء تماماً من إناء مثو، به قوة طالما يشغل فراغه الداخلي حجم معين، لا بد من وجود وسط داحله يمتد فيه هذا الحجم. هذا الوسط لا وزن له، ويخالف المادة في جميع خواصه، ويعرف علمياً بالآثير. هكذا قال فلاسفة الرياضة أمثال ديكارت عند معارضة لهم فكرة الفراغ التام. فالقراغ التام إذن لا وجود، وإنما كل فراغ لا تملؤه المادة ينتشر فيه وسط آخر اسمه الآثير.

ولم يشرع العلماء يدرسون أشعة الكون، وكانت المادة مسيطرة على أفكارهم. قالوا: وعلى رأسهم نيوتن - إن الضوء، مثلاً مجموعة من الذرات المادية تقذف بسرعة هائلة من الجسم المضيء. ولكن لما توسع العلماء في دراسة الضوء في القرن التاسع عشر، وتبين لهم أن هذا التعريف مناف لما نعرف من خواص الضوء، أثبتوا - وعلى رأسهم ماكسويل Max well أن الضوء موجة في وسط غير المادة ووضعوا بذلك أساس النظرية الموجية wave Theory القائلة بأن جميع ضوء الكون من حرارة وكهرباء وضوء وما شابهها موجات أو اهتزازات متتابعة في الآثير. وتختلف هذه الموجات عند موجات الصوت التي تنتقل في المادة كالهواء، مثلاً.

ويمثل الشكل (أ) اهتزازات الآثير،
 في حين يمثل الشكل (ب) اهتزازات عمود من
 الهواء أثناء انتقال الصوت.

«ب»

وسبب تعدد هذه المظاهر هو اختلاف طول هذه الموجات وسرعتها وعدد ذبذباتها في زمن معين. فأسرع الموجات مثلاً موجات الضوء (سرعتها ٢٩٩٨٨٢ كم/ثانية أو ٦٠ كم/ثانية في الثانية). ولما ظهرت النسبية Relativity في هذا القرن. وكشفت لنا عن ذلك السر العظيم. وهو كون المادة إحدى الظواهر السابقة، إذ يقول بعض علماءها أمثال الأستاذ مشرفة: «إن المادة هي أشعة كونية متكاثفة بطيئة السرعة بالنسبة للضوء»^(١). ويقول العلامة ماكس بلانك: «إن الذرة المادية قوة تغالب عليها البطء، فبدت للإحساس في ثوب المادة». ولقد وضعوا جدولاً رتبوا فيه هذه الظواهر تبعاً

لأطوال موجاتها كما هو موضح بالشكل
 حيث تدل الرموز أ، ب، ج، د، هـ، ...

على الترتيب، على أوضاع المادة: المغناطيسية، والكهربائية، الحرارة، والضوء، أشعة، كره، وأشعة جاما. هكذا... حيث نرى أن جميع هذه المظاهر موجات آثيرية. ولما أثبتته النسبية هو أن كل جسم مادي يتاح له التحول بسرعة الضوء ينعدم وزنه وبعده المتحرك ويصبح ضوءاً، لذلك قال آيسر ويليام براج رئيس مجمع العلوم البريطاني: «خلقت المادة من النور وإلى النور»

(١) إيسر الأستاذ مشرفة هو صاحب هذا القول، وإنما سبقه به آخرون.

«...». ويقول الله تعالى : « الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ،
المصباح في زجاجه ، الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية
ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ، ولو لم تمسه نار . نور على نور . يهدي الله لنوره من يشاء
غضب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

وبما يحذر ملاحظته هنا هو ثبوت فناء المادة . إذ يحزم العلماء الآن أن مادة هذا العالم
سكنى عن طريقتين : طريق التحول إلى إشعاع ينتشر في وسط الأثير . وطريق تشتت وتناثر
جسيمات القضاة اللانهائي . ومعظم العلماء الآن لا يكرون أن النجوم الحالية تتناثر عن بعضها
تشتت بسرعة عظيمة آخذة في التزايد . كما أنها تستحيل إلى إشعاع ينتشر ليمتلك مرة أخرى
بعد شاسعة في مكان سحيق ليتحول إلى مادة جديدة . وإذن فهناك عالم مادي جديد آخذ
في التكون . وهناك إذن سلسلة من الأكوان في حين تموت إحداها في ناحية من القضاة وتتناثر ،
يتكون الآخر في مكان بعيد عنه ثم يبدأ بدائره . ولذلك يقول تعالى « يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسموات ويرزوا لله الواحد القهار » .

ويحذر بنا بعد ما ذكرنا من أمر النسبية أن نبين كيف صورت جميع الفواهر السابقة
في الرياضيات بحتة . وكيف جعلت الرياضة مفتاح هذا الكون . وذلك بأن سوق محاوره
جينية بين عالم رياضي وآخر لا يؤمن إلا بالمادة . ليسهل الفهم ويقرب إلى الأذهان .
لهذا ربضى : لقد استطاعت رياضة النسبية أن تمينا صورة جديدة لكل ما في الكون ،
فهي مفتاح جميع ظواهره .

لهذا لمادى : إذا كنت تدعى ذلك فبا تعمل سقوط الحجر المطلق إلى الأرض مثلا ؟
لهذا لرياضى : إن الحجر المطلق يسقط إلى الأرض . لا لخاصيته ، أو سر كالجاذبية التي
تدعونها . بل لأن تركيب معادله الرياضية يؤدي إلى تلك الظاهرة .
لهذا لمادى : إذا كنت تنكر أمثال هذه الخواص . فكيف تعمل هذا النظام الميكانيكى
الذى نشاهده ؟

لهذا لرياضى : إن الكون منى على نظام رياضي بحت ، وهو ليس كما تدعى - نظاماً ميكانيكياً ،
فليس في الكون أى حكم أو خاصية مطلقة (Absolute) . وأنت قد
تحكم على شيء في زمان ومكان خاص بحكم ما ، ثم تعود فتحكم على نفس
الشيء بصد هذا الحكم في مكان وزمان آخر . وما ذلك لاختلاف في
الشيء ، وإنما لاختلاف في معادلتك الرياضيتين باختلاف زمانهما ومكانهما .
لهذا لمادى : وكيف إذن تحكم الحكم المطلق على هذا الكون ؟

العالم الرياضى : لو أنا تدبرنا هذا الكون ودرسنا خواصه رياضياً لأرغمنا على الاعتقاد بوجود قوة مفكرة ومخيلة رياضية هائلة مستقلة عن مظاهره . هي وحدها المطلقة ، وهي وحدها التي تديره بمهارة منذ خلقته يوم أُرست هزتها الأولى وسط الأثير ، فاندفعت تظهر لنا بمختلف الضوالم . وهي لا تشابه زمانه أو مكانه فى شيء ، بل هى قوة وأعيىة . ولولها أخطأت مرة واحدة لاختل الكون . وما تفكيرنا نحن إلا نتيجة طبيعية لهذا التدبير السكين . ولا غرو إذئ ، إذا قال السير إدينجتون عالم الرياضى الشهير : « إن الكون خلق من مادة العقل الأول » .

العالم المادى . إذن فنحن خاطئون فى كل أحكامنا المادية . ولا سبيل إلى معرفة الخفية المطلقة ما لم نصبح خارج الزمان والمكان حتى نستقل بمعادلاتنا برؤية ولا يكون نمة خلاف .

العالم الرياضى : هذا ما كنت أروم الوصول إليه . فهناك فقط تدرك الحقيقة بعباء . وهناك فقط ترى أى عقل رياضى حبار يدير هذا الكون . ذلك أن العالم الطبيعى هو قوة الله ونوره الذى يهدى به الخلق . فآله نور اسوان والأرض وما أوتينا من العلم إلا قليلا .
محمد جمال الدين الفندى

المعرفة فى سنغافوره

تخاطب مجلة « النهضة الحضرمية » فيما يختص بالمعرفة بشأن الاشتراكات فى سنغافوره .

المعرفة فى جاوا

نرجو حضرات مشتركينا فى جاوا أن يرسلوا قيم الاشتراكات إلينا مباشرة ، حيث إن الشيخ عمر معروف عقبه لم يسدد ما عليهم من السنة الثانية إلى الآن .

المعرفة فى سوريا وفلسطين ولبنان

تطلب « المعرفة » فى سوريا وفلسطين ولبنان من فروع شركة الخواجات فرج الله إخوان

المعرفة فى يافا

تطلب « المعرفة » فى يافا من مكتبة فلسطين بساحة الجريئة ، لصاحبها سليمان أفندى الخبى

المدنية الحديثة في قفص الاتهام

لا يكلم الانسان عن المدنية الحديثة إلا لأنها تكلم عنه ، وإلا لأنها تمه بكثير أو قليل ،
ولا لأنها تملك عليه حواسه . وإلا لأنها تضع له القواعد لحياة جديدة . ولولا ذلك ما كان
يشط بذكرها لسان . ويجرى بما لها وعليها قلم . فهي موضوع الحديث إذا جد الحديث عن
حياة الانسان ، وهي المصدر الذي تبعث منه أفكار الانسان في هذا العصر أو تؤخذ منه
حريته ، وهي الأصل الذي يتفرع عنه خياله وتتم منه آراؤه ، وهي اللون الذي تصطبغ به
تأثيراته . وتخرج به أهواؤه وأذواقه ، وهي المادة التي تتغذى منها روحه ويقوى شعوره ،
هو يبدأ يتساءل عن هذه القوة التي ترغمه لها ، وهو أبدأ يتساءل عن هذه المدنية الحديثة ،
وكيف أنها سادت هذا العالم وطفئت عليه وشغلت منه القلب والرأس ، وهو أبدأ يتساءل
عن الباعث الذي يجعله مدفوعاً مع تيارها ، مأخوذاً بالصالح والفساد فيها على السواء ، وهو
خبراً بهم أن يقف على هذا كله ، ثم هو بعد ذلك يتهالك على مقعده محزوناً مكتظاً بالأفكار
مقللاً بالهموم ، يسائل نفسه : أليس لهذه المدنية حد تقف بنا عنده؟

فالمدنية الحديثة إذاً تمننا وتلازمتنا سواء أَرْضينا أم كرهنا ، وهي لاشك تؤثر كذلك
في حياتنا تأثيراً ظاهراً . ولنا منكرين آثارها في أصحابها وصاحباتها الذين ابتدعوها
وكاوا أول من كسحتهم بفبارها ولعجتهم بهجيرها ، إلا أننا نريد أن نقول — ولا حرج
في قول — إن من آثارها الظاهرة الخطيرة ، تلك الجرائم الكثيرة ..

ولنا منكرين يوماً فضل هذه المدنية الحديثة في تكوين العقول الانسانية تكويناً
مسيباً لها . وما أحدثته من التفكير الدقيق في خلايا الجمجم البشرية ، تفكيراً ينهض بحملها
وبيدنها إلى نهاية مجهولة ، حتى آمنت بها العقول وأكبرت من شأنها الآراء ، إلا أننا لاننسى
حقيقته ما أصاب النفس من أثرها وخطر ما بقدر ما أصاب العقل والفكر من ذلك . بل لانكون
سائرين إدارياً أن مصاب النفس منها أشد وأعظم من كسب العقول منها . لأن النفس لا تعمل
أشياء إلا بمنطقها الخاص — المنطق الذي لا يرى الغبطة إلا على أنها غبطة ، ولا الألم إلا على
أنه ألم . فما من شئ في أروا المدنية الحديثة قد وطئت كل النواحي من حياة الانسان دون استثناء ،
وهي تمد ما يصدها أو يقاومها في موطنها . لأنها احتلت نواحيها وصيرتها إليها ، كما يحتل الغبار
نوبة بيض ناصعاً فيستحيل أغبر أريد . أو هي غمرتنا كما يغمر الماء الأرض . فتصبح
الأرض غير الأرض ! وعلى هذا القياس تغيرت الألوان والمعالم . وأحدث هذا التغير قوة وجالا

في بعض ما أحدث ، كما ترك ثراً كبيراً من تقيضهما . أي أن المدنية غيرت وجه الحياة ومظاهر الأشياء فيها ، فبذلت الحياة في أفق جديد . وترايت المظاهر في ثوب قشيب . وهم هو السر الذي يجعلنا مأخوذين بها معجبين . ولا غرو فالفلس ولوعة بالجديد زراعة للغريب . وفي أسباب المدنية الحديثة من أفاين السحر والظلم ما يستهوى النفوس ويأخذ بالآلب . إذا فالمدنية الحديثة مظاهر مستحدثة . ومظاهر مستحدثة لجميع الصفات والأشياء . تحيط بنا فتأثرها . وإن من تلك الصفات ما هي قبيحة ومنها ما هي حسنة . بل إن ناموس هذه المدنية قد استدعى تقوية الناحيتين وتعزيز الجانبين : الناحية المضيئة ، والناحية المظلمة ، وكيف لا وهذا شيء طبيعي ، لأنه ما فائدة كثرة المصاييح وإردياد قوتها إذا لم يكن هناك ظلام شديد حالك ؟ ! وكذلك تفوقت المدنية في كل شيء . فلقد تعددت سيئاتها كما تعدت حسناتها . وأصبح التفتن في أسباب الشر والموت متقوقاً تفوقه في أسباب الحياة ومذهب ، فها هو ذا متقال الإثم ولا جرام ومثقال التراخى والكسار يتعادلان في الميزان . هذا ثمرا رب فيه ، أيكون لبراءة البوليس في العالم ونشاطه من سبب غير براعة الجرمين ونشاطهم المريب ؟

ذلك لأن نهضة المدنية الحديثة مستندة على سواعد الحرية المطلقة أو الإباحية والتسلط في كل شيء . بقطع النظر عن كون ذلك الشيء نافعا أو ضارا . جالب للخير أو عاملا للشر . داعيا للأمن والسلام أو منيرا للحرب والدمار ، فكان لا بد أن تتسع الدوائر : دور النزاع والخلاف والشقاق والحسد ولا انتقام والتنافس والتناحر والراحم والإحرام . وعند صدق القائل إذ قل مرة في معرض حديثه عن هذه المدنية : « كأن الإجرام صفة لازمة لهذه المدنية ، أو كأنه مثل كل شيء في هذا العالم خاضع لناموس النشوء والارتقاء » . حقا إن لأحرام صفة لا غماه للمدنية الحديثة عنها ، ففي خطوات هذه المدنية قدم من الخير وقدم من الشر . فكأنها تتقدم إلى العالم فتصافه بيد وتصفعه بيد !

وهناك ما يساعد على الإجرام . والإجرام الذي لم يعرفه العالم قبل أن يرتطم لصخرة المدنية الحديثة . بل إن هناك ما يحجب الخاطر إليه ويملا النفس منه . فالأسباب متوفرة والنواحي إليه متعددة . ألا ترى أن التنازع والتنافس قائمان على أشدهما ! ألا ترى أن الضعيف الخائر في هذا الميدان . ميدان المطاردة والمجاوبة بقذائف المنافسة والمنازعة . كثيرا ما يستولى عليه اليأس فالتنوط فالزهد في البقاء فالخلاص من الحياة ؟

كم ترى من الثورات النفسية التي تنيرها عواصف هذه المدنية الحقاء ؟ وكيف أن هذا يحجر حتما إلى الوقوع في المساوىء والشرور والإقبال على الفتك والهتك والأذى ؟ فها هو ذا الانتحار يسمو مركزاً في أذهان صقلتها المدنية الحديثة ، أذهان الأطباء أفكم من طبيب

جما أنه بجرع السم فآثر بذلك الموت منتحراً أعلى البقاء جائعاً، في الوقت الذي يفهم فيه، بل يفهم الناس أن لا يسألك عن الأكل أحسن ما تعالج به آلام المعدة والأعضاء، وما هو ذا القتل والغدر قد مرهما واستفحل خطبهما بين ربوع أخضر فيها عود المدينة الحديثة فأصبح دم الإنسان رخيصاً ما في الإنسان .. وما هي ذى الجرائم الفظيعة التي كانت فيما مضى مستبعدة الوقوع من في الأحلام والأوهام، وحتى أن خيال المرء كان لا يجزؤ على رسمها وتصويرها.

ومع ذلك ما ذكرته إحدى الصحف من أن البوليس في (بيزته) بفرنسا بارئة المدينة الحديثة، فبصر على رجل في السنة الثامنة والأربعين من عمره يدعى جبريل فيدال بتهمة الاعتداء على عصف ابنته! وقد ظل هذا الوحش من الآباء يعاشر ابنته معاشرة الأزواج دون أن يعلم بمرءة أحد، إلى أن حملت المسكينة منه فأسرعت إلى المستشفى حيث قصت قصتها الحزنة المحزنة، فقتل الرائد المحرم وقدم للمحاكمة. وقد أنكر التهمة بالرغم من أن ابنته أكدت، وبالرغم من شهادة أبنائه عليه، وكانوا قد كتموا أمر أبيهم خوفاً منه أو خوفاً عليه.

يرتكب اليوم هذه الجريمة وغيرها من كانوا بالأمر ينكرون على الهجاء كلهم للناس، الذين كلوا البشر من آكل، لأعراض؟ وتقع مثل هذه الجريمة في بلاد يضع أهلها القوانين الأحكام ويحرق على سراطهم في العلوم والفنون والسنن والأحكام جميع العاملين، فامعنى هذه المدينة وما معنى الحضارة وما معنى الأخلاق في أمة كان جبريل فيدال أحد أبنائها أعزاء؟! وهل بعد ذلك من يقول إن المدينة الحديثة تمحو آثار الأجرام؟

ليست هذه المدينة ولا آدابها ولا فنونها ولا عومها ولا مالها ولا سلطانها ولا اختراعاتها ومستحدثاتها بقسادة جميعاً على منع الأجرام وإن كانت هي التي أوجدته ونوعت أسبابه وأكثر من أساليبه. إذاً ما هو الشيء الذي يمنع الأجرام؟ الشيء الذي يطهر النفوس البشرية من كل حيث منكر، فلربما تطورت هذه الآداب -- وهي كغيرها دائماً التطور -- فأصبحنا نسلم عن آداب القتل وآداب الانتحار وآداب السرقة وآداب الفجور وآداب التهلكة والخلاعة وآداب الجنون والمجون الخ، كما نسمع الآن عن فنون الانتحار والقتل، وكما نسمع عن علوم السحر والسحر، ومدارس الخطف والنشل التي أخرجت للناس أساندة يخطفون طفل (لندن بورج) وغيره من (البورجات)! فلا يستطيع أى إنسان ولا يستطيع أية قوة أو حكومة أن تأتي به غير مولارات!! وهذا التطور -- أو التطير -- في السرقة من أهم مميزات المدينة الحديثة.

وإنما فية اعتقده وتؤكد فيه اعتقادي ما يعصم الناس من ارتكاب الجرائم هو شيء واحد، هو عين الخيف الرقيب على النفس المصور لها كل جميل وكل خير وكل سلام، السلطان الطبيعي لله، وهو يحكم طبيعة النفس. ولكن يظهر أن المدينة الحديثة لا تعرف الدين وقوته ولا تأثيره ولا تدمه فتستفيد منه وتستضيء. بل هي خرجت على كل الأديان. بيد أنني الآن لست في مدارك لتدليل على خطأ المدينة الحديثة في عدم أخذها بمعصم الدين، ويكنى أن أقول إنها على ما فيها من حسنات أكبر جناية على الإنسان.

محمد صالح إبراهيم

[الخرطوم . سودان]

الضييف

للأستاذ محمد الهراوي

لا تكن ضيفاً ثقيلاً	يكره الناس لقاءك
لا تكن عبثاً عليهم	لا تحمّلهم عناءك
ليس من ذنب أناس	أن يكونوا أقرباءك
فتحلّ الصبح ضيفاً	واصلهم فيهم مساءك
أنت لا تدري إلى كم	تزعج الحيل إزاءك؟
ففساه مستمداً	لك من قوم عشاءك
وعساه مستميراً	لك من جار غطاءك
رُب بيت أنت فيه	راض بالصبر بلاءك
يُظهر البشر حياءً	وهو يشكو منك داءك
لا تقل ربحي وفُربى	يُنكر الحق ادعاءك
إنما القُربى إلى من	شئت أنت وشاءك
ليس حقاً أن عذراً	حلّ الأهل ثواءك
فاستقلّ العيش حراً	صائناً فيه إياك
وتذكر - أنت - ضيفاً	كيف إن جاءك ساءك؟
إن تزدرد، فليكُ غيباً	ثم لا تُكثر بقاءك؟
قد مضى عصر قديم	وجديد المصير جاءك
إن في الفندق مأً	والك، وفي السوق غذاءك
فترك الناس تزيلاً	واجعل الأجر كراءك
رب من يلقاك هاشاً	كثيراً الزير» وراءك

الهراوي

المعرفة في العراق

تطلب « المعرفة » في العراق من مكتبات حضرة محمود أفندي حامي
بغداد والموصل والبصرة والنجف الأشرف

ســـــــــــــــــمير

للأديب محمد السيد محمد المويلحي

بتلك الزرقة الفيروزية الصافية ، وبتلك النجوم العوالي التي تترك في النفس أثراً ساحراً وسحراً آسراً ، وبتلك الأضواء اللألاء التي سكبها القمر على فحمة الليل فأضت كأس مياسة .. استطاعت « عريزة » أن ترى من نافذتها شبحاً يغدو ويروح بين الأشجار ..!! فأنعمت النظر به جيداً ، حتى إذا اقترب من المصباح صرحت صرخة مكتومة ..!! وفي ثيم قالت : « هو ، هو بيمينه » .

بادهتها رغبة ملحة تحفزها للمسير نحوه ، ليرحا في فرايس الحب وبهنا في عروش الظلمة الداكنة ، حيث لا رقيب ولا حسيب .
أقفلت نافذتها ووقفت وراءها تنجابه الظلماء التي تحجبه عنها ولكنها تحدثها في إبتهاج ، وانثت فاتحة لها مرة ثانية ، فترته يرو إليها بشغف وحنان ، وقد ثارت ثورة غرامه ، فخلعت على وجهه نقاباً من نار ودثاراً من نور ، فأومأت إليه برأسها أن انتظر ، ثم رفعت إليه بزم الرياح قبلتها الطويلة .

خضعت لمواظفها ، وسارت إلى مها تستأذنها الخروج لميادة صديقتها « أمينة » ، ولونوقها من مرضها وعدم خروجها قالت لها ملحة : « وهي تمنى زيارتك أنت الأخرى .. » ولم تنتظر جوابها بل جابهتها بسرعة خاطفة وبحركات تمثيلية متقنة « أد إيه أمينه تحبك يا ماما .. 11 ياروحى عليها .. وأنا بحبها عشان كده ، لأن اللي يحبك أفديه بروحى .. »
فصحكت الأم ضحكة تواضع وخجل . وقد دخلت عليها حيلة ابتها ، فقالت لها :
« والله يا بنتي أنا زخره أحب أمينة ، وعطف عليها من كل قلبي . لأنها بنت حلال يتيمة مسكينة ، روحى ، بس متغيبيش الحسن بابا ييجى ويزعلنا .. »
يزعلنا ليه ..؟ الناس كلها بتخرج في رمضان ، هو أنا اللي بس بخرج ؟

طلب روحى وسلمى عليها ، مع السلامة ..
وفي حومة هذا الحوار كان سمير يتلهف شوقاً لقدومها ، حتى إذا رآها قادمة نحوه سار إلى أن صادفته حافلة فأوقفها وأمرها بالركوب فصعدت وصعد في إثرها قائلاً : « المعادى .. »
ثم نظر إلى عينيها المتشحتين بدثار السحر المدثرتين بوشاح القنسة والجاذبية .. وإلى وجهها البهي المشرق الذي يشع منه نور العفاف . ويتألق فيه ضوء الصبا ..!! فشمركأن قلبه قد

قفز من مكانه ، وصعد إلى مقلتيه ليقيم نفسه بالنظر إلى هذا الحسن الناصح ، وهذه الرؤيا الحاملة .
وابها إدمانه النظر إليها فسأله قائلة :

— مالى أراك ساهماً واجماً ؟ هل من جديد ؟ ..

— إننى أمتع روحى بالنظر إلى تلك الأضواء التى لا تخبو . أمتع قلبى وحبى بروحى
المحبوبة التى بوائها عرش ذؤادى . . . فقاطمته قائلة :

— حبيبتك لا زوجتك ! لأنك لو كنت تريدنى حقاً لما تأخرت عن الذهاب لوالدى
ومفاتحته فى أمرى . . .

— أنشكين فى حى وشرقى ؟

— لو كنت أشك . ما سمحت لنفسى بالخروج إليك لبلأ ، ولكننى متعجبة . — وفى عجب .
لهذا الانتظار الممل . .

— عزيزة ! ألا تعلمين أن مرتبى لا يتناسب ومركز والدك . ماذا يكون موقفى عند
ما يحاجنى بهذه الحقيقة المرة ؟ ويطردنى شرطردة ، ثم ألا تعلمين أيضاً أننى مستسره
« سكرتيره » ؟

— ليس هناك فرقاً ! ! يجب أن تكون شجاعاً جسوراً . اعتمد على الله وتقدم . إنك
لن ترتكب إثماً ولن تطلب منه حراماً ، لقد كان مثلك صغيراً ثم كبر ؛ ثم ألا تعلم أن كل شئ ،
يبدو صغيراً وينمو شيئاً فشيئاً حتى يفدو كاملاً أو ما يقرب من الكمال ؟ أقنعه بهذا إن
حاجك . فإن لك من أخلاقت الوديمة واستقامتك الطيبة خير شفيع ، وسأفضى لوالدتى بكل شئ ،
حتى تكون خير معوان لنا . .

* * *

تقابلت العيون . فتلاحت الشفأة ، وانتشر عيب الحنان الفواح ، وسرت كهربائية الوجد
حتى أدركت الخوذى فارتبك . . وأحدث صوتاً هو أشبه باحتجاج منه بنحمة ! ! فتبعها
وما يرشقانه بأقصى النظرات ويرميانه بالتدخل المعيب ، ولكنهما تابا إلى رشدما ، فابتسما
وعذراه لأنه شرقى « والشرق مشهور بحبه لكرامته وشرفه » ، وما هى إلا برهة وجيزة
حتى كانا فى المعادى . يسيران على شاطئ النهر وقد انعكست عليه أضواء القمر فأصكرآة
مجلوة صافية . حلالها الجلوس ، فجلسا على ربوة دحداحة محاطة بالمرج من كل صوب . وقد
سحرهما هذا السكون المتدثر بالروعة والجلال . وهذا الهدوء العميق الزاخر بالرفقة والجمال الذى
لا يشوبه لا تقيق ضفادع ، ولا شخشة حشرات .

* * *

راح كل منهما يستعرض ماضيه وذكرياته وما صادفه من نعيم أو شقاء ، ولكنهما لم

تجدده إلا من ناحية واحدة ، هي ناحية التعارف والاندماج الذى ملأ عقليهما
بحر الوجود وفننه الوجد . ومن ثم امتضيا جناح الخيال حيث سموات المستقبل الزاهر
الزاهر بالسعادة . السكّان فى وطن سحرى مموء بأحلام الأمانى وأطراف الحنان ، هذا
الوطن الذى سيجمعهما ويفرهما بنور الزيجة المرجوة ..

وما إن وصل تفكيرهما إلى هذه الأمنية الشريفة النبيلة حتى انتشى كل منهما بنشوة الهوى
وراح فؤاده يقنئ « أنشودة لأبدية » التى هى أحنى ما يتقبله الوجدان الزاخر بالبلل والسمو ..
وكان من أثر هذه الآصرة الخيالية - التى آضت عندهما وكأنها حقيقة مقدسة - أن هب
سمير واقفاً وقد اسعت حدقاته وانتمت مقلته . وأخذ يرنو إلى عينيها بنظرات مرتعشة
مرتبكة ولا يندس بلسة شفة كأنه فى حضرة إله حبار .. هبت واقفة - هى الأخرى - وقد
نعكست على وجهها تلك الأنوار اللآلئة فأضت كتمثال فد من ماس مياس ، أحس فى قرارته
ركزاً خفياً يقول :

هجد فى شراب هذا الجمال وتضرع إلى خالقه أن يصمت إليه ..
فحننا راكعاً عند قدميها وقد طوقها بذراعيه القويتين وقال :

حبيبى .. أنت سحر الوحود وفننه وبلسم القلب ومنبته ، اغمرينى بأنوارك ، وأبهرينى
بأضوائك ، تسلطى عى بفتنتك ، واجذنى روحى برقتك . ثم اسحقى كيانى وكيانك وكونى
من ترانيمهما كياناً واحداً ..

عزيزة .. ها هى ذى دموعى منسابة فوق وحتى نلهمها بنارها ونحرقهما بكيمها ، فهببى عطفك
وحنانك . ها أنذا رافع محوك ذراع أسألك الوفاء والصبر ، والنأى عن الطهر والغدر .. ثم
راح يبكى بشدة ..

تحدرت أعصابها وتحادلت أعضاؤها . فافترشت من تلك المروج مهداً وثيراً . ثم ارتعى فوقها
بسحقها بجسده الملتهب . ويقبلها قبلا نارية فتأكة وهى تنجيه بأحر منها وفنتك ..
رقصت حولها الشياطين والزبانية وأغراها الشباب الجامح والموقف الجائح ، ولكنهما لم
يخفيا من هذه الطينة القذرة . !! فإيه وإن كانت الشهوة تسحقهما فإن النبل يرعاها ..
لذلك هب سмир واقفاً وهو يقول :

— نحن أرفع من هذا وأشرف .. ليس كذلك يا عزيزة ؟ فله تجبه ، بل نظرت إليه
ضربتين : نظرة غيظ وألم . ونظرة نبوت قدس ، كأنه رب صغير عصم نفسه عن الدنايا وألم
الأعراض . وأخيراً وفى مجهود عنيف قالت :

— نعم لغيرنا هذا . أنت قديم يا سмир ، بارك الله فيك . ثم هوت على يده تلثمها شاكراً فخوراً .
كان هذا الإطار ، فميناً بأن يحجل (سمير) فجلس على الربوة وقد لمع وجهه بلون وردى

أكسبه بهاء ورواء ، أما عزيزة فقد أبى حبها إلا أن يجلسها بين أقدامه . واضعة رأسها بين
فخذيه تلهبهما بلثامها القوية ، ولكنه رفع رأسها بين يديه ورنأ إلى عينيها بمقلتين غارقتين في
عبرتهما وقال : عزيزة ، حبيبتي ! إئتني مرءوس لوالدك ، وسأبذل أقصى ما في وسعي لجله
على زواجنا ، سأحضر باكرآ فاحتمدي أنت الأخرى ، والآن فلنذهب . ثم تعاقبا طويلا
وانثيا عائدين .

* * *

« سليم أفندي » رجل نقى النفس ، طيب القلب ، محبوب من مرءوسيه مع شدته معهم ،
وهو وإن كان رجعيآ يفكر بعقلية القرن المنصرم إلا أنه — لفرط حبه لابنته عزيزة — سمح بتعليمها
وتهذيبها . ولم تكن له أمنية في الحياة إلا أن يراها زوجة لثرى كبير أو موظف قدير خطير
تقضى معه بقية عمرها في سعادة ورفاهية ، لا يمانه بأن السعادة لا تكون إلا مع المال والجاه !!
لذلك لا نمجب إذا رأيناه يقف من سمير موقفا صارمآ جبارآ فيصب جام غضبه عليه ، ويقذفه
بحمم براكينه ، ويمجب كيف جرؤ على طلب يد كريمته ولسان حاله يقول :

أريد أن تسطو على سمادتها وهنائها وتذيقها معك ألم الفقر وذلل المنصب الحقير ؟

لم يستطع سمير أن يقنعه ، أو بمباراة أدق ، لم يترك له سليم أفندي فرصة يرجع فيها
عن غلوائه وكبريائه وتطرفه الذي سيحطمه ويحطم معه ابنته . إلا أنه في شيء كثير من الصلابة
والشمم قال له : سيدى ! أنت أعرف الناس بأحلاق واستقامتى كما أنك تعلم أنتى منتسب للجامعة ،
ولن يعصى طويل زمن حتى أكون من حاملى اللبسانس . وليست هى آخر آمالى ومطامحى . ونش
أن كل هذا يشفع لى عندك . وفى استعطاف وتضرع قال له : أرجوك ألا تحطم آمالى وتحطم
معها سعادة آآ ...

— حذار أن تلوك اسمها فأنت غريب عنها وستظل غريبآ ... !!

ويظهر أن سليم أفندي بعد أن نطق بهذه الجملة القاسية لم يستمره ، أراد أن ينصح به باين ، فقال :

— يا بنى ! البحث لك عن فتاة تناسب مركزك حتى لا تبهظك بالنفقات الطائلة التى لا
تناسب ومربك .

فدنا إليه سمير وقد تخضلت عبراته وتحطم فؤاده وقال :

أشكرك ياسيدى ، وأعنى لكريمته السعادة من كل قلبى ، ثم خرج متعثرا وهو يركى

بصوت مسموع !!

دخل سليم أفندي ليخبر كريمته بهذا البيا الذى وقع فى هوائه أنها ستسر له أيتما سرور ،
ولكنه وجدها تبكى بكاء مرآ . وتئن أنينا موجعا . . . ! فساكن بينه وبين زوجته حوار :

— بنتك يتعيط ليه . . . إئتوا سمعوا الحكاية ولا إيه ؟

— سمعناها من أولها لآخرها !!

— طيب وهو أنا مجنون أديها لواحد زي ده !! متعيطيش يا عزيزة .

ولكنها ازدادت في أئينها حتى أوشك أن يكون حشرجة ، وكان حالها لا يخفى على أحد ؛
إلا على أمثال سليم أفندي ! ورغم كل هذه الآلام الظاهرة قل سليم :
— وخده على خاطرها ، بتظن إني كنت حوافق .. محال .. محال ..

بعد تسعة شهور كان بيت سليم أفندي يبعج بالمهنيين والمهنيات لخطوبة كريمته بالسري
الكبير والتاجر الخطير « الشيخ أحمد حلمبوحة » ، وكان الكل في سرور حار إلا عزيزة فإنها
كانت تحترق في قرارتها وتلتحرق في هيكلها

لم يسمع سمير بتلك الخطوبة لأنه كان منهمكا في عمله ومنتظراً نتيجة امتحانه التي ستنظر
بعد يوم واحد ، وفي الصباح الباكر ذهب إلى مكتبه فألقاه يوجع زملائه وكلهم في انتظاره
ليهنئوه بهذا النجاح الممتاز .

دهش لهذه المفاجأة وانعقد لسانه ، فتقدم أحدهم « باتع أفندي » ، وييده الجريدة وهو
يشير إلى هذا النبأ ، ولسوء الحظ لم يقع نظر سمير إلا على خبر خطوبة « عزيزة » بالشيخ أحمد
حلمبوحة ، فرمى رأسه إلى الوراء وقد انفجرت العبرات من عينيه بقوة ثم راح في غيبوبة عميقة .
ساد الهرج واشتد اللفظ بين زملائه فن قائل :
— من كتر فرحته يا أخى .. ماهو نجاح مدهش .

ومن قائل :

— مهما كان مشر قد كدة الفرح .. دا ميت خالص .. !!
وبينما في حومة هذا الحوار إذ بسليم أفندي يدخل مشدوهاً مدهوشاً لهذه الحركة
لغريبة الصاحبة ، فسأل عن الخبر فقال له أحد مرءوسيه :
— سمير أفندي أغمى عليه لما أخبرناه بنجاحه في الليسانس .
ولكن سمير نهض واقفاً وقال : الحمد لله ، انتهى كل شيء .. أشكركم جميعاً على إحساسكم
النبيل . فانصرف كل إلى عمله ولم يبق إلا ما فقال سليم :

— مبارك يا سمير يا بنى ، دا نجاح ممتاز باهر . والله إنت تستاهل أكثر ، إن شاء الله أهنتك
بنجاحك في الدكتوراه .. فأجاب سمير :

— مبارك الخطوبة « يا حضرة الباشكاتب » إن شاء الله أهنتك بالبكارى .. هه ! بكارى
الشيخ أحمد حلمبوحة ، فامتعع سليم أفندي من هذا التهمك المر ، ولكنه في الوقت نفسه عرف سر
إفهامه فأراد أن يواسيه فطيب خاطره وشجعه بكلمات كانت تهبط على رأسه وكأنها شظايا تلهب
رأسه وتفتك بروحه ..

مرت الأيام تباعاً وانقضت الشهور سرعاً فإذا بسمير في الدرجة الرابعة، وإذا به أول المساحين في الدكتوراة، بل إذا به يخلف سليم أفندي في منصبه لإحالة الأخير إلى المعاش .. ولكن أي مركز !! وأي حاح يشعر لها بلذة وقد تحطمت آماله وتمزقت سعادته ؟ لذلك كان دائماً كسيف البال كليم الفؤاد عابس الوجه، شديداً حتى مع نفسه وأهله. وكان يميل إلى الوحدة والخلوة، يصطحب معه جرائده عصر كل يوم. ويذهب إلى الخيول الرائدة الذميمة. وبينما كان يتصفح جريدة في يوم من الأيام إذا به يقف مشدوها مبلبلاً حائر اللب وهو يقول : مسكينه، لقد تحملت العذاب بأنواعه، وما هي ذى ضربه أخرى، ثم أخذ يقرأ بتمعن وروية « لكل هذه الأسباب المتقدمة والتي أهمها الروير في أوراق رسمية وإدمان الخمر والنصب والاحتيال .. حكمت بحكمة سي الشيخ أحمد حلميوحة بالسجن سبع سنوات مع الأشغال الشاقة »، ثم جرى بجرائده وأثر راجعاً إلى بيته وهو مضطجع الحواس مفتت قلبه. ومضى أسبوع فإذا بالساعي يخبر رئيسه سمير أفندي .. أن سيدة تلج في الدحول عليه، فأمره بإدخالها وهو يسحب من تكون ؟؟

تقدمت عزيزة بيضاء وقد انشحت بثمر أسود. لا حزناً على « الشيخ حلميوحة »، وإنما حزناً على شبابها وسعادتها .. وقالت :

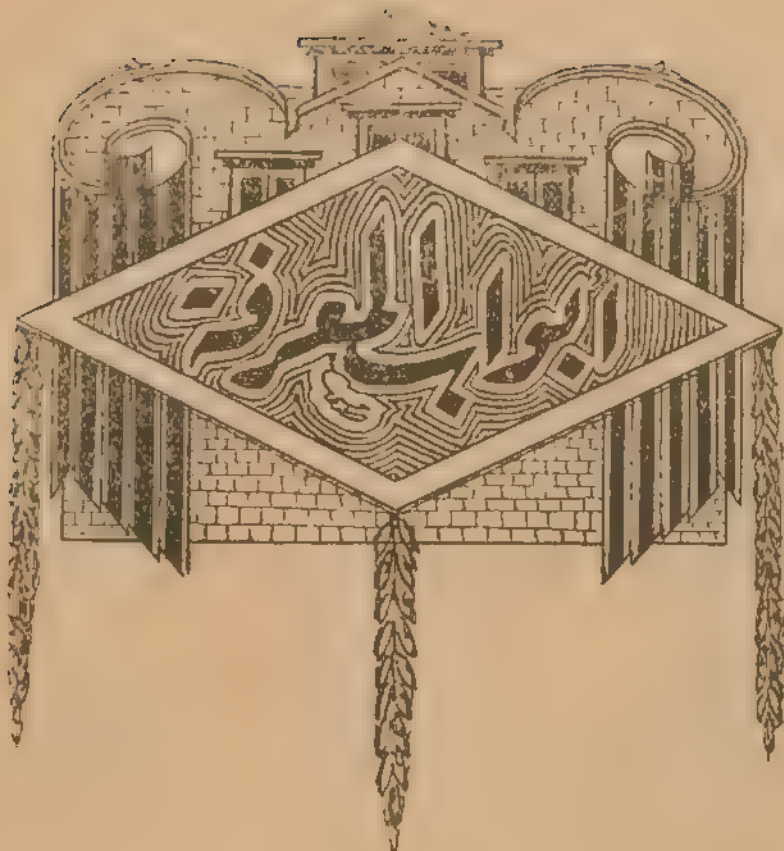
سمير بك .. سمير بك .. وهنا انحدرت دموعها - أثبت لاهنت بمنصبك الكبير وأطلب لك السعادة من كل قلبي .. لقد أساءك والدي وفرق بيننا وقتل قلبينا وما أنذى قد ثبت أرى حضبي سابقاً وحبيب شبابي ومبعث سعادتي، لا شيء إلا (وهنا تقدمت حتى لاصقته وأسرعته بلثم وجنته) لأقول إنني أصبحت فقيرة وفقدت كل شيء في الوجود .. حتى حبك وعظمتك. لقد تغيرت كثيراً يا سمير .. المفو يا سمير بك ..

— عزيزة ! أنا سمير لم تغير .. أنا بك ؟ أنا سمير بك ؟ ثم هب واقفاً وأنى بجوارها وصرخ باكياً وقد ركم عند قدميها وأخذ يلثم جلبابها بخنانه القديم وشغفه العظيم، ثم ربا إلى وجهها المخضب بالعبرات وقال :

عزيزتي .. حبيبي .. أنا خادمك اصفحني غنى، تقبليني الآن ؟ أقبليني والدك ؟؟ وهنا يفتح الباب فإذا بسليم أفندي واقف وقد سمع جملة سمير الأخيرة فأجابه : نعم. الآن أصبحت عظيمًا ونحن الآن نرجوك اصفحني يا ببي. لقد كنت قاسياً عنيداً ... اصفحني لأجل عزيزة. وفي اليوم الثاني نشر هذا الخبر « أعلنت خطوبة كريمة الأستاذ سليم أفندي بالدكتور الفاضل سمير عصمت فنتمنى لها الهناء » .

وبعد شهر واحد كانا في ضاحية المعادي يسيران على الشاطئ، ثم حلالها الجلوس فهرما إلى تلك الربوة الدحداحة، وهما يغنيان بأعذب الألحان ويتعاقان و... ؟؟

محمد السيد محمد الموليحي



بين المناظرين

بطلان مذهب الأحمدية

خارت عزائم بعض المسلمين وضعفت هممهم، وراحوا — معاهمهم الله — يتلمسون وجود الالتحام بالديانات الأخرى، ظناً منهم أن هذا يقوى شوكتهم ويعزز كلمتهم. وما دروا بذلك أنهم يضرون أنفسهم ويفضضون ربهم. وأن الخير كل الخير في أن يتمسكوا بدينهم كاملاً غير منقوص: ذلك الدين الذي أصبحت أمهات تعاليمه معبومة بالضرورة.

فترى كثيراً من المذاهب الجديدة التي تطالعنا بها ليالي الحاق تشير إلى تلك الغاية العقيمة. وليس أقرب إلى تلك النزعة من مذهب الأحمدية «القاديانية». وإليك أصول ما حالفوا به الدين الإسلامي نقلاً عن داعيتهم حضرة «منير الحصني»^(١) والبراهين الدالة على فساد تلك الأصول:

١ — موت المسيح حتم أنفه وعدم رفعه حياً إلى السماء. ويدل ذلك على بطلان هذا صريح قوله تعالى: «وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك فيه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه». روى^(٢) أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فذبحوا عليهم فسح الله من سبهما فردة وخنازير. فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه رفعه إلى السماء وبظهره من محبة اليهود، فقال لأصحابه أيكم رضى أن يلقي عليه شبهة فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا. فألقى الله عليه شبهة فقتل وصلب. وقيل إن الذي ألقى عليه شبهة رجل منافق كان يبغض المسيح عليه السلام. وقوله تعالى: يا عيسى إني متوفيك ورافعتك إني «إني سمائي ومقر^(٣) ملائكتي» ومطهرتك من الذين كفروا «من سوء جوارهم وخبت صحتهم». وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالى على فلان إذا استوفيته، أو مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعتك الآن. إذ الواو لا توجب الترتيب. قال النبي عليه الصلاة والسلام «ينزل عيسى خليفة على أمتي يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى، وكيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها».

(١) «المعرفة» أول نوفمبر سنة ١٩٣٢ (٢) تفسير البضاوي والنسفي ببعض تصرف (٣) تفسير النسفي

ومنوفى نفسك بالنوم ورافعك وانت تأثم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء
 من مقرب ٥١. وقال (١) عليه الصلاة والسلام «كيف أتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم» (٢)
 منكم. أقول لا تعارض في وجود الإمام حين نزول المسيح عليه السلام. إذ الواو مخبر عن حال
 نزوله لا عن حال مكانه في الأرض.

وما الاستشكال بأن المسيح المخبر عنه في حديث المعراج بأنه أحرر جمع الشعر. والذي
 أتى لقتل الدجال آدم سبط الشعر. فلم ترد الأحاديث أن الذي يقتل الدجال هو المسيح عليه
 سلام. فضلاً عن أن وصفه بذلك قد عارض فيه ابن عمر (٣) رضى الله عنه. فعنه: «لا والله ما
 من النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى أحرر. ولكن قال: بيننا أنا تأثم أطوف بالسكبة فإذا رجل آدم
 سبط الشعر يهادى بين رجلين ينظف رأسه ماء أو يهراق رأسه ماء. فقلت من هذا؟ قالوا: ابن
 مريم. ومع ذلك فإنه لم يصفه (٤) في حديث المعراج بما فتنه حضرة الأحمدى: ففي حديثه صلى
 الله عليه وسلم قوله «فلما خلصت» يعنى إلى السماء الثانية «إذ يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قل
 هذا يحيى وعيسى فلم عليها فسلمت فردا».

٢ — يتمتعون النسخ في الشريعة الإسلامية فيتقربون بذلك إلى اليهود كما تقربوا بسابقه إلى
 نصارى. وقد قل تعالى «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بحير منها أو مثلها». وتفسير النسخ (٥)
 لغة. التبديل. وشريعة: بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوها من استقراره بطريق
 آخر. فكان تبديلاً فى حقنا، بياناً محضاً فى حق صاحب الشرع، وفيه جواب عن البداء الذى
 به منكره. أعنى اليهود. ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ما ينافى النسخ
 من توقيت أو تأييد ثبت نصاً أو دلالة. وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من
 الفعل خلافاً للمعتزلة. وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقاً ومختلفاً، ويجوز نسخ التلاوة والحكم
 دون التلاوة، والتلاوة دون الحكم، ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنه نسخ عندنا
 خلافاً للشافعى رحمه الله. والإساءة أن يذهب بحفظها عن القلوب. أو نساها مكي وأبو عمرو:
 «توحرها من نساء أى أخرت» «نأت بخير منها» أى نأت بأية خير منها للمبادئ بأية العمل
 بها أكثر للثواب «أو مثلها» فى ذلك إدا لا فضيلة لبعض الآيات على بعض.

قول: ومنع النسخ يوجب التصارب فى كلام الله الحكيم وأحكامه الكريمة. فأيات الخمر
 لأول من لا تشير إلى إباحته، وآياته الأخيرة تمنع تعاطيه، وآيات السم الأولى تعارض آيات الجهاد
 وهكذا. ثم إن سنة التدرج والترقى كانتا تقضيان بتعليم العرب أحكام الدين شيئاً فشيئاً، لا

١ صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق (٢) ذكر حضرة الكاتب لأحمدى نجر الحديث دون مدره

(٣) صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق (٤) صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق (٥) تفسير السبي

أن يفرض عليهم كل أحكامه جملة واحدة . ورضى الله عن الإمام البوصيري حين يرد على اليهود في هزيمته حيث يقول :

لزمته مقالة شنعاء	منها قالت اليهود وكل
ق وبالا إليهموا استقراء	إذ هموا استقرءوا البداء وكسأ
رفي الخلق فاعلا ما يشاء	وإراة لم يجمعوا الواحد القها
بخ عليهم لو أنهم فقها	جوزوا الفسخ منها جوزوا المله
م وخلق فيه وثمر سواء	هو إلا أن يرفع الحكم بالحكة
ولحكم من الزمان ابتداء	ولحكم من الزمان انتهاء

قل العلامة الصاوي: ^(١) «وزعم اليهود أن النسخ يستتزم البداء باطل لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع لأحوال المكافين وذلك لا يقتضى أن الله ظهر له شيء بعد أن لم يكن لقيامه لدليل العقلي على أن علمه تعالى محيط بجميع ما كان وما يكون وما هو كائن أزلا وأن تصرفه في علمه على مقتضى علمه .

٣ -- وجود النبوة بعد سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . وهذا يعارض قوله تعالى « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وفي الحديث الصحيح ^(٢) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء . كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لاني بعدى » . وقال ^(٣) عن جابر: « مثني ومثل الأنبياء . كرجل بني داراً فأكلها وحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة » . وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه زيادة « إلا موضع لبنة في رواية » . وقال في آخره « فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

٤ — بقاء الوحي الإلهي ، وهذا غير صحيح: لأن الوحي في عرف الأصوليين ^(٤) لغة هو إعلام في خفاء وشرطاً: إعلام الله أنبياءه بالشيء سواء أكان بواسطة أم بغير واسطه . والآخر قد يكون بصوت يتمثل لسمع النبي وقد لا يكون . والوحي نوعان ^(٥) : ظاهر وباطن . والظاهر ثلاثة أقسام :

الاول : ما ثبت بلسان الملك فوقع في سمعه عليه السلام بعد علمه بالمبلغ بآية قاطعة . والقرآن من هذا القبيل . الثاني : ما كان بإشارة الملك من غير بيان بالكلام ويسمى خاطر الملك . الثالث : ما لاح لقلبه صلى الله عليه وسلم بلا شبهة بإلهام الله تعالى إياه . والباطن ما كان باجتهاده صلى الله عليه وسلم خوف فوات الحادثة .

(١) شرح الصمدية لهامة بن حجر وحاشية العلامة ابن حجر (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح معاري من قصة اسلامه في (٤) اصباح علم الأصول في علم الأصول بمنى تصرف (٥) راجع كتاب الوحي في الصحيحين

وعليه فليس أنوحى إلا الأنبياء والمرسلين . دوماً ما جاوز في حق أولياء الأمة على سبيل
تكرامة فليس بوحى ولكنه إلهام ، والإلهام في غير التثريب جائز للحديث الصحيح ^(١) عن أنى هريرة
رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال
يكنون « تلقى الملائكة في روعهم المعارف من غير رؤية » من غير أن يكونوا أنبياء . فإن يكن
من أمنى أحد منهم فعمر) . ولقوله تعالى « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم
للملائكة » الآية .

هـ — الجهاد بالسيف غير جائز إلا في حالة الدفاع عن النفس محتجين بقوله تعالى « لا إكراه
في الدين » ، فقد أجمع العلماء ^(٢) على أن الجهاد فرص على الكفاية لقوله تعالى « كتب عليكم
قتال وهو كره لكم » ، ولأحاديث المغازي التي ملأت بفتون الصحف . وأما آية (لا إكراه
في الدين) ^(٣) فقد قل ابن مسعود وجماعة : كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال ، وهو
بما عام منسوخ ^(٤) بقوله « جاهد الكفار والمنافقين » ، أو خاص بأهل الكتاب ؟

متولى أحمد كيوان

١ صحيح البخاري من فرائد شمس النبوة (٢) إلهامه الله تعالى . وبإشارة مقتضاه ، ورحمة
الله في اختلاف الأمة ، ويرى أن يشرى (٣) غير رسمي (٤) تفسيره أيضاً .

كتاب

في التربية والتعليم

تأليف الأستاذ الكبير أحمد فهمي العمروسي بك

هو دائرة معارف عامة في التربية والتعليم ، ألهمه المربي الجليل الأستاذ أحمد فهمي
العمروسي بك ، وتناول فيه أغلب مباحث التربية وموضوعاتها التي تثار البحث حولها في الماضي
وحاضر ، بأسلوب سهل وعبارة مفهومة ، وشرح كامل . وهو يقع في ٣٢٠ صفحة من القطع
الكبير . والكتاب واضح الحروف ، جيد الطبع ، متين الورق ، وبه ٢٢ صورة على ورق
مفتول . ثمنه (٤ قرشاً) يضاف إليها (٥ قروش) جرة البريد ، ويطلب من إدارة « المعرفة » .
ويهدى مجاناً للمشاركين الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الثانية .

هو مجلدة ينبغي ألا تخلو منها مكتبة أي مدرس أو تلميذ

مملكة المرأة والبيت

في التفصيل

بقلم الأنسة المهذبة : خديجة محمد ابراهيم

لم تكن معرفة تفصيل الملابس في وقت من الأوقات بأمر منها في وقتنا هذا الذي ارتفعت فيه أثمان المنسوجات وأجرة التمهيل ارتقاء عظام. وعلى أية حال فإن جهل السيدة بتفصيل ملابسها يضاعف عزمها، ويحول بينها وبين ما تشتهي من مختلف الأزياء الحديثة. وخاصة إذا كانت فقيرة، وليس التفصيل بالأمر البعيد المنال. بل هو في مقدور كل سيدة رزقت قبلا من الصبر والفطنة. وإن المقاطع (الأرابيك) التي تباع الآن في كل مكان. قد حملت تفصيل أمراً ميسوراً.

ملاحظات

- ١ — يجب أن تلب الملابس القابلة للاسكاش قبل تفصيلها.
- ٢ — كل سنتيمتر في الرسم يدل على عشرة سنتيمترات من النسيج.
- ٣ — تدل الخطوط المتقاطعة في الأشكال الآتية على ثنية النسيج.
- ٤ — تقضى الآداب بأن يقدم المقص لأي شخص آخر من الجهة التي يمسك منها، والإبرة من جهة فتحها.

ملابس الطفل المولود

ما أسعد تلك السويحات التي تبدأ فيها يد الأم بعمل ملابس ابنها الأول. وكما أمية من معسول الأمانى تمكن تحت كل غرزة من غرز تلك الملابس التي تحوكمها ؟
ويحتاج عمل ملابس الأطفال إلى عناية ودقة وحسن ذوق. وهذا موفور لكل سيدة ذكية لغزاد القميص الأول للطفل (لغاية ستة أشهر)

مقدمة : يلبس الطفل هذا القميص سواء أكان ذكراً أم أنثى في الأشهر الأولى من حياته فوق كافولة مشدودة بمطاط من (الفلانا)، ولتسهيل لبس القميص يجب أن يفتح من الحس. وبما أنه يلامس جسم الطفل فيجب أن يصنع من مادة خفيفة ناعمة .

نوع النسيج : يصنع هذا القميص من البندق (الباتسه) أو (النانسوك) أو (الترتير) ويخرف بالمضرسات (الدانتله) أو (الكامو) أو (الكرويشيه) لعمل الغرز الريشية .

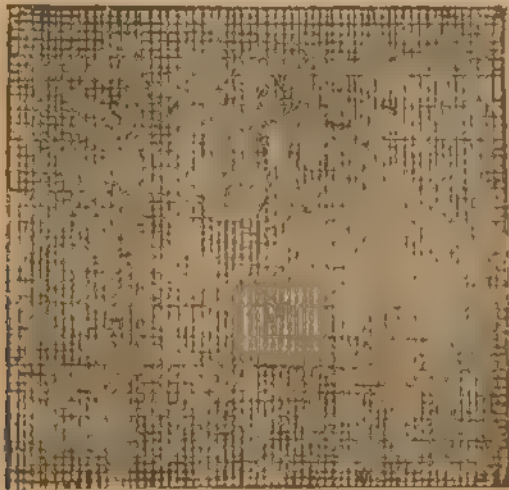
ملاحظات في التفصيل: يجب أن يكون طول القميص ٢٥ سم م. وأن يكون عرضه ٦٠ سم م، وعلى العموم فالعرض قدر الطول مرتين ونصف مرة تقريباً. ولعمله تؤخذ قطعة النسيج وتثنى نصفين في اتجاه خيط النسيج فيتكون منها شكل طوله ٢٥ سم م، وعرضه ٣٠ سم م. ثم توضع ثنية على امتداد طول الجنين لا يريد عرضها على واحد ونصف سم م.

التقوية الأمامية للطوق: يقاس على الركن العوى الأيمن لقطعة الأخيرة مقدار ٦ سم م على الطول ومنه على العرض ثم يقور النسيج ما بين هاتين النقطتين.

التقوية الخلفية: ثم يقاس على الركن العوى الأيسر مقدار ٣ سم م على الطول، و٦ سم م على العرض، ثم يقور النسيج كما تقدم.

وفي هذه الحالة تثنى القطعة نصفين بحيث تطبق تقويرنا العنق على بعضهما، فتصبح القطعة أربع طبقات.

تقوية الذراع: ثم يقاس مقدار ١٢ سم م على طول الثنية الأخيرة الوسطى، ثم توضع علامة تدل على نهاية طول الفتحة. ثم توضع علامة أخرى على بعد ٢ سم م من مبدأ هذه الثنية، ثم يد حط من هذه العلامة حتى يصل إلى مبدأ تقوية العنق التي على عرض النسيج، ثم يقص نسيج على هذا الخط، ثم تفرد القطعة كما كانت أولاً، ثم يقور النسيج بحيث يكون عرض القوارة ١٥ سم م وتوسطها الثنية الوسطى، ويجب أن يزيد عرض نصف القوارة الأيمن نحو واحد ونصف سم م على عرض النصف الأيسر كما هو مبين بالرسم.



(شكل قميص الطفل المولود)

طريقة الخياطة: تضم الأكتاف (١) إما بالأجور الترك (٢) وإما بالخياطة الفرنسية (٣) وإما بطريقة الشل والكف: ثم تثنى تقوية الذراع ثنية بسيطة، ثم تكف ويركب حولها

مضرس (دنتله) ويركب في طوق القميص شريط وذلك ليتمكن استكماكه (نديكيكه) . ثم نكف ثنية الذيل والجوانب .

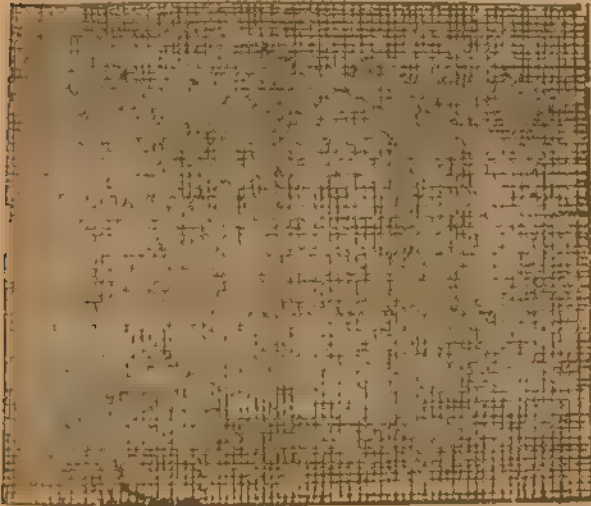
الصدر

تفصل كالقميص تماماً غير أن طول تقوية العنق الأمامية لا يزيد على ٤ سم . وضول التقوية الخلفية لا يزيد على ٢ سم . وهي تؤخذ من نسيج أبيض تتوفر فيه الخفة ولدقة وكثرة المسام (كالفلانلا والبيكا والسكستور) .

كم الصدر : تؤخذ قطعة من النسيج عرضها ٢٥ سم وطولها ١٨ سم ، ثم تطبق من منتصفها فتتكون منها قطعة طولها ١٨ سم وعرضها ١٢ ونصف سم ، ثم على بعد ٣ سم في الركن العلوي الأيسر توضع علامة . ثم يقور النسيج من هذه العلامة إلى نهاية الركن العلوي الأيمن . كما هو مبين بالشكل . ثم يؤخذ على العرض قدر ٢ . ونصف سم م ابتداءً



من الركن السفلي الأيسر ، ثم يقور النسيج من هذه العلامة إلى العلامة الأولى .



(صدر الطفل المولود)

التطريز

التطريز اسم شامل يتفرع إلى جملة فروع ، ويسمى بالإيطالية (از كامو) ، وبالغربية الرقم . وقد يكون على الأنسجة البيضاء من قطن وتين وكتمان وسجل (بقعة) ثقيل وخفيف (تراشين) .

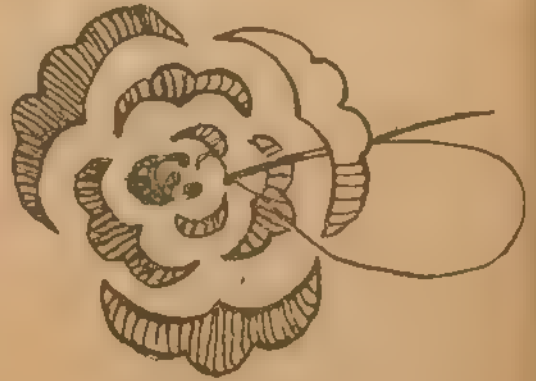
وبطرز البندقى (الباسته) والموصلى (الموسلين) وترقم السكروته والأطلس والنقطيفة والجوخ والفلانلا .

حيط الرقم : أما حيوط التطريز فقد تكون من القطن أو الكتان أو الحرير الملون أو الخيوط المذهبة أو المفضضة ، وتختلف هذه الخيوط في الغلظ وفقاً للنسيج المراد تطريزه .
الأدوات : الأدوات اللازمة في التطريز غاية في البساطة والرخص ، فهي لا تعتمد إلابرة واللقص والمنقب .

التطريز البسيط : لا يخرج عن الغرز البسيطة كما يرى في الشكل الموضح ، وفيها يشل الجزء المراد تطريزه سواء أكان على هيئة وردة كالشكل الأول ، أم على هيئة ورق الأشجار كما في الشكل



الشكل (٢)



الشكل (١)

كلى ، وفي الحالة الأولى يكسى الجزء المحدود بغرز الشل (الشلالة) كما في الشكل السابق ، بعضها ملائق لبعض ؛ وفي الحالة الثانية يكسى الجزء المحدود بغرز طويلة ثم غرز قصيرة مارة بالنسيج ، وهكذا على التوالى من اليمين إلى اليسار ، ثم تسكى الغرز الأولى بغرز ثانية وهكذا .
خديجة محمد إبراهيم

فى الخياطة

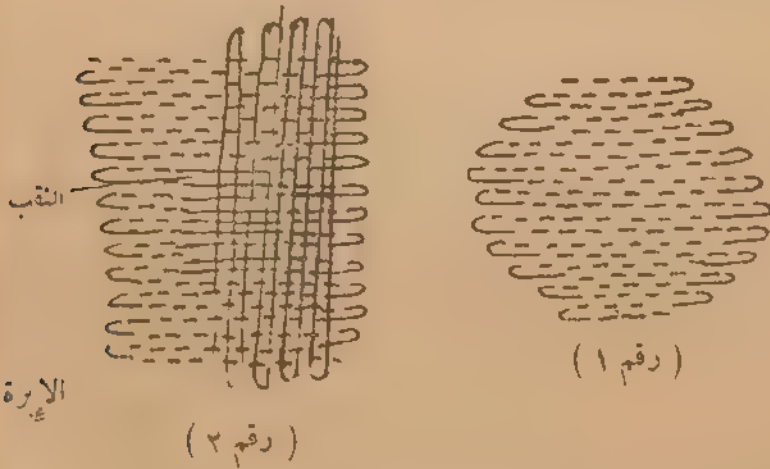
رفع الجوارب :

إصلاح الجوارب من ضرورات سيدات الرجال . لسرعة تلف بعض أحزائها حصصاً فى نص الحيف . ولما كانت الجوارب تلاصق القدمين والساقين وقتاً طويلاً ، فيلزم أن تكون مريحة مما يؤم هذه الأحزاء الحساسة من الجسم . والذي يساعد على ذلك رمو تقويها أو تقرية الأحزاء الضعيفة فيها ببدل خياطاتها بالطريقة العادية فى رفق شقوق الملابس العادية .

والرفو عدة أنواع منها :

رفو الثقب: يقلب الجورب . ثم يوضع الثقب على بيضة الرفو ، أو يشد بين إطارين دائري الشكل ، (التارة المعروفة للتطريز) ، ثم يبدأ - على بعد سنتيمتر من الثقب - بفرز إبرة الرفو في النسيج . ثم يؤخذ على سن الإبرة خيط ويترك خيط آخر وهكذا إلى أن تتراكم الخيوط على طول الإبرة ، ثم تسحب بلطف وتكرر العملية فيطول كل صف عن سابقه إلى أن تصل الصفوف إلى الثقب ، فتظل ذات طول واحد . أما الثقب فتتمدد فيه الخيوط امتداداً ، وتكون غرر الرفو جزءاً من أعلى الثقب وجزءاً من أسفله .

وبعد ذلك يملأ الجزء الذي رفي ، أولاً ، مع ترك ثنية في نهاية كل صف . وتسمى الصفوف الأولى بالسدى . ثم يدار الجورب فيصبح الجزء العلوي والجزء السفلي للثقب على الجانبين ، ثم يبدأ بصفوف اللحمة ، وهي التي تكون متجمعة على صفوف السدى ، ثم يؤخذ على سن الإبرة خيط من السدى ويترك آخر وهكذا إلى أن تصل الصفوف إلى نهاية السدى ، فيتكون من الطبقتين شبكة على الثقب . وقد يمكن حمل الرفو على شكل مربع كما في الشكل (١) ، وكذا في الشكل (٢) وهو الأفضل .



حفظ نعال الأحذية

تدهن النعال كل أسبوع بریت معدني . وذلك بأن يغمز العرجون بهذا الزيت وتغنى به النعال . فتدوم أطول . ومن خاصية هذا الزيت أيضاً أنه يمنع الرطوبة عن الأقدام . وإذا لحظ انكماش في وجه الأحذية من عدم استعمالها أو من تأثير رطوبة ، فتحرق قطعة من الخشب الأخضر وتعرض الأحذية لدخانها . وأن يرأى وضع مقوى الأحذية بداخلها ، إن كانت غير مستعملة حتى تظل حافظة لشكلها المرتب .

في تنظيف الآثاث

(١) تنظيف الكراسى المنجدة المكسوة بالجلد

لتنظيف هذا النوع من الكراسى طرف كثيرة منها : أن تزال البقع بدعكها بقطعة مغمورة بـ (١) البترول أو بقطر التريبتين ، أو تنظف بعد ذلك بما يأتي : —

(١) إما بطلاء الآثاث (ب) وإما بزيت الخروع (ح) وإما بزجج من الخروزيات البررة بمقدارين متساويين ، مع مراعاة أن تكون كمية المزيج المستعمل قليلة ، لأن كثرتة تعوق التلميع أو معه صعباً . ويراعى على كل حال تصبغ الجلد جيداً جداً ، حتى لا يترك أثراً ما من الوسائل التي استعملت في التنظيف حرصاً على ملابس من يجلسون عليها .

(٢) تنظيف الأخشاب المدهونة الملمعة

تنظف بطريقة من الطرق الآتية : —

- ١ — إما أن تدعك بريت البترول ، أو بزيت البذر (الزيت الحار) دعكاً جيداً .
- ٢ — وإما أن تنظف بزجج من مقادير متساويين من الماء الساخن والخل .
- ٣ — ينظف خشب (الموجني) بزجج من الماء الدافئ والاسبرتو ، فتزجج ملعقة كبيرة من الاسبرتو ، بلتر من الماء الدافئ . أو ينظف الخشب المذكور بنقيع الشاي بعد تبريده . فإذا نظفت الأخشاب المهملة نظى بورنيش الآثاث ، وتلمع جيداً فتعود جميلة صالحة للاستعمال .

طلاء الآثاث

ورنيش الموييليات نوعان : جامد وسائل ، فالطلاء السائل يصنع من المواد بالمقادير الآتية :

- ١ — فنجان من زيت البذر ، وفائدته أن يفدى الخشب .
 - ٢ — فنجان من عطر التريبتين . وفائدته أن يريل الأوساخ الدهنية .
 - ٣ — نصف فنجان من الخل ، وفائدته أن يريل بعض البقع ، ويجعل اللون زاهياً .
 - ٤ — نصف فنجان من الاسبرتو . وهذا يساعد على لمعان الآثاث .
- تخرج هذه المقادير بعضها ببعض ، وتحفظ في زجاجة مسدودة بسداد محكم . فإذا أريد دهن الآثاث ، ترج الزجاجة قبل الاستعمال رجاً شديداً .

الطلاء الجامد

يصنع من المواد الآتية : وقية شمع أصفر (٢) أو قيتين من شمع ثيبس (٣) ووقيتين من مبشور الصابون (٤) نصف رطل من زيت التريبتين (٥) ثلاثة أرباع رطل ماء مغلي ثم يشر الشمع ويوضع مع زيت التريبتين في وعاء ، ويوضع هذا الوعاء في وعاء أكبر منه به ماء ساخن حتى يتم ذوبان الشمع في الزيت ، ثم يوضع مبشور الصابون مع الماء المغلي حتى يذوب ويرد فيمزج الجميع ويحفظ في العلب .

مكتبة المعرفة

مشكلة البغاء

لصديقنا العالم الجليل الشيخ محمود أبي العيون ، نباهة ذكر ، وبعد صيت ، اكتسبها عن جدارة واستحقاق ، بما يبذل في سبيل الدين والأخلاق والاجتماع عامة ، وفي مسألة لبغاء بصفة خاصة ، من جهود جبارة ، وحملات جريئة ، وقدرات مرة ، وهجمات خطيرة ، للقضاء على تلك المسألة ، التي هي سبة وشنار يلحقان سمعة مصر وزعيمة البلاد الإسلامية . بل هي - ولكن صرخاء - لطخة عار في جبين القانون المصري ، الذي زات قدم واضعه في هذه النقطة زللاً عميقاً .

والله إن القلم لمعجز عن تصوير هذه المآسي ، وهائيك التوهم ، ووصف تلك المبات ، وتشخيص أعراض هائيك الرزيلات ، التي انتشر ظلها في أنحاء بلد عربي دينه الرسمي الإسلام . فهل من مستيقظ ؟ وهل من مستمع لهذه الأنات الصاعدة إلى باري . النسم شاكية إلى الله ضم الإنسان لأخيه الإنسان ؟

لسنا والله بالقادرين على كظم الغيظ ، وتهدئة السورة النفسية عن الافتحار . فقد نفد الصبر ولم يبق في فوسه مترع ؛ فالام النوم والتقصير ؟ وحتى م الجود يارجال الحقانية ؟ وإن تم يارجال الصحة ؟

أقسم لكم أن جرة قلم واحدة كفيلة برد الشرف إلى منبعه ، وإرجاع الحق إلى نصابه . فإن أبيتم إلا الاستكانة فإن الله سيسألكم أشد السؤال ، ويجزيكم عما قدمتم بما تستحقون . فذكر هذا بمناسبة الرسالة التي يبريدينا الآن ، والتي حظها قيم الأستاذ أبي العيون ، وهي حذيرة بالدرس والتحليل ، قميئة بأن تكون دستوراً لكل بيت . وقانوناً لكل ناد ، ليمتعض من لا يمتعض ويعتبر من لا يعتبر .

وبعد ، فليتقبل صديقنا الفاضل جزيل شكرنا على مايقوم به من خدمات في سبيل الدين أولاً ، وفي سبيل الوطن ثانياً ، وفي سبيل الإنسانية المعذبة ثالثاً . وإن كان لا شكر على واجب .

سيرة حياتي

بقلم الأستاذ توفيق فضل الله ضمون

وضع زميلنا الفاضل الأستاذ توفيق فضل الله ضمون ، صاحب مجلة « الدليل » التي تصدر في (سان باولو - راندل) سقراً تحت هذا العنوان . تناول فيه بالتسجيل والعرض سيرة حياته

ومنصمته من ثم ما جرى له من الحوادث في سوريا ومصر والسودان وسواها من البلدان ، وصاغ ذلك كله في قالب روائي فكهى .

ولا يقوتنا أن تنبه إلى أن الدافع الذى دفع الأستاذ إلى وضع هذا السفر . هو بغضه الخمين من العمر ، وقد قال في مقدمة كتابه : أنه يريد التلمس من ربة الاستحياء الشرق ابوروث ، فيسرد سيرة حياته بكل تجرد وإخلاص لصميره .

والكتاب فى موضوعه فكرة جديدة لما يألفها الشرق بمد : ثم هو إلى ذلك يجمع ملاحظات يفتة ، ويضم بين دفتيه ألواناً متعددة من مختلف الحياة فى الشرق والغرب . على أن مما يستحق ملاحظة . وقد يكون النقد أيضاً ، ذلك الفصل الذى عقده على مصر مفتتحاً إليه بما يأتى : —

« كنت فى نحو العشرين من عمرى ، عندما وطئت رجلاى للمرة الأولى فى حياتى أرض مصر القاهرة فى أصيل سنة ١٩٠٣ . وكانت هذه السنة سنة شؤم على الذين هموا مصر من لسورين طلباً للاستخدام . ورأس ملهم من العلم والاحتبار يكاد لا (هكذا) . بذكر : ورأس ملهم لمدى « عشوة بدوى » . ولكن هناك رأس مال يفوق الأول مكانة . وقوامه كتب التوصية إلى بعض المتنفذين من بعض أصدقائهم أو أقاربهم فى سوريا أو فى مصر . ويكاد يكون تعويذة لا فعل منها فى الحصول على وظيفة مهما كان حاملها قصراً عملاً واختياراً وأدياً » .

فعل المؤلف الفاضل يتفضل بريرة مصر الآن . ليرى مبلغ ما يتمتع به مواطنوه بينما فى مختلف شئون الحياة التجارية والمالية والأدبية ، من تقديرنا لهم ، وإقبالنا عليهم ، فلا يعود إلى تسجيل هذه السبة على مصر .

التربية عند العرب

تأليف الأستاذ خليل طوطح

وضع المرئى الفاضل الأستاذ خليل طوطح — أستاذ فى العلوم ودكتور فى الفلسفة ، ومدير مدرسة الفرنندز للصبيان بام الله بفلسطين — رسالة فى التربية عن العرب ، قدمها فى الأصل باللغة الإنجليزية كأطروحة للدكتوراه فى جامعة كولومبيا بأمريكا ثم ترجمها إلى اللغة العربية ، فجاءت كتاباً حاملاً أصول التربية ونشأتها وتدرجها عند العرب بما لا يدع قولاً لقائل ، موفياً كل فحة حقها من البحث والاستقصاء . متمشياً مع طريقة العرض المظم تمشياً دقيقاً .

وما نظننا فى حاجة إلى دعوة الطلاب ومدرسين لمطالعة هذا الكتاب القيم ، فففيه ما يعنى عن كتب . وحسبنا أن نشر إلى رؤوس مواده التى بحثها . ليعلموا قيمة الجهد الذى بذله المؤلف الفاضل ، وهذه هى :

المدارس — المعلمون — الطلبة — تعليم النساء — برامج الدروس — أساليب التدريس وآدابه — فلسفة التربية عند العرب — كتب التربية عند العرب — الخاتمة .
نوصى القراء باقتنائها لنفاستها وقيمتها . وتنمى للكتاب ما هو جدير به من الذبوع والدراس .

دائرة المعارف الإسلامية

يطيب لنا أن نتحدث الآن في غير إسهاب، وفي كثير من المقصد عن «دائرة المعارف الإسلامية» لا من حيث فكرتها التي سبق إلى تحقيقها جماعة من عمد المستشرقين حتى تمكنوا من إخراجها باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية إخراجاً ليس يدل على توفيقهم فيه من تلك الشهرة الواسعة التي تجاوزت بها تلك الدائرة حدود الصيت البعيد.

وإنما يطيب «للمعرفة» أن تتحدث عنها من جانب آخر. ونعني به جانب الجُرأة النادرة التي توفرت في طائفة خيرة من شباننا المتقنين. حتى قدرت لهم أن ينصرفوا عن التفكير في كل شيء إلا عن ترجمة هذه الدائرة إلى اللغة العربية وطبعها في طابع عربي مبين. هي جرأة نادرة حقاً. لأننا نحن الذين نساء في الدعاية الواسعة للثقافة العربية الإسلامية قد استطعنا أن نقبض بأيدينا على الجرء، فمرفأ أن الجمهور العربي فلما يعنى بالناحية الثقافية الرفيعة عنايته بكل ما هو تافه ضئيل. ولكن هذه الجماعة التي نشهد اليوم الذي نستطيع فيه أن تنفض أيديها من آخر جزء في هذه الموسوعة الكبرى. والتي خرجت لنا أول بواكيرها من بضعة أيام. هي قبس من ضوء الشباب. لا يعنيهم أن يذوقوا ألوانا من الضيق، بقدر ما يعنيهم أن يتابعوا خطواتهم إلى النجاح والنور.

إن الثقافة العربية الإسلامية في حاجتها الماسة إلى تشبيه هذه الموسوعات. تحقيقاً. أن تفاخر بأولئك الشبان المتحمسين، لأنهم يواحبون في ترجمة «الموسوعة الإسلامية» ضرورة من العقبات. يتصل بعضها بالجانب المادي—وهو ما نرحو وزارة المعارف والهيئات العلمية نساء فيه لتكفيهم مؤونة البحث عنه إلى حد بعيد. ويتصل بعضها بالجانب العلمي. وقد استطاعوا أن يحدرو هذه العقبات حين وقف بجانبهم جماعة من أعلام العلماء. يردون أحطاء المستشرقين عن ترانما خالده وأنه لتقليل على هذا العمل الجريء، أن نقصر القول فيه على كلمة تقريظ أو حمد. فإن لـ لعمولاً طاحلاً إلى ذلك الجزء الذي أصدرته اللجنة حتى نبجته في ضوء الدراسة المستنبه. مغتربين كثير الاغتياب حير قول: إن هذا العمل الباقي على الزمن هو نتاج التعليم الجهمي في مصر. فأنت مغتبط دون ريب حين تعلم أن الأساتذة الذين توفروا على إخراج الموسوعة في ثوبها العربي القشيب: محمد ثابت القندي، وأحمد الشنقاوي. وأبراهيم زكي حورشيد. وعبد الحميد يونس، وكلهم من أنضج الثمرات التي أمتحتها دوحة الجامعة القميانه.

وكلهم ممن قرأ لهم قراء «المعرفة» صفحات منشورة على صفحاتها هي بواكير بحوثهم. لذلك لا نقف نذكرهم بالخير والنساء، داعين الجمهور العربي المتقف إلى تقدير هذه الجهود الجبارة والإقبال على عملها إقبالاً يضمن لهذه الجهود التوفيق والنجاح.

ونحب أن يعلم القراء أن فكرة هذا المشروع ليست طارئة في أذهار دولاء الشبار الباعضين. وإنما هي فكرة متمكنة من أذهانهم منذ سنين ثلاث. وقد فاتحوه وقتذاك صاحب «المعرفة» في المساهمة معهم في العمل. لكن ظروفه الصحفية ومشاغله الخاصة المتعددة لم تتح له شرف المساهمة في ذلك العمل الجليل. فليطمئن العالم الإسلامي كله إلى هذا العمل المبارك. ولتسأ لجنة ترجمة الموسوعة بيسمحه لها التاريخ العربي من ذكر حميد في خدمة الإسلام والمسلمين.

بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَقَارِهَا

عمل السكر الصناعي

(سورابايا . جاوه) السيد محمد سعيد بن مرتع - من اهتدى من الناس إلى نبات السكر ، وطريقة صنعه ؟

(المعرفة) نرجو السيد توضيح سؤاله هذا ؟ وماذا يقصد من نبات السكر ؟ فإن هناك أنواعاً عدة من النبات يستخرج منها السكر ، أمثال القصب والبنجر . ولعل حضرة السائل يقصد السؤال من اهتدى إلى عمل السكر الصناعي ، فإن كان ذلك ، وهو ما نظنه جوابنا عنه ما يلي :

تمكن الأستاذ « بيلى » أحد أساتذة جامعة ليفريول ، من تركيب السكر بالوسائل الصناعية في عام ١٩١٥ ، معتمداً في ذلك على نور الشمس الذي تستخدمه النباتات لتحويل غاز الكربون إلى أنواع السكر والنشاء المختلفة ، ثم جاء بعد ذلك الكيميائيان السويسريان : آمي ديكتا وفوجل ، تمكنوا من تركيب السكر بطريقة تخالف طريقة بيلى . وقد فاز « بكتا » بصنع « السكرس » ؛ وطريقته في ذلك عامية بحيث لم يتيسر استخدامها تجارياً لكثرة نفقاتها .

فناء المادة

(الزقازيق . مصر) السيد عبدالله الغندور - هل المادة تفنى أم لا ؟ وما هي أقوال الفلاسفة في ذلك وأهل الكلام الطيبين وغيرهم مع أدلة كل باتساع ؟

(المعرفة) نلقت نظر حضرة السائل إلى المقال المنشور في هذا الجزء ص ٩٧ ، فيه الكفاية ؛ فإن لم يقتنع فليكتب إلينا بذلك حتى نوفي الموضوع حقه من الناحية الفلسفية والكلامية .

ملكة الشعر

(القاهرة . مصر) ع . ع . خفاجي - أنا مولع بقراءة البحوث الأدبية عامة ، والشعر خاصة ، وعندى ملكة شعرية بالسياسة لا تصنع فيها ، وأقوله في أى معنى أشاء دون التقيد بعلم العروض التى لما أدرسه بعد . وأريد أن أتعهد هذه الملكة بقرض الشعر الرصين الأخاذ ، فبماذا يشير على صاحب « المعرفة » باتباعه ؟

(المعرفة) نصحبك بقراءة دواوين الشعر القديم والحديث ، وحفظ الجيد المختار منه ، خصوصاً ما كان منه موافقاً لزعتك وروحك ، ويجب أن تقرأ ما تقرأ في إمعان نظر ، ودقة

فهم، ليسهل عليك هضمه، ولا تظنن هذا يسم شعرك بتيسر التقليد، بل هو يسوقك إلى الخلق والابتكار، ثم هو يوصل ملكتك ويعودك سبك الشعر وحبكه في قوالبه التي لما تدرسها بعد، فيغنيناك عن دراسة العروض.

على أنه لا بد لك من الاطلاع على بعض القصائد الذائعة لكبار الشعراء من الإنجليز والفرنسيين، أو الألمان إن كنت تعرف لغتهم. ثم يحسن بك بعد هذا أن ترسل ما تنظمه إلى زميلتنا «أبولو»، وهي المجلة الفنية الوحيدة لخدمة الشعر، وبقيننا أن صاحبها الفاضل الدكتور أبا شادي، لا يألو جهداً في مساعدتك وتشجيعك بنشر الجيد مما ترسله.

جواب الشرط

(يافا. فلسطين) عزت الجبالي - قرأت لأديب معروف لدى الجميع، وممن تناولوا بعض نواحي من شعر «شوقي» بالنقد والتحليل في إحدى المجلات الشهرية... تقدراً لبنت أمير الشعراء وهو:

إن رأيتي تميل عنى كأن لم يك بيني وبينها أشياء
فقال: «في البيت خطأ نحوي، لأن تميل جواب الشرط، فيجب أن تكون مجزومة»، فقل لنا رأيك في هذا يا صاحب «المعرفة»، فقد قرأنا لك مقالاً عن «شوقي» عرفنا منه مبلغ تقديرك للرجل وصلتك به.

(المعرفة) هذا قد لا محل له من الأعراب، فقد قال ابن عقيل في شرح الألفية عند كلامه في باب الجوازم: إن الشرط إذا كان فعلاً ماضياً والجواب مضارعاً صح الجزم والرفع، وكلاهما حسن.

فليطمئن حضرة السائل، فإن ابن عقيل أصدق وأعلم بعلم النحو من الناقد على الأقل.

عتاب في سبيل الزواج

(اللاذقية - سوريا) أحد خدام الدين - لصاحب «المعرفة» في نفوس الشرقيين والعرب وعلماء الاستشراق منزلة يحسده عليها كثيرون. وأقسم بحق محمد أننا هنا في اللاذقية نأخذ ما يقوله مؤمنين مصدقين؛ لذلك دهشنا جداً لهذه الكبوة التي كباها في الجزء الماضي عند رده على السؤال الخاص بالزواج، فقد كان لا يرى للسائل أن يتزوج، مع الملاحظة بأن السائل قد دل عليه سؤاله، أي أنه رجل لا ينقصه شيء سوى استكمال نصف دينه الآخر. فهل هذا يجوز من صاحب «المعرفة» وهو من أعلام العروبة؟ ثم لماذا لم يتزوج؟ هل هو من الداعين إلى الإضراب عن الزواج؟ أنبئنا بالخبر اليقين، ثبت الله دينك.

(المعرفة) يا خادم الدين، بل يا حريصاً غيوراً عليه، لك شكرى على حسن ظنك بي، وتقديرى لغيرتك الدينية وغضبتك المضرية، واعتذارى من قبول ما نعتنى به من منزلة «أخجلت نواضعي». والآن تعال معي إلى كلمة سواء:

أنالملك أنكر فضل الزواج ولا وجوبه ؛ بل أنا من أول الداعين إليه ، والحائنين عليه ؛ وكل ما في المسألة أتى لم أتزوج ، فلم أعرف ما إذا كانت حالة الطالب في الزواج تعود عليه بالخير أم بغيره ، فاضطرت إلى عرض سؤاله على فئة من أصدقائنا المتزوجين ، وكلهم له قيمته العلمية والدينية والاجتماعية ، فأفتوا بالرأى الذى نشرناه ، ولكننى احتفظت فقلت فى آخر الجواب ما يلى : « توكل على الله وتزوج - نزولا على حكم الأغلبية - ولا تحملنى مسئولية ذلك فى المستقبل ، لأنك سألتنى ما ليس لى به علم » .

فأى كبوة كبوتها فى هذا ؟ ألم تقرأ قول القائل : « من قال لا أدرى فقد أفتى بما يدرى » ؟ فإسدى يا خادم الدين أعد إلى ما كتبت فى ذلك الشأن وتدبره جيداً ، فلن ترنى إلا متشرفاً بك بخدمة الدين أيضاً ، دون أن أتستر كما تسترت ، ولكل وجهة هو موليها . أما لماذا لم أتزوج ، فعلى الرغم من أن هذا شىء خاص ، لا يحق لى أن يسألنى عنه ، إلا أنه نظراً لاختلاصك وغيبتك الدينية ، أصارحك القول بأنى أرجى زواجى حتى أبلغ سنّاً مبينة ، وأوفق لوقت ملائم يكون الاختيار فيه موفقاً سديداً ، وليس فى هذا معنى تفضيل الزوجة على الزواج على طول الخط . فهل اقتنعت ياسيدى ؟ أم مازال مصرّاً على رأيك ؟ أرجو أن تكون اقتنعت ، وإلا ذكرتى بقول المعرى :

فى اللاذقية	فتنة	ماين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق	وذا عثذنة يصيح	
كل يعز	دينه	يالىت شعرى ماالصحيح ؟

صور بعض الكتاب

نرجو صاحب هذا السؤال أن يحضر إلى الإدارة ، أو يكتب إلينا موضحاً عنوانه لنرد على سؤاله .

مجموعات المعرفة .

ترسل الإدارة - إلى من يطلب - مجموعة السنة الأولى بثمان قدرة ٥٠ قرشاً مصرى لمصر والسودان و ٧٠ قرشاً للخارج . أما السنة الثانية فثمانها ٤٠ و ٦٠ قرشاً . ولا حق للطالب فى الهدايا مطلقاً ، إذ هى وقف على المشتركين .

كذلك ترسل الإدارة الأعداد الناقصة التى يطلبها رغبوها ، نظير : قروش للعدد الواحد ، عدا العدد الأول ، فثمانه ١٠ قروش مصرية .

ويجب أن ترسل القيمة مقدماً : أذونات أو طوابع بريد ، أو حواله على أحد المصارف المالية الموجود لها فرع بالقاهرة . ولا تدخل فى هذا مصاريف التجليد .

عنوان المجلة (شارع عبد العزيز بالقاهرة)

فهرس

الجزءين : الخامس والسادس من السنة الثالثة

صفحة

٤٠٥	فيصل	بقلم عبد العزيز الاسلامبولي
٤٠٧	تعريف أدياء مصر إلى الأقطار العربية	للأستاذ محمد الهراوي
٤١٢	آتي يزانت ومذهب النيو صوفية الحديثة	بقلم عبد العزيز الاسلامبولي
٤١٧	محمد صلى الله عليه وسلم	للأستاذ عبد العزيز البشري
٤٢٣	حنين (قصيدة)	للأستاذ علي الجارم
٤٢٥	طرائف لغوية	للأستاذ فؤاد حسنين علي
٤٣٠	إعجاز القرآن	للأستاذ السباعي السباعي
٤٣٣	ثقافة مصر: أتكون عربية أم فرعونية ؟	بقلم عبد العزيز الاسلامبولي
٤٣٥	أوروبا كما رأيتها	للأستاذ عبد الباقي بدران
٤٤٣	اللغة والشعر والنثر في جزيرة العرب	للأستاذ فؤاد بك حمزه
٤٤٨	نظرات (شعر)	للأستاذ مرسى شاكر الطنطاوي
٤٤٩	تاريخ العقيدة الإسلامية قبل المعترلة	للأستاذ علي حسن عبد القادر
٤٥٥	مدام ماريا متسوري	للأنسة زينب الحكيم
٤٥٧	الحياة وكيف تتكون	للأستاذ محمد علي الحوماني
٤٦٠	أثر النهضة في الأدب بالجلترا	للأستاذ رشدي ميخائيل السيسى
٤٦٥	ابن سينا وفلسفته	للأستاذ محمد ثابت الفندي
٤٧٣	مهديو بنى العباس	للأستاذ مصطفى جواد
٤٧٦	كيف بدأ ديوان التفقيش ؟	للككتور علي مظهر
٤٨١	حضر موت وعهدا بالنحلة الاباضية	للسيد عبد الله بن حسن بلعقيه
٤٨٨	قصة الأنف (من القصص الروسي)	لنيقولا جوجول
٤٩٧	فناء عالم المادة	بقلم محمد جمال الدين الفندي
٥٠٠	المدنية الحديثة في قصص الاتهام	بقلم محمد إبراهيم صالح
٥٠٤	الضيف (قصيدة)	للأستاذ محمد الهراوي
٥٠٥	سمير (قصة مصرية)	بقلم محمد السيد المويلحي
٥١٢	بطلان المذهب الأحدي	بقلم أحمد متولى كيوان

أبواب المعرفة

٥١٢	بين المتناظرين	٥١٦	ملكة المرأة والبيت
٥٢٢	مكتبة المعرفة	٥٢٥	بين المعرفة وقراءتها